

مختصر الحسين
في المنظور السني

بطاقة فهرسة

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقم تصنيف LC: BP41.75.N3 2017

المؤلف الشخصي: الناصري الداودي، عبد المجيد.

العنوان: نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني

بيان المسؤولية: تأليف: عبد المجيد الناصري الداودي؛ ترجمة: د. أنور الرصافي؛ الإشراف العلمي: مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: النجف، العراق: مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

الوصف المادي: ٤٢٤ صفحة.

سلسلة النشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية - مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.

تبصرة عامة: تم نشر هذه البحوث في مجلة الإصلاح الحسيني.

تبصرة بيبليوغرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر: الصفحات (٣٩١-٤٠٧).

تبصرة المحتويات:

موضوع شخصي: الحسين بن علي عليه السلام، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ هجرياً.

موضوع شخصي: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، ٢٥ - ٦٤ هجرياً - نقد وتفسير.

موضوع شخصي: الحسين بن علي عليه السلام، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ هجرياً - ماتم الغزاء.

مصطلح موضوعي: واقعة كربلاء، ٦١ هجرياً - أحاديث أهل السنة.

مصطلح موضوعي: واقعة كربلاء، ٦١ هجرياً - المحدثين - تراجم.

مصطلح موضوعي: واقعة كربلاء، ٦١ هجرياً - أسباب ونتائج.

مصطلح موضوعي: الشعائر الإسلامية (شيعية) - تاريخ.

مصطلح موضوعي جغرافي:

مؤلف هيئة إضافية: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية - مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية.

مؤلف إضافي: الرصافي، أنور، مترجم.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٧٦٦) لسنة (٢٠١٧م)

نَهْضَةُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي الْمَنْظُومِ الْحُسَيْنِ

تَأْلِيفُ
عَبْدِ الْمُجِيدِ النَّاصِرِ الدَّوْدِيِّ
تَرْجُومَةُ
د. إِنْوَرِ الصَّافِيِّ

الإشرافُ العلِيُّ
مُؤَسَّسَتُهُ وَأَرْشَادُهَا
لِلدَّارِ السَّالِطَةِ فِي النَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ



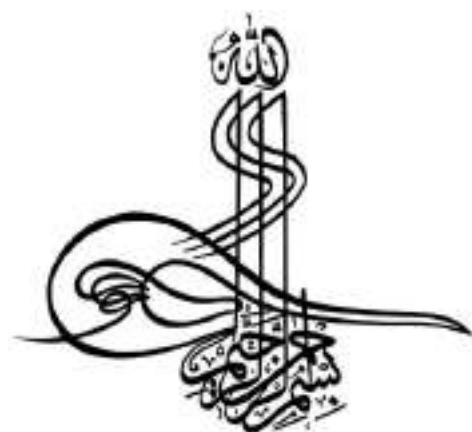
جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

إصدار

مؤسسة وإشراف الأئمة
للإستراتيجية التخصصية في النهضة الحسينية



هوية الكتاب

نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني

عبد المجيد الناصري الداودي

د. أنور الرصافي

اللجنة العلمية في مؤسسة وارث الأنبياء

حسين المالكي

الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

١٠٠٠

• عنوان الكتاب

• المؤلف

• المترجم

• الإشراف العلمي

• الإخراج الفني

• الطبعة

• سنة الطبع

• عدد النسخ

قال رسول الله ﷺ:

«لَا تَبْغُوا عِلَّةَ الْمَدِينِ إِلَّا بِإِذْنِ وَلِيِّهِ أَهْلَهُ، وَلَكِنْ أَبْغُوا
عِلَّةَ الْمَدِينِ إِلَّا بِإِذْنِ وَلِيِّهِ غَيْرِ أَهْلِهِ».

(مستدرک الحاکم: ج ٤، ص ٥١٥).

مقدمة المؤسسة

إنَّ نشر المعرفة، وبيان الحقيقة، وإثبات المعلومة الصحيحة، غاياتٌ سامية وأهدافٌ متعالية، وهي من أهمِّ وظائف النُّخب والشخصيات العلمية، التي أخذت على عاتقها تنفيذ هذه الوظيفة المقدَّسة.

من هنا؛ قامت الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة بإنشاء المؤسسات والمراكز العلمية والتحقيقية؛ لإثراء الواقع بالمعلومة النقية؛ لتنشئة مجتمعٍ واعيٍّ متحضَّر، يسير وفق خطوات وضوابط ومرتكزات واضحة ومطمئنة.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ القضية الحسينية - والنهضة المباركة القدسية - تتصدَّر أولويات البحث العلمي، وضرورة التنقيب والتتبُّع في الجزئيات المتنوعة والمتعدِّدة، والتي تحتاج إلى الدراسة بشكلٍ تخصَّصي علمي، ووفق أساليب متنوعة ودقيقة، ولأجل هذه الأهداف والغايات تأسَّست مؤسَّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، وهي مؤسَّسة علمية متخصصة في دراسة النهضة الحسينية من جميع أبعادها: التاريخية، والفقهية، والعقائدية، والسياسية، والاجتماعية، والتربوية، والتبليغية، وغيرها من الجوانب العديدة المرتبطة بهذه النهضة العظيمة، وكذلك تتكفَّل بدراسة سائر ما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام.

وانطلاقاً من الإحساس بالمسؤولية العظيمة الملقاة على عاتق هذه المؤسسة المباركة؛ كونها مختصة بأحد أهمِّ القضايا الدينية، بل والإنسانية، فقد قامت بالعمل على مجموعة من المشاريع العلمية التخصصية، التي من شأنها أن تُعطي نقلة نوعية للتراث، والفكر، والثقافة الحسينية، ومن تلك المشاريع:

١- قسم التأليف والتحقيق: والعمل فيه جارٍ على مستويين:

أ- التأليف: والعمل فيه قائم على تأليف كتبٍ حول الموضوعات الحسينية المهمة، التي لم يتمَّ تناولها بالبحث والتنقيب، أو التي لم تُعطَ حقَّها من ذلك. كما ويتمَّ

استقبال الكتب الحسينية المؤلفة خارج المؤسسة، ومتابعتها علمياً وفنياً من قبل اللجنة العلمية، وبعد إجراء التعديلات والإصلاحات اللازمة يتم طباعتها ونشرها.

ب - التحقيق: والعمل فيه جارٍ على جمع وتحقيق التراث المكتوب عن الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، سواء المقاتل منها، أو التاريخ، أو السيرة، أو غيرها، وسواء التي كانت بكتابٍ مستقل أو ضمن كتاب، تحت عنوان: (الموسوعة الحسينية التحقيقية). وكذا العمل جارٍ في هذا القسم على متابعة المخطوطات الحسينية التي لم تُطبع إلى الآن؛ لجمعها وتحقيقها، ثم طباعتها ونشرها. كما ويتم استقبال الكتب التي تمّ تحقيقها خارج المؤسسة، لغرض طباعتها ونشرها، وذلك بعد مراجعتها وتقييمها وإدخال التعديلات اللازمة عليها وتأييد صلاحيتها للنشر من قبل اللجنة العلمية في المؤسسة.

٢- مجلة الإصلاح الحسيني: وهي مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية، تهتمّ بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذلك إبراز الجوانب الإنسانية، والاجتماعية، والفقهية، والأدبية، في تلك النهضة المباركة.

٣- قسم ردّ الشبهات عن النهضة الحسينية: ويتمّ فيه جمع الشبهات المثارة حول الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، ثمّ فرزها وتبويبها، ثمّ الرد عليها بشكل علمي تحقيقي.

٤- الموسوعة العلمية من كلمات الإمام الحسين عليه السلام: وهي موسوعة تجمع كلمات الإمام الحسين عليه السلام في مختلف العلوم وفروع المعرفة، ثمّ تبويبها حسب التخصصات العلمية، ووضعها بين يدي ذوي الاختصاص؛ ليستخرجوا نظريات علمية ممازجة بين كلمات الإمام عليه السلام والواقع العلمي.

٥- قسم دائرة معارف الإمام الحسين عليه السلام: وهي موسوعة تشتمل على كلّ ما يرتبط

بالنهضة الحسينية من أحداث، ووقائع، ومفاهيم، ورؤى، وأسماء أعلام وأماكن، وكتب، وغير ذلك من الأمور، مرتبة حسب حروف الألف باء، كما هو معمول به في دوائر المعارف والموسوعات، وعلى شكل مقالات علمية رصينة، تُراعى فيها كل شروط المقالة العلمية، ومكتوبة بلغةٍ عصرية وأسلوبٍ سلس.

٦- قسم الرسائل الجامعية: والعمل فيه جارٍ على إحصاء الرسائل الجامعية التي كُتبت حول النهضة الحسينية، ومتابعتها من قبل لجنة علمية متخصصة؛ لرفع النواقص العلمية، وتهيئتها للطباعة والنشر، كما ويتم إعداد موضوعات حسينية تصلح لكتابة رسائل وأطاريح جامعية تكون بمتناول طلاب الدراسات العليا.

٧- قسم الترجمة: والعمل فيه جارٍ على ترجمة التراث الحسيني باللغات الأخرى إلى اللغة العربية.

٨- قسم الرصد: ويتم فيه رصد جميع القضايا الحسينية المطروحة في الفضائيات، والمواقع الإلكترونية، والكتب، والمجلات والنشريات، وغيرها؛ مما يعطي رؤية واضحة حول أهم الأمور المرتبطة بالقضية الحسينية بمختلف أبعادها، وهذا بدوره يكون مؤثراً جداً في رسم السياسات العامة للمؤسسة، ورصد بقية الأقسام فيها، وكذا بقية المؤسسات والمراكز العلمية بمختلف المعلومات.

٩- قسم الندوات: ويتم من خلاله إقامة ندوات علمية تخصصية في النهضة الحسينية، يحضرها الباحثون، والمحققون، وذوو الاختصاص.

١٠- قسم المكتبة الحسينية التخصصية: حيث قامت المؤسسة بإنشاء مكتبة حسينية تخصصية تجمع التراث الحسيني المطبوع.

١١- قسم الموقع الإلكتروني: وهو قسمٌ مؤلفٌ من كادر علمي، وكادر فني؛ يقومان بنشر وعرض النتاجات الحسينية التي تصدر عن المؤسسة، كما يقوم بتغطية الجنبه الإعلامية للمؤسسة.

١٢- قسم المناهج الدراسية: ويحتوي على لجنة علمية فنية تقوم بعرض القضية

الحسينية بشكل مناهج دراسية على ناشئة الجيل، على شكل دروس وأسئلة بطرق معاصرة ومناسبة لمختلف المستويات والأعمار؛ لئلا يبقى بعيداً عن الثورة وأهدافها.

١٣- القسم النسوي: ويتضمن كادراً علمياً فنياً يعمل على استقطاب الكوادر العلمية النسوية، وتأهيلها للعمل ضمن أقسام المؤسسة؛ للنهوض بالواقع النسوي، وتغذيته بثقافة ومبادئ الثورة الحسينية.

وهناك مشاريع أخرى سيتم العمل عليها قريباً إن شاء الله تعالى.

وتأسيساً على ما سبق حرصت المؤسسة على فتح أبوابها لاستقبال الكتب الحسينية التخصصية، ومتابعتها متابعة علمية وفنية من قبل اللجنة العلمية المشرفة في المؤسسة، وفي هذا السياق قام قسم الترجمة باختيار مجموعة من الكتب الحسينية القيمة والمكتوبة باللغة الفارسية لغرض ترجمتها - داخل القسم، أو بالتعاون مع مترجمين محترفين - ومنها كتاب: (انقلاب كربلا از دیدگاه اهل سنت)، أي: (نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني) لمؤلفه الشيخ الدكتور عبد المجيد الناصري الداودي، وقد قام بترجمته الدكتور أنور الرصافي، فكان هذا الكتاب القيم المائل بين يديك عزيزي القارئ.

وقد ركّز المؤلف بحثه حول مسألة مهمّة وحيويّة وهي رؤية أهل السنّة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام من خلال عرض المصادر التي يعتمدون عليها في فهم وتقييم تلك الواقعة العظيمة حيث إنّ تلك المصادر تشكّل في الأعم الأغلب منافذ المعرفة للوصول إلى الوقائع التاريخية والأحداث المهمّة في ذلك الزمان.

وفي الختام نتمنّى للمؤلّف والمترجم دوام السداد والتوفيق لخدمة القضية الحسينية، ونسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أعمالنا، إنّه سميعٌ مجيبٌ.

اللجنة العلمية في

مؤسسة وارث الأنبياء

للدراستات التخصصية في النهضة الحسينية

نظرة إلى^{٢٩}
مصادر عاشوراء عند أهل السنة

نظرة إلى مصادر عاشوراء عند أهل السنة

لقد استحوذت معرفة المصادر والمراجع على أهمية كبيرة في الأبحاث العلمية ولا سيما التاريخية منها والموضوعات المشابهة لها، ولأمناس لأى بحثٍ سواء أكان فى صدد وصف الحوادث الماضية، أم كان فى مقام تحليلها وبيان أسبابها، سوى الرجوع إلى المصادر وتهذيبها؛ بهدف الاعتماد على مصادر رئيسة ذات قيمة علمية وموضوعية، والإعراض عن تلك المصادر والمراجع غير الرئيسة أو السقيمة، التى لا تخلو من شوائب الانحياز وتحريف الحقائق وقلبها، بدل أن ينصب همها على كشف الحقيقة والواقع.

إن معرفة عاشوراء عند علماء أهل السنة رهن بالمصادر التى يعتمدون عليها، وهم - كسائر الفرق الإسلامية - يعتمدون فى تفسير حادثة عاشوراء والثورة الحسينية وتحليلها على مراجعة المصادر والأسانيد المتعلقة بهذه الحادثة المهمة والمعتبرة لديهم، من هنا يكتسب البحث والتقييم الدقيق والمنهجي لهذه المصادر تأثيراً كبيراً فى معرفة آراء أهل السنة حول عاشوراء، وتقييمهم لتلك النهضة العظيمة، وفى معرفة من اهتدى إلى هذا السبيل ممن زاغ عنه من أتباع المذاهب.

بالطبع أن ما يخضع هنا للتقييم والبحث العلمى هو تلك المصادر والمراجع التى حظت بقبول أهل السنة أو راجت فى أوساطهم، ممّا أتاح للباحثين وضعها تحت مجهر المعايير العلمية، والضوابط المعتمدة، وكشف نقاط قوتها وضعفها، مع الأخذ بنظر الاعتبار الخصوصيات العلمية والتاريخية والرجالية لهذه المصادر.

إلا أنّ هذا لا يعني أنّ هذه الأسانيد التي سوف نببحثها تختصّ بأهل السنة دون سائر الفرق الإسلامية كالإسماعيلية أو الزيدية.

تصنيف المصادر

يمكن تقسيم مصادر عاشوراء - بنحو إجمالي - إلى قسمين:

قسمٌ أشار إلى بيان حادثة عاشوراء والظروف التي رافقتها بصورة مباشرة.

وآخر أشار إليها بصورة غير مباشرة والتي سوف نتناولها فيما بعد.

ومن الواضح أنّ الحديث جرى في القسم الأوّل من المصادر، عمّن كان له حضور في عاشوراء عام (٦١هـ) من الرواة وشهدوا أحداثها، وهذا ما يرفع من صحّة هذه المصادر والثوق برواياتها، ويفسح لها المجال لعدّها من أفضل مصادر واقعة عاشوراء، رغم إمكان خطأ الراوي وتعصّبهِ وتحامله وسهوه وغيرها.

ومن المؤسف القول بأنّ آثار أغلب الرواة الذين شهدوا عاشوراء ونقلوا وقائعها قد عفى عليها الدهر واندثرت، إلّا أنّه من حسن الحظ وقعت بعض تلك الآثار بيد المؤرّخين ودوّنوها في ثنايا كتبهم، من هنا يكون المراد من المصادر الأولى والأصيلة الروايات التي نقلتها المصادر التاريخية وغير التاريخية عن الرواة الذين شهدوا الحادثة ووصلت إلينا.

و الواقع أنّ هذه الروايات والتقارير المنقولة عن عدّة رواة قد دوّنها المؤرّخون والمحدّثون وعلماء الأنساب والرجال، ونقلوها في كتبهم، ويشكّل البحث العلمي المنهجي لأنواع النقول والرواة وتهذيبها وتنقيحها وفرز الأخبار الصحيحة عن الضعيفة والسقيمة جزءاً من الجهود التي ينبغي أن ترافق عملية البحث والتحقيق.

المصادر التاريخية

من المؤسف - كما مرّت الإشارة - أنّ المقاتل التي دوّنت نهضة عاشوراء بصورة مستقلة لم تسلم من تطاول الزمان ونوائب الحدثان، ممّا يقتضي اللجوء إلى المصادر التاريخية؛ لنرى ما هو موقفها من هذه الحادثة المروعة في تاريخ الإسلام. وبصورة عامّة يمكن وضع المصادر التاريخية في عرضها لحادثة عاشوراء على طائفتين:

فطائفة منها قامت بنقل المقاتل التي كانت بحوزتها مع حفظ أسانيدها، الأمر الذي انتهى إلى نقل تفاصيل تلك الحادثة.

وطائفة أخرى قامت بإيجاز الحدث أو نقله بالمعنى، أو استخلاص تقارير من المقاتل التي كانت بحوزتها بعيدة عن الموضوعية، وإليك تفصيل كلّ منها:

مقتل أبي مخنف

يعدّ مقتل أبي مخنف أول ما وصل إلينا من تقرير مدوّن وقديم استأثر باهتمام المصادر التاريخية الرئيسة، وقد جمعه ودوّنه لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الكوفي (٩٠ - ١٥٧ هـ) في القرن الثاني، وكان من أشهر مؤرّخي القرن الثاني؛ حيث كتب في موضوعات شتى، كالسقيفة، والرّدة، والشورى، والجمل، وصفين، والحرّة، ومحاصرة ابن الزبير في مكة، وإقدام عسكر يزيد على حرق الكعبة، والأحداث التي سبقتها، كمقتل حجر بن عدي، وهلاك معاوية وغيرها^(١)، كانت آثاراً نادرة وقيمة، ولكنها مع الأسف قد تلف معظمها سوى كتاب (مقتل الحسين عليه السلام) الذي لم يبق كمقتل بل جمع من المصادر التاريخية التي نقلت عنه.

(١) أنظر: ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب، الفهرست: ص ١٥٠.

وعلى الرغم من تضارب الآراء حول مذهب أبي مخنف، ولكن الكتاب الذي خلفه، أي: (مقتل الحسين عليه السلام) أصبح مرجعاً لكثير من المؤرخين والباحثين من مختلف النحل ومن بينهم أهل السنة^(١)، إذ لا مناص لهم - حين الحديث عن خلافة يزيد بن معاوية، وما اقترفه من جرائم شنيعة في كربلاء - عن نقل أكثره أو مجمله من مقتل أبي مخنف أو اختيار مقاطع ونقل محتواها.

وكثيراً ما كان محمد بن جرير الطبري وهو أشهر المؤرخين عند أهل السنة (المتوفى عام ٣١٠ هـ) ينقل عن مقتل أبي مخنف أحداث كربلاء، فنقل عنه ما يربو على (٩٧) رواية مع أسانيدها، وهذا من أكثر النقول تفصيلاً عن هذا المقتل.

وقد راعى أبو مخنف الأمانة والدقة العلمية حين نقله وقائع عاشوراء والأحداث التي دارت فيها؛ إذ نقل بواسطة واحدة عن شهود أو عدة رواة لكلّ حادثة، ممّن لديهم اطلاع واسع عليها، ومن جملة الرواة عقبة بن سمعان - مولى الرباب زوج الإمام الحسين عليه السلام - الذي رافق الإمام عليه السلام من المدينة وحتى استشهاده ثم وقع في الأسر وبقي حياً إلى أن خُلّي سبيله.

وينقل أبو مخنف ما جرى في المدينة بواسطة واحدة عن عقبة بن سمعان، وأمّا حوادث الكوفة ومجرياتها حين حضور مسلم بن عقيل والتحوّلات التي شهدتها الكوفة بعد استشهاده، يرويها عن اثني عشر راوياً كانوا من أتباعه في الكوفة، وهؤلاء كانوا ممّن شهد الأحداث ونقلها.

وقد نقل حركة الإمام الحسين عليه السلام عند توجّجه إلى الكوفة بأمانة ودقة علمية

(١) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ١٤٧. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج ٤، ص ٣٤٤. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص ٣٢٠.

وموضوعية عالية، فعلى سبيل المثال نقل حوادث مكة عن ستة رواة رافقوا الإمام عليه السلام، ونقل الحوادث التي جرت ما بين مكة وكربلاء عن اثني عشر راوياً كان لهم حضور مع الإمام عليه السلام، وأهم مقطع لمقتل أبي مخنف هو شرح أحداث يوم عاشوراء ووقائع كربلاء التي نقلها عن (٢٨) راوياً قد سمعوها ونقلوا أخبارها، ومن هؤلاء المذكورين أربع وعشرون راوياً كانوا في جند عمر بن سعد وسائر الروايات عن الإمام السجاد والباقر عليهما السلام.

وممن نقل عنه هو حميد بن مسلم الذي كان من المقرّبين لعمر بن سعد وقد رافق خولي الذي كان يحمل الرأس الشريف إلى الكوفة، بأمر من عمر بن سعد بهدف إخبار ذويه عن سلامته ومصرع الحسين عليه السلام.

ويعدّ حميد بن مسلم من أهمّ رواة أبي مخنف في مقتل الحسين عليه السلام وهو يجاري عقبة بن سميان في دقته وفي سعة معلوماته ونقله تفاصيل الأحداث.

١ - خصوصيات مقتل أبي مخنف

يمكن دراسة مقتل أبي مخنف الذي يتمتع بخصوصيات فريدة من جهات عديدة، مع الأخذ بنظر الاعتبار المعايير العلمية، والمؤشّرات المطروحة في ضبط الوقائع والبحث التاريخي، ولذا روى عنه مؤرّخو كلا الفريقين؛ نظراً لمزاياه العلمية وأسانيده الدقيقة^(١).

(١) أنظر: رسول جعفریان، منابع تاریخ اسلام (مصادر التاريخ الإسلامي): ص ١١١.

وإليك بعض تلك الخصوصيات:

١ - أدبيات بعيدة عن الانحياز

ما يعيننا في مقتل أبي مخنف هو أخبار الرواة وقول الشهود، فهو ينقل عن الشهود الذين ينتمون إلى المعسكرين المتخاصمين وكانوا على علم واطمئنان بالموضوع، وقلمها يعكس وجهة نظره تجاه الأحداث إيجابية كانت أم سلبية، ولا ينسب بينت شفة تجاه المشاركين في حادثة عاشوراء مدحاً أو ذماً، فهو يدوّن كلّ ما سمعه وركن إليه، ويحيل المدح والقدح إلى القرّاء، كما أنّ نوع الأخبار والتعبير المتداول فيها كان بعيداً عن الانحياز.

٢ - حفظ الأمانة

من الواضح أنّه قد تتوارد أخبار عديدة وقد تكون متناقضة بشأن حادثة ما، وكان أبو مخنف لا يبتغي الأخبار في نقله بل كان يقدم على نقل أخبار مختلفة دون أي ترجيح في البين، هذا الأمر أصبح مثاراً للشك في مذهبه، فقد ذهب بعض إلى تشييعه والبعض الآخر إلى تسنّنه، والجدير بالذكر أنّ كلا الفريقين يعتمدون عليه في النقل، مثلاً: نقل أبو مخنف أنّ عمر بن سعد كتب إلى عبيد الله بن زياد يقترح عليه فكرة توصّل إليها مع الحسين عليه السلام:

١ - العودة إلى الحجاز.

٢ - الاستجابة لبيعة يزيد ويضع يده بيده.

٣ - اللجوء إلى ثغر من ثغور المسلمين.

ثمّ ينقل خبراً ثانياً في الموضوع ذاته هكذا: عن عبد الرحمن بن جندب، عن عقبة بن سمعان، قال: «صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة، ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا

بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتها، ألا والله، ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس»^(١).

كما يشاهد أي محقق مواطن أخرى من التناقض والذي يبدو منه وضع بعضها، إلا أنه نقلها لأجل الحفاظ على الأمانة والموضوعية.

٣- اتخاذ منهج تخصصي

رغم أنه كان من مؤرخي العراق وله باع طويل في شؤون هذا القطر، إلا أنه اقتصر على نقل الأقوال حتى أنه لم يكتفِ بأخبار شهود عيان لفاجعة عاشوراء، بل إنه قسم تلك الحادثة العظيمة إلى مقاطع، واعتمد في كل مقطع على شهود عيان موثوق بهم لأجل بيان الحقائق، فمثلاً: لجأ إلى ضبط الحوادث التي جرت على مسلم بن عقيل في الكوفة ممن حضر معه وكان في ركابه، كما نقل ما قام به عمر بن سعد وخطبه ورسائله ومواقفه ممن كانوا معه، ونقل خطب ومواقف سيّد الشهداء عليه السلام من أقرب الشهود الذين كانوا برفقته.

٤- التبع الوافي

من خصوصيات أبي مخنف في مقتل الحسين عليه السلام هو إدراكه العميق لأحداث عاشوراء، وكان على علم ووعي وبصيرة بأن ثورة كربلاء ستكون ذات أبعاد واسعة فريدة في تاريخ الإسلام، ولهذا أقدم على ضبط تفاصيل الأحداث والقضايا المتعلقة بها

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٣.

بموضوعية، ولهذا السبب أصبح مقتله حافلاً بالتفاصيل اللازمة حول الموضوع. ومن الخصوصيات الأخرى هي تتبعه الواسع بهدف التحري عن الحقيقة وكسب المعلومات حيث لم يكتفِ بالسماع وضبط الأخبار والبيان الإجمالي غير المسند، بل خاض في تفاصيل الأحداث وما تعلق بها من مسائل.

٥ - حفظ منهج التدوين التاريخي

ثمّة أخبار متضاربة وردت في موضوع الثورة الحسينية، وقد صنّف فيها المحققون والباحثون كتباً ورسائل ومقالات، وفي هذا الخضم قامت ثلّة منهم ليست بالقليلة ببيان مسائل عرفانية، أو قضايا كلامية تمتّ إلى ذلك الموضوع في إطار تدوين تاريخي، كما خطّت ثلّة أخرى خطوات أبعد من ذلك عبر بيان موارد غير قابلة للإثبات، ولا تنسجم ومكانة آل محمد عليهم السلام، وأقرب ما تكون إلى الخرافة.

ومن خصوصيات مقتل أبي مخنف هي اتخاذه لمنهج علمي في كتابة التاريخ، ورعاية العقلانية في نقل الأحداث، حتى أنّه لا يمكن أن نلمس فيها موارد ونكات غير طبيعية وبعيدة عن العقل، وبالطبع هذا الأمر لا يعني نفي الكرامات، فقد نقل أبو مخنف أخباراً حاكية عن كرامات للحسين عليه السلام، فقد كتب عند بيان علّة هلاك عبد الله بن حوزة التميمي أنّه «وقف أمام الحسين، فقال: يا حسين يا حسين، فقال له الحسين: ما تشاء؟ قال: أبشّر بالنار، قال: كلاً، إني أقدم على ربّ رحيم وشفيع مطاع، من هذا؟ قال له أصحابه: هذا ابن حوزة، قال: ربّ حزه إلى النار. قال: فاضطرب به فرسه في جدول فوقه فيه، وتعلّقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض، ونفر الفرس فأخذه يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجر وكلّ شجرة حتى مات»^(١).

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام، ص ١٢٥.

وهذه الأخبار قد رواها رواة بصورةٍ ظاهرها الاختلاف، إلّا أنّها لا تُستبعد عقلاً، وقد نقلها جميعها كما أنّها قد تختلف مع بعض ما نقله المتقدّمون من الفريقين عن وقوع حوادث غير طبيعية في عاشوراء.

٦ - قربه من زمن الحادثة

عاش أبو مخنف ما بين الأعوام (٩٠ - ١٥٧ هـ)، ولم تفصله عن زمان وقوع فاجعة كربلاء عام ٦١ هـ هوةٌ سحيقة، وفي الواقع كان معاصراً للعديد من الشهود، وحتى المشاركين في تلك الفاجعة، فما يزال هناك عدد منهم على قيد الحياة، وإن كان لا يتجاوز أصابع اليد، عندما أخذ أبو مخنف يخطّ حوادث عاشوراء ويدوّن مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، ويُعدّ هذا الأمر في ذاته من خصوصياته المميّزة.

٧ - إحاطته العلمية ومكانة أسرته

من جملة خصوصيات أبي مخنف التي رفعت شأن كتاب (مقتل الحسين (عليه السلام)) هو إحاطته العلمية ومكانة أسرته، فقد كان له باعٌ طويل في الحديث، حتى عرف بأنّه شيخ المحدثين في الكوفة كما عدّه البعض من فقهاء القرن الثاني، وكالوا المديح لأسرته، وكان جدّه من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، وتولّى إمارة أصفهان، وكان زعيم قبيلة الأزد، وهذه الخصوصيات ألقت بظلالها على خلفياته العلمية، وإتقانه الآثار وضبطه الأحداث^(١).

المؤرخون ومقتل أبي مخنف

إنّ أصل مقتل أبي مخنف - كما تقدّم - قد عاثت به يد الدهر على غرار سائر آثاره

(١) أنظر: اليوسفي الغروي، محمد هادي، وقعة الطف: ص ٨.

العلمية، ولم يصلنا، إلا أنه يمكن العثور عليه في الآثار التاريخية اللاحقة، كما يمكن العثور على أجزاء منه في ثنايا كتاب تاريخ الأمم والملوك، وهو أثر معروف لمحمد بن جرير الطبري.

وبالطبع فإن الطبري لم يعتمد حين نقله لحوادث عاشوراء على نقل مقتل أبي مخنف فقط، بل اعتمد أيضاً على رواية وروايات أخرى، فقد نقل عن عمار الدهني قبل أن ينقل ما رواه أبو مخنف، كما نقل عدة روايات عن هشام حول الأحداث التي جرت في الشام والتي نقلها أبو مخنف بإيجاز، وبذلك كشف عن أبعاد أخرى لهذه الحادثة التاريخية.

ومن الواضح أن نقل الطبري عن مقتل أبي مخنف يكشف عن المكانة الرفيعة لهذا المقتل إزاء نقل حادثة عاشوراء عند هذا المؤرخ المشهور عند أهل السنة، على الرغم من أنه لا يمكن الوقوف على أن ما نقله، هل كان مقتل أبي مخنف برمته، أو بعض الموارد التي كان ينتقيها حسب عادته أو يوجزها^(١)؟

تيار تاريخي آخر يوافق أبا مخنف

ثمّة طائفة أخرى من المصادر التاريخية حول عاشوراء اعتمد عليها أهل السنة، لم ينقل فيها الرواة مباشرة وبالتفصيل، كما لم يرد فيها ذكر لأبي مخنف، إلا أن التأمل فيها يدلّ بالجملة على نقل حادثة عاشوراء باختصار، وتصرف طفيف بالاعتماد على مقتل أبي مخنف وسائر الرواة.

ولا يختلف نقل هذه المصادر كثيراً عن نقل أبي مخنف المستند والموضوعي، سوى

(١) في السنوات الأخيرة قام بعض الباحثين - وهو الأستاذ الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي - باستخراج وتحقيق وتهذيب مقتل أبي مخنف، اعتماداً على نقل الطبري وآخرين، أمثال الشيخ المفيد، وسبط ابن الجوزي، وطبع تحت عنوان (وقعة الطف).

في الإجمال والتفصيل، أو الكشف عن بعض الزوايا الغامضة.

ويعد أبو حنيفة الدينوري (المتوفى ٢٨٢ هـ) من علماء ومؤرخي أهل السنة الذي نقل أحداث النهضة الحسينية، فقد تطرّق إلى بيان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في الأخبار الطوال، مثلما ورد في مقتل أبي مخنف مع فارق ضئيل تمثل في نقل محتوى رسالة الإمام إلى أشراف البصرة، ونزول الإمام بكر بلاء في يوم الأربعاء الأوّل من المحرم، ونزول عمر بن سعد بكر بلاء في اليوم الثالث من المحرم، وتسلم الإمام كتاب مسلم، كما أنّه لم ينقل خطبة الإمام الحسين عليه السلام بعد صلاة العصر بأصحاب الحر بن يزيد بذريعة تشابهها مع خطبته الأولى.

وثمة إشكال آخر يرد على الكتاب، وهو أنّه لم ينقل خطب الإمام في طريقه من مكة إلى الكوفة، كما أنّه وقع في خطأ لما ذكر أنّ أحد أبناء الإمام الحسين عليه السلام هو عمر بن الحسين ويحتمل أنّه هو عمر بن الحسن، وذكر ما جرى بعد شهادة سيّد الشهداء عليه السلام باختصار شديد دون نقل مصادره، وربّما نقل محتواه عن أبي مخنف بشيء من التسامح، على الرغم من عدم استبعاد وجود مصدر آخر غير مقتل أبي مخنف.

ولابن قتيبة المروزي الدينوري (٢٢٣ - ٢٧٦ هـ) كتاب الإمامة والسياسة^(١)، حيث ذكر فيه مقدمات قيام الإمام الحسين عليه السلام وبيان حادثة عاشوراء، ولكنّه وقع في تناقضات وأخطاء فاحشة لاحصر لها، لا تُكشف إلّا من خلال مراجعة مصادر معتبرة كمقتل أبي مخنف.

كما أشار أحمد بن يحيى البلاذري (المتوفى ٢٧٩ هـ) في باب ترجمة الحسين بن علي عليه السلام

(١) ثمة شكوك تخوم حول نسبة هذا الكتاب إلى الدينوري، كما هو الحال بشأن كتاب سليم بن قيس ومقتل أبي مخنف ما خلا وقعة الطف وإثبات الوصية للمسعودي.

إلى قيام عاشوراء، ويتّضح من خلال مطالعة وتقييم ما نقله اعتاده على أخبار أبي مخنف، نعم تبدو من بعض الموارد أنّه نقل عن غير أبي مخنف، نظير زيادة عطايا أهل الكوفة على يد ابن زياد بأمر من يزيد بن معاوية، أو جمع أهل النخيلة ودعوتهم للانضمام إلى معسكر ابن سعد.

وعلى أي حال يمكن القول بأنّ البلاذري في (أنساب الأشراف) قد اعتمد على مقتل أبي مخنف حين نقل أخبار شهادة الإمام عليه السلام، نعم نقله لخبر منع ابن عمر الإمام عليه السلام من التوجّه إلى الكوفة يدلّ على أنّه اعتمد على مصدرٍ آخر غير أبي مخنف، مع أنّه لا يبلغ مقتل أبي مخنف كما وكيفاً^(١).

كما تطرّق أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي (المتوفى ٢٨٤هـ) في تاريخه المشهور (تاريخ اليعقوبي) باختصار إلى قيام الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده، والمورد الوحيد الذي يميّزه عن مقتل أبي مخنف هو سرده لخطبة الإمام علي بن الحسين عليه السلام في الكوفة، حيث ذمّ أهل الكوفة، قائلاً: «تنوحون وتبكون من أجلنا فمن ذا الذي قتلنا؟!»^(٢).

هذا النصّ لم يورده أبو مخنف، أمّا في سائر الموارد فليس ثمة اختلاف يُذكر مع ما نقله أبو مخنف في مقتله^(٣).

الحصيلة

مع إجراء تقييم ومقارنة بين ما أورده أبو مخنف وبين المؤرّخين بعده، مثل: الطبري، واليعقوبي، والمسعودي، والدينوري، والبلاذري، يتّضح أنّ هذه المصادر

(١) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٧٨ - ٢٢٠.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٨٦.

(٣) واکب اليعقوبي والمسعودي أبا مخنف في نقل أحداث عاشوراء. أنظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٢ - ٢٤٥.

متَّفقة فيما بينها وليس ثمة اختلاف في نقل وقائع عاشوراء، رغم أن مقتل أبي مخنف يشكّل العمود الفقري لتلك المصادر، كما أن بعض المؤرّخين مثل عز الدين ابن الأثير الذي صنّف كتاب (الكامل في التاريخ) اقتدى بالطبري، قد نهج منهجه في اعتياده الكامل على مقتل أبي مخنف عند بيان واقعة كربلاء، وكان أصل مقتل أبي مخنف ما يزال موجوداً في زمانه؛ ذلك لأنّه بعدما نقل مقاطع من المقتل ذكر عبارة (آخر المقتل) وهو شاهد على أنّه استعان بأصل المقتل، على غرار ما فعل الطبري، حيث نقل عن أبي مخنف دون تغيير^(١).

لقد لاقى تاريخه إقبالاً واسعاً عند أهل السنة، وهذا الإقبال يتعلّق بمزايا الكتاب من حيث التفصيل والإسناد والموضوعية، حتى أصبح محطّاً لاعتماد أغلب مصنفي الكتب التاريخية الذين أعقبوه، فينقلون عنه ويأتون بخلاصة لذلك. وهذا ما قام به ابن مسكويه وابن الأثير وابن كثير^(٢).

ويمكن أن نتلمس مقتل أبي مخنف في سائر المصادر التاريخية كمقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني (المتوفى ٣٥٦هـ)، والفتوح لابن أعمش الكوفي (المتوفى ٣١٤هـ) وآخرين، وقد أحجمنا عن ذكرهم بسبب اتّهامهم بالتشيع من قبل بعض أهل السنة.

تأمل في رواية عمار الدهني الموضوعية

من جملة الأخبار المشكوك بل الموضوعية التي تسرّبت إلى المصادر التاريخية المختلفة ممّا أدّى إلى سوء فهم ونشوء تعارض بين أخبار حادثة عاشوراء في المصادر التاريخية رواية عمار الدهني، هذا الخبر على طوله أورده الطبري في سلسلة أخباره

(١) أنظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج ٣، ص ٣٣٢.

(٢) أنظر: رسول جعفریان، منابع تاریخ اسلام (مصادر التاريخ الإسلامي): ص ١٥٩.

وأسانيده عن شهادة الإمام الحسين عليه السلام وواقعة عاشوراء، ولم يكن نقله في موضع واحد، بل في عدة مواضع متفرقة عبر نقل مقاطع عديدة منه أدت في النهاية إلى استنتاج متناقض وفهم خاطئ لحادثة عاشوراء.

هذا الخبر مع أنه مسند إلى الإمام الباقر عليه السلام أحد شهود فاجعة كربلاء، إلا أنه لا يخلو من إشكالات؛ إذ يطلب عمار الدهني من الإمام عليه السلام إخباره عن تلك الفاجعة كما لو كان حاضراً هناك، ونقل الطبري على لسان الإمام الباقر عليه السلام في باب حوادث عام (٦١ هـ) بما يقرب من أربع صفحات في مقطعين^(١)، وكما تقدّم فإن هذا الخبر ترد عليه إشكالات كثيرة تجعل نسبته للإمام الباقر عليه السلام في حيز الشك والترديد.

ومن هنا، لا يمكن الاعتماد عليه ولا الاستفادة منه في بيان حوادث عاشوراء، والوقوف على مقدّمات هذه الثورة الكبرى وأسبابها؛ لأنّه:

أ - لم يرد فيه ذكر لكتاب يزيد بن معاوية إلى الوليد عامله على المدينة لما أمره بأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، مع أنه تسالت المصادر المختلفة على نقله.

ب - لقد أورد خبر مجيء الحر بن يزيد الرياحي مع ألف فارس إلى الحسين عليه السلام، ومنعه من الذهاب إلى الكوفة لا يظهر فيه الحر كقائد مكلف بمهمة خاصّة، بخصوص الإمام الحسين عليه السلام ولا يبدو أنّ مرافقيه ألف جندي يقومون بمراقبة الركب الحسيني والإحاطة به، وهذا ما أكّدته جميع المصادر.

ج - إنّ ما ورد في خبر عمار الدهني، والذي نسب إلى الحر بعد لقائه بالإمام عليه السلام حيث قال: «ارجع فإنّي لم أدع خلفي خيراً أرجوه لك»^(٢)، وقد نسبه آخرون إلى امرئ من

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٧ - ٢٦١، وص ٢٩٢ - ٢٩٤.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٠.

بني عكرمة أقبل من الكوفة، يوحي ذلك إلى أنّ الحر مجرّد مسافر كالذي تقدّم أو كالفرزدق وأمثاله ممّن لا قوا الركب الحسيني في الطريق صدفةً ونصحوا الإمام أثناء لقائهم به.

د- ورد في هذا الخبر مواجهة الإمام الحسين عليه السلام لعسكر عبيد الله بن زياد بعد لقائه بالحر، وهذا الأمر في الواقع أدّى إلى عدول الإمام عليه السلام عن الذهاب إلى الكوفة والتوجّه إلى كربلاء، في حين أنّ من الأمور المسلّمة في تاريخ عاشوراء أنّ الحر وجنوده كانوا السبب في اتّخاذ مثل هذا القرار.

هـ - لا يخلو حديث الإمام الباقر عليه السلام - طبقاً لنقل عمار الدهني - من الغموض والمدعاة للتساؤل؛ ممّا يجعل نسبته للإمام عليه السلام غير ممكنة ومحاطة بهالة من الإبهام.

التيار المخالف لأبي مخنف

ثمّة تيار آخر له تأثيره في تزويد أهل السنة بالمعلومات عن ثورة كربلاء، منشأه أخبار ابن سعد المعروف بالكاظم الواقدي، ويبدو أنّ هذه الأخبار تلفيقية من نقل أستاذه الواقدي وانطباعاته وتصوراتهِ عن حادثة عاشوراء، وتفتقد طبقات ابن سعد المعروضة في الأسواق لهذا المقطع وطبعت من دونه، وفي السنوات الأخيرة عثر المحقّق السيد عبد العزيز الطباطبائي على نسخ أصلية وقديمة لهذا الكتاب، تحتوي على أخبار مقتل الحسين عليه السلام وقام بطبعها على حدة، تحت عنوان: (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام).

وكما سنبين فيما يأتي أنّ هناك من شكّك في أوساط أهل السنة بنهضة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته من جهات متعدّدة، أو قام بتحريف وقائعها، معتمداً في ذلك على أخبار ابن سعد في طبقاته، أو على مؤلّفات متأثرة بأخباره، وهذا ما يدعونا إلى التأمّل في أبعاد أخبار ابن سعد وتقييمها.

أُسلوب ابن سعد

كان ابن سعد من كُتّاب السير والتراجم، حيث استعرض في كتابه المعروف بالطبقات الكبرى سير صحابة النبي صلى الله عليه وآله والتابعين وفقاً لطبقاتهم، لهذا كانت نظرتة إلى القضايا ومنها أحداث عاشوراء من باب السير الذاتية، وأجاز لنفسه التصرّف في أحداثها، رغم أنّ هذا الأمر لا يتفق مع الموضوعية وحفظ الأمانة.

وعلى هذا الأساس فقد حازت نظرتة ورواياته على اهتمام من لديهم مؤلفات على شاكلته، نظير: ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، وابن كثير في البداية والنهاية، وابن حجر في الإصابة، والذهبي في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء، وابن حجر في تهذيب التهذيب، والمزي في تهذيب الكمال وغيرهم.

مرور على أخبار ابن سعد وإشكالاتها

إنّ أخبار ابن سعد عن عاشوراء وأحداثها والتي صدرت تحت عنوان: (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام) لا تخلو من إشكالات نوجزها في النقاط التالية:

١ - الاعتماد على رواية لم يشهدوا حادثة عاشوراء

ابن سعد وخلفاءه لأبي مخنف والطبري حذف أسانيد الروايات دون أن يحدّد هذا الخبر أو ذاك عمّن يرويّه، وعدد الوسائط التي نقل عنها، فهو بدايةً يورد أسماء رواة ورواة أستاذه الواقدي ثمّ يشير بصورة عامّة إلى أنّه سمع عنهم بعض الأمور حول الإمام الحسين عليه السلام.

ونظرة خاطفة إلى سير هؤلاء الرواة الذين اعتمد عليهم تدلّ على أنّه لم يكن لهم حضور في الأحداث المرتبطة بعاشوراء، كاستشهاد مسلم بن عقيل، ونزول الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، ومواجهة الإمام للحر بن يزيد الرياحي وأصحابه، والحوادث التي أعقبت دخول الركب الحسيني إلى كربلاء خاصّةً في عاشوراء، واستشهاد الإمام

الحسين عليه السلام، وأيضاً سبي حرم الإمام عليه السلام، ولم يشهدوا أياً منها، وهذا ما يثير الشكوك بصحة هذه المعلومات ودقتها، وهذه الطائفة من الروايات لاتصمد أمام اعتبار روايات أبي مخنف.

٢ - التناقض الذاتي

إن أخبار ابن سعد مع صرف النظر عن صدق رواياتها أو كذبهم وارتباطهم بالبلاط الأموي تعاني تناقضاً ذاتياً، وتهاوتاً جلياً في موضوعات شتى، هذا التناقض قلل من مكانتها، وجعلها في عداد الموضوعات غير الموثوق بها:

أ - جرأة يزيد أو مداراته

ورد في رواية ابن سعد أن يزيد بن معاوية أمر الوليد بن عتبة - عامله على المدينة - بمدارة الحسين عليه السلام؛ لأن أمير المؤمنين معاوية كان قد أوصى به، إلا أن الوليد أخذ الحسين أخذاً شديداً، بينما يعترف ابن سعد في موضع آخر أن يزيد كتب إلى عامله: خذ حسيناً، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا.

ب - حكاية مروان بن الحكم

كان مروان بن الحكم عدواً لدوداً لأهل البيت عليه السلام، وقد اعترف ابن سعد بذلك لما دعا يزيد عامله الوليد إلى أخذ البيعة له من تلك الثلة، فزع عند ذلك الوليد إلى مروان لاستشارته في الأمر، فقال: أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدّمتهم فضربت أعناقهم! ومع ذلك فقد أورد ابن سعد خبراً مفاده أن مروان بن الحكم وعمرو بن سعيد بعثا بكتاب إلى ابن زياد طلبا منه مدارة الحسين عليه السلام، ولم يرد خبر كتاب مروان

وطلبه الإدارة في أي مصدر تاريخي آخر.

٣ - مخالفة المسلمات تاريخياً

ثمة مقاطع في أخبار ابن سعد حول عاشوراء لاتدعمها أخبار الفريقين فحسب، بل تخالفها أيضاً، مع معارضتها لمسلمات التاريخ وما تواترت عليه الروايات. وبيان تفاصيل هذه الأخبار وإثبات مخالفتها للمسلمات التاريخية بحاجة إلى مجالٍ أوسع، ونكتفي ببعض النماذج للاطلاع على بعض تلك المواضع:

أ - حضور ابن عمر في مكة

ورد في المصادر التاريخية أنَّ عبد الله بن عمر بن الخطاب كان من خصوم يزيد بن معاوية وخلافته، ولما وصل كتاب يزيد إلى عامله الوليد لطلب البيعة كان عبد الله بن عمر في المدينة، بينما نقل ابن سعد أنَّ ابن عمر كان في العمرة في مكة، ولم يبدِ مخالفةً لتولي يزيد الخلافة، بل انتقاد لبدعة معاوية في جعل الخلافة إراثاً وعهده إلى يزيد، ولما لاقى الحسين عليه السلام أثناء توجهه إلى مكة في منطقة الأبواء بعد عودته من مكة إلى المدينة، حذّره من الخروج على يزيد قائلاً:

إني محدّثك حديثاً: إنَّ جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله فخيّره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يُرد الدنيا، وإنَّك بضعةٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله، والله، ما يليها أحدٌ منكم أبداً، وما صرفها الله عنكم إلّا للذي هو خيرٌ لكم. فأبى أن يرجع، قال: فاعتقه ابن عمر وبكى^(١).

ب - دفن جسد الحسين عليه السلام بيد غلام زهير

نقل ابن سعد أنَّ زوج زهير بن القين قالت لغلام له يقال له شجرة: انطلق فكفن

(١) ابن سعد، محمد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٧.

مولاك، قال: فجئت فرأيت حسيناً ملقى، فقلت: أكفنّ مولاي وأدع حسيناً، فكفنت حسيناً، ثم رجعت فقلت ذلك لها، فقالت: أحسنت، وأعطتني كفناً آخر، وقالت: انطلق فكفنّ مولاك، ففعلت^(١).

لم يوثق هذا الخبر أيّ مصدرٍ تاريخي، بل أجمعت المصادر أنّ قبيلة بني أسد التي كانت تقطن أطراف الفرات هي التي أقدمت على دفن الشهداء، لا غلام زهير الذي أقبل من الكوفة، وبعد وصوله كربلاء رأى جثة سيّد الشهداء الطاهرة عليها السلام فعاد إلى الكوفة وأحضر كفناً جديداً وكفّنه به ودفنه.

وثمة شكوك تحوم حول صحّة هذا الخبر، منها: لماذا لم ينقل الغلام شيئاً عن سائر الشهداء ولم يتحدّث عنهم كتعبير عن شعوره تجاههم؟ وكيف عرف الحسين عليه السلام وهو مقطوع الرأس ملقى في العراء، مسلوب العمامة والرداء؟ لماذا ظلّ ما قام به غلام زهير بعيداً عن أنظار سائر المؤرّخين، وأهل السير، وعلماء الرجال، والأهمّ من كلّ هؤلاء أهل بيت الحسين عليه السلام، دون أن تشير إليه الروايات والأحاديث والزيارات، ولم يرد في حقّه إطراء ومدح على لسان الأئمة المعصومين عليهم السلام؟

ج- الاستناد إلى خبر عمار الدهني وكعب الأخبار

نقل ابن سعد عن عمار الدهني أنّه قال: «مرّ عليّ على كعب الأخبار فقال: إنّ من ولد هذا لرجل يُقتل في عصابةٍ لا يحفّ عرق خيولهم حتى يردوا على محمد صلى الله عليه وآله. فمرّ حسن، فقالوا: هو هذا يا أبا إسحاق؟ قال: لا. فمرّ حسين، فقالوا: هذا هو؟ قال: نعم»^(٢).

ثمّة نقاط في خبر ابن سعد تدلّ على عدم دقّته، وتحريفه لحادثة كربلاء، من جملتها

(١) ابن سعد، محمد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٨١.

(٢) المصدر السابق: ٤٩.

النبؤات الواردة فيه:

- ١ - كيف ظفر كعب الأخبار بهذه المعلومات، فهل كان عالماً بالغيب؟!
 - ٢ - توفي كعب عام (٣٢هـ) في عصر خلافة عثمان بن عفان، وكان عمار الدهني حياً حتى أواسط القرن الثاني، فكيف ينقل عنه مرفوعاً؟! والحديث المرفوع ليس بحجة.
 - ٣ - كان كعب من خصوم علي عليه السلام، وأكثر الموضوعات تُنسب إليه، فلا يمكن الاعتماد على أخباره.

أخبار تشاطر ابن سعد الرأي

لقد تأثر كتاب أهل السنة بابن سعد واستندوا إلى أخباره؛ بهدف معرفة الإمام الحسين عليه السلام وثورته من جهة، ومعرفة يزيد وموقفه في النهضة الحسينية من جهة أخرى:

أ - ومن الذين اعتمدوا على أخبار ابن سعد في الطبقات لفهم حادثة عاشوراء ومعرفة سيد الشهداء عليه السلام هو ابن عساكر الدمشقي، حيث استعرض في كتابه تاريخ مدينة دمشق سيرة الصحابة والتابعين، فلما وصل إلى الحسين بن علي عليه السلام، أورد معظم أخبار أهل السنة حول أبعاد شخصية الإمام عليه السلام وأحياناً ينقل بعضها بأسانيد مختلفة، إلا أن ما قام به لا يخلو من نقاط ضعف، نجملها بما يلي:

- ١ - اعتمد على روايات ابن سعد فقط، ونظر إلى عاشوراء من منظور ابن سعد وتوجهاته، مع توفر روايات من الطبقة الأولى بهذا الشأن كمقتل أبي مخنف.
- ٢ - لم يهتم ابن عساكر بتدوين التاريخ، بل بذل عنايته بالسيرة والرجال، وقام بالتحريف والجعل الواضح، وأتى بروايات لم يرد لها ذكر في طبقات ابن سعد، ولم تُضبط في أي مصدر قبله، من جملتها مشاركة الإمام الحسين عليه السلام في الحملة على القسطنطينية بقيادة يزيد بن معاوية، وحضور الحسن والحسين عليه السلام لدى معاوية

وإغداقه العطايا عليهما، ودخول الحسين عليه السلام على معاوية وإطلاق لقب خال المؤمنين عليه، وعشرات الأخبار المجعولة التي لم يرد لها ذكر في أي مصدر، قد نقلها ابن عساكر كدليل على العلاقة الحسنة بين الإمام الحسين عليه السلام وبني سفيان؛ بهدف إضفاء الشرعية على حكم بني سفيان، وإظهارهم بوشاح الدين والشرعية^(١).

٣ - إن مناقشة أسانيد روايات ابن عساكر ومحتواها حول عاشوراء، وميوله الواضحة تجاه معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد يتطلب مجالاً أوسع ودراسة مستقلة، إلا أننا نجد تناقضات كثيرة في أخباره؛ ذلك لأنه لم يستطع أن يُنكر بشكل كامل الروايات والأحاديث الكثيرة في مقام الإمام الحسين عليه السلام ومنزله، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أورد روايات عديدة موضوعة لا أساس لها من الصحة حول تنزيه بني سفيان مما اقترفوه.

ب - إضافة إلى ابن عساكر فهناك من هم على شاكلته من أصحاب السير، الذين لم يكونوا طلاب حقيقة، حيث أقبلوا - بحسب ما يقتضيه عملهم - على الروايات الموضوعة والأساطير ووجدوا في روايات ابن سعد حول عاشوراء ضالتهم المنشودة، كشمس الدين محمد الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، حيث استند في كتابه (تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء) إلى روايات ابن سعد ومن لفّ لفّه، والتي منها خبر عمار الدهني الذي أوردته في مقام توجيه ما اقترفه يزيد، كما نقل نصائح بعض الصحابة للإمام الحسين عليه السلام بصورة مبالغ فيها جداً واحترازه عن نقل خطب الإمام الحسين عليه السلام حول الأوضاع والظروف المحيطة به، وأسباب ثورته، وخصوصيات الحكم والحاكم العادل^(٢).

(١) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق: ص ١٠-١١.

(٢) أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: حوادث عام ٦١-٨٠.

ج - نقل جمال الدين يوسف المزي في القسم الأول من تهذيب الكمال روايات ابن سعد المتعلقة بحركة الإمام عليه السلام من المدينة وحتى خروجه من مكة، والأخبار الواردة عن شهادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيضاً نقل نصائح بعض الصحابة للإمام عليه السلام بشيئه عن المضي في مسيره نحو العراق.

ونقل حتى الرسائل الموضوعه لمروان بن الحكم وعمر بن سعد إلى ابن زياد بمدارة الحسين عليه السلام بشكلٍ كامل، ولكنه اهتم كثيراً بخبر عمار الدهني حول مسير الإمام الحسين عليه السلام من مكة، رغم ما في خبر عمار الدهني من هفوات، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على الوضع المتعمّد، والتحريف الواضح لنهضة الإمام الحسين عليه السلام.

د - وقد تبع ابن حجر العسقلاني نهج المزي وسائر أصحاب السير حول نهضة الحسين عليه السلام في كتابه (تهذيب التهذيب) وجعل نصب عينيه رواية ابن سعد المتعلقة بعاشوراء والقضايا المحيطة بها، واستعان كذلك في بعض المواضع بخبر عمار الدهني، وبهذا النحو أعاد كتابة تاريخ عاشوراء بنظرة تفتقر إلى الموضوعية، وهذا النهج اختطّه أيضاً في كتابه الآخر (الإصابة في تمييز الصحابة)، وقد أدّى ذلك إلى تحريف تاريخ واقعة عاشوراء^(١).

هـ - أورد ابن كثير الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤هـ) أكثر الأخبار تحريفاً عن هذه الواقعة، ونقل تفاصيلها في كتابه المعروف (البداية والنهاية)، وصرح دون أدنى مواربة أو لبس قائلاً: «وساق محمد بن سعد كاتب الواقدي هذا سياقاً حسناً مبسوطاً»، وبهذه الصورة رجّح نقل الأخبار الغاصّة بالتحريف والتناقض عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام واعتبرها الأفضل.

(١) أنظر: المزي، يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ج ٢، ص ٢٩٩.

(٢) أنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٢، ص ٣٠٥. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٢، ص ٦٩.

ثمَّ إنَّه قام بالنقل عن الرواة الآخرين كأبي مخنف؛ كي يزيل عن نفسه تهمة التقليد المحض لابن سعد، ويُضفي الطابع العلمي الموضوعي على روايته، إلَّا أنَّه اعتمد بصورة رئيسة على نقل ابن سعد، وإنَّما جاء بأخبار غيره من الرواة للتأكيد على روايات ابن سعد وتوجُّهاته، وقد اتَّبَعَ ابن كثير في كتابه الآنف الذكر أستاذه ابن تيمية، وسلك منهجاً متعصباً ومتطرِّفاً مناوئاً للشيعة، حتى زاد في التعصُّب والتطرُّف على أتباع يزيد أنفسهم في مواضع، وفي مواضع أخرى انتقد ابن عساكر لنقله أخباراً بخصوص دخالة يزيد باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وفي مواضع أخرى يُشكل على أبي مخنف، ويعتبره منشأ الكثير من الأكاذيب دون أن يأتي بدليل على اتِّهاماته هذه^(١).

ومن الطبيعي أن ينقل ابن كثير الروايات المزعومة أو المختلقة التي تشني على يزيد، كمشاركة الإمام الحسين عليه السلام في حملة المسلمين على الروم في عهد معاوية دون أن يقدم دليلاً على ذلك، فقد ذهب أبعد من ابن عساكر في تنزيه بني أمية وتقديسهم لا سيما معاوية، حيث ينقل أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان لديه سفر سنوي إلى الشام بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام، وحضوره في مجلس معاوية واحترام معاوية له، ومَّا يجدر ذكره أنَّ هذا النقل أورده مثل ابن عساكر في البداية ليدلَّ على انحيازه التام لمعاوية وابنه يزيد، من هنا قد تجاهل ابن كثير منذ البداية التحري عن الحقيقة والموضوعية الذي هو من مستلزمات التدوين العلمي المنهجي^(٢).

وهو ممَّن أنكر إرسال سبايا أهل البيت عليهم السلام ورأس الإمام الحسين عليه السلام إلى الشام بهدف إثبات براءة يزيد، وقام في هذا السياق بردِّ الحقائق التاريخية المسلمة حتى عند

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٧٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٨، ص ١٦١.

أهل السنة أنفسهم دون إبداء أي دليل أو سند^(١)، رغم أنه كان يرفع يده أحياناً عن هذا الإنكار في بعض المواضع لكنه حينها عرج على أخبار إرسال الرأس الشريف وقع في التناقض الصريح لما قال: «وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين، هل سيّره ابن زياد إلى الشام إلى يزيد أم لا؟ على قولين، الأظهر منهما أنه سيّره إليه، وقد ورد في ذلك آثارٌ كثيرة»^(٢).

وهذه الطريقة أراح نفسه عن الإتيان بدليل على ذلك من التاريخ سواء أكان معتبراً أم لا.

وهو غالباً ما يتشبث باجتهاده وظنّه بدل التمسك بأخبار معتبرة عن عاشوراء، لما أنكر رضا يزيد بقتل الحسين عليه السلام قائلاً: «والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يُقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه، وكما صرح هو به مخبراً عن نفسه بذلك، وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك، وشمته فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك، والله أعلم»^(٣).

في هذا المقطع من كلام ابن كثير نلمس جعل أخبار عدم رضا يزيد بقتل الحسين عليه السلام ووصية معاوية لابنه يزيد بمداراة الحسين عليه السلام، ونلاحظ تحبّطه وحيرته من النقد الوارد على رأيه ببراءة يزيد، حينما تصدّى للإجابة بدل بيان عدم صوابه ومجانبتها الحق، ثم يختمه بجملة: والله أعلم.

وعلى أيّ حال، فابن كثير انطلاقاً من نزعة الأموية لا يأبه من إمساك القلم وتحريف الوقائع التاريخية والحقائق المسلّمة، التي هي أظهر من الشمس في رابعة النهار

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٧٩.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٨، ص ٢٠٩.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ج ٨، ص ٢٢١.

لصالح بني أمية، وتصوير نهضة الحسين عليه السلام وأصحابه بنحوٍ تبتعد عن العقلانية والترّيث والصبر، وينسب إلى يزيد فضائل لم يرد لها ذكر في أيّ مصدر على الإطلاق، منها:

١- يشني على يزيد لحدة دهائه وفطنته، وينظر إلى حماقاته التي قوّضت حكم بني سفيان نظرةً إيجابية.

٢- يلوم ابن كثير الإمام الحسين عليه السلام في مواطن كثيرة؛ بسبب عدم رضوخه لنصائح الآخرين^(١)، وفاته القول أنّ هؤلاء الناصحين اعتراهم الخوف من بطش يزيد وابن زياد، وهل قاموا بتبرير شرعية خلافة يزيد كي يعدل الإمام عليه السلام عن رأيه بالذهاب إلى الكوفة؟ كما نسب إلى الحسين بن علي عليه السلام العجلة وحبّ السلطة والجاه والنفاق، دون التحري عن شواهد تاريخية أو روائية أو قرآنية تعضد مدّعا.

(١) لا يصدر هذا اللوم إلّا عن جاهل بحقيقة الأمور، وقد كشف الدكتور أحمد محمود صبحي عن جانبٍ منها لما قال: «لقد كان بقاء الحسين حيّاً غصةً في حلق يزيد، سواء بايع أم لم يبايع، ولو أنّه بايع لكانت بيعته حجةً للأمويين على الشيعة، ولكنها لاتبعث على الرضا ما بقي حيّاً، فما كان الأمويون إذاً ليتركونه لدينه لو هم أنّ يبايع، ولقد عوّّل الحسين ألا يموت بيد خارجي يدفعه هوس الاعتقاد إلى أن يقدم النصر من حيث لا يريد للأمويين، كما صمّم ألا يضيع دمه هدرًا بغدرة لاتثبت حقاً ولا تجعل له ديةً أو قصاصاً بقدر ما تقدّم لعدوه نصراً مؤزراً يسجد لله على هذه الغدرة شكراً، في دور هذا يتّضح موقف الحسين حين أصرّ على الخروج بالرغم من نصيح الناصحين له، ولم يكن ذلك منه عناداً أو ركوباً لرأسه». صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: ص ٣٣٣.

كما كشف العلالي عن جانب آخر، إذ يرى أنّ مبايعة الخليفة الفاجر تعني خدمة أهوائه الشريرة، وميوله الفاسقة، فكان ضرورياً أن يأبى الإمام مبايعة يزيد على شهوته وأهوائه وفواحشه، وأن ينكر وأن يثور ما دام قد أراح ضميره وأرضى ربّه، فلم يصغ إلى أمير، ولم يسمع من مُشفق، ولم يتراخ أمام سلطان أو قوة غاشمة، وأبى أن يرضى للمؤمنين بالدنية والخسف، فأعلن الإنكار، ولم يعطِ أذنه إلى من نصحه بالبقاء دون الخروج؛ لأنّ عدم خروجه تعني حتف المسلمين قاطبة. أنظر: العلالي، عبد الله، سمو المعنى في سمو الذات: ص ١٢٦. (المترجم).

٣ - ممّا قام به ابن كثير هو نقل خطبة بليغة لابن زياد حينما عزم على الذهاب إلى الكوفة، وحذف خطب الإمام الحسين عليه السلام، وقد أسفر كلّ هذا عن تبرير ما ارتكبه يزيد من جرائم بشعة، وتحريفٍ فاضح لتاريخ ثورة كربلاء.

٤ - ذكر أخباراً حول شهادة الحسين عليه السلام تدلّ على أحقيته عليه السلام وأصحابه، وبطلان نهج يزيد وابن زياد على الصعيد الحماسي والعاطفي والمعنوي والعرفاني، تحت عنوان (بعض المشايخ) إلى جانب أخبار أبي مخنف للحدّ من تأثير شهادة الإمام عليه السلام على مختلف الأبعاد، ولإنقاذ يزيد من حربة الاستهداف والذمّ، فهو في الواقع من خلال حملاته المكرّرة على أبي مخنف يدعم الروايات المخالفة والتي أغلبها مرسلة ومجهولة الراوي، وبذلك يقوم بدور تكميل حلقة تحريف التاريخ بدل الإصحاح بالحقيقة والواقع.

ويتدرّج عند بيان حادثة عاشوراء في ذمّ الشيعة، ويجد أنّ مهمّته الأولى تتلخّص في نفي التشيع، وتكذيب الأخبار الواردة عن حادثة كربلاء - والتي نالت قبولاً لدى أوساط الشيعة وفريق كبير من أهل السنة - دون أدنى تأمل.

وثمّة مصادر دُوّنت بعد القرن السابع الهجري وكانت ناظرة إلى ما سبقها من مصادر وسوف نستعرضها في ثانيا هذا الكتاب.

وقد نظر محقّقو أهل السنة المعاصرين إلى حادثة عاشوراء نظرةً إيجابية، وظفروا بحقائق تاريخيّة عبر انتهاج أسلوب علمي موضوعي، وكشفوا النقاب عن أبعاد أخرى لهذه الحادثة، ودعوا الناس إلى التأمّني بها، والنظر إليها كحركة تحرّرية.

وفي نفس الوقت تبنت ثلّة من الكتّاب المعاصرين الدفاع عن مواقف ابن تيمية وأتباعه كابن كثير، التي نجد جذورها في الروايات الموضوعة لابن سعد في طبقاته وتأكيدهم عليها تحت عناوين مختلفة، كالدفاع عن الحضارة الإسلامية، أو البحث في التاريخ بموضوعية بعيداً عن العواطف والعقائد المسبقة.

وفي هذا السياق - الدفاع عن يزيد وتأيد الخط الأموي - صدرت كتب في هذا المجال، منها: (تاريخ الدولة الأموية) و(تاريخ الأمم الإسلامية) و(تاريخ الدولة العباسية) للشيخ خضري بك المصري، وكتاب (براءة يزيد بن معاوية من دم الحسين) للدكتور محمد إبراهيم، وكتاب (أباطيل يجب أن تُمَحَى من التاريخ) للدكتور إبراهيم شعوط، هذا إلى جانب الكتب التي صنّفها الوهابية والتي عند مقارنتها بالمؤلّفات التحقيقية الكثيرة لأهل السنة لا يُعتدّ بها.

هذه الفئة وخلافاً لادّعاءاتها وتبريراتها الوهابية، قد ذبحت التاريخ والحقيقة على مسلخ المصالح الفئوية والمذهبية، وزاغت عن الصواب في أحداث عاشوراء وثورة كربلاء، وبذلك خلقت المزيد من المشاكل والمتاعب أمام الدراسات العلمية لتدوين التاريخ وكتابته.

الفصل الأول
خلافة يزيد بن معاوية

خلافة يزيد بن معاوية

احتدم جدل في أوساط أهل السنة حول إطلاق عنوان الخلافة على حكم يزيد بن معاوية، فحينما يبحث علماءهم الثورة الحسينية تجدهم وبشكلٍ طبيعي يتأملون في الأسس الشرعية لحكومة يزيد ومشروعيتها، ويقومون بتقييمها والحكم عليها.

مما دعا بطائفة منذ البداية إلى تخصيص الخلافة الإسلامية بالخلفاء الأربعة بعد رسول الله ﷺ والإمام الحسن عليه السلام، ورفضت أيّ توسيع لدائرة الخلافة بعد الحسن عليه السلام، وقد تمسك أتباع هذه النظرة بحديثٍ للنبي ﷺ وأقوال لكبار الصحابة والتابعين، فقد كتب السيوطي يقول: «أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، عن سعيد بن جهمان، قال: قلت لسفيينة: إن بني أمية يزعمون أنّ الخلافة فيهم. قال: كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك من أشّر الملوك وأوّل الملوك معاوية»^(١).

وذهبت طائفةٌ أخرى إلى عدم تحديد الخلافة في إطار زمني معيّن، وأصرّوا على شرعية خلافة يزيد؛ بدليل الخصائص الشخصية ليزيد، وانعقاد البيعة له من قبل غالبية المسلمين، وهؤلاء يعتقدون بأنّ بيعة يزيد تمت من قبل الجميع إلّا ثلّة قليلة من المسلمين، وأوّل من بايع هم أهل الشام، أو أهل الحل والعقد فيها، ثمّ بقية الأمصار

(١) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ١٩٩. ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ص ١٥٥. المبارك، محمد، نظام الإسلام: ص ٥٩. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم، منهاج السنة: ج ٢، ص ٢٣٨-٢٣٩. الترحيني العاملي، محمد حسن، النهضة الحسينية والنواصب: ص ٢٩-٣٠.

وأطرافها، وإلى ذلك أشار ابن خلدون بقوله:

«كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد، وإن كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب، والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية؛ إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش، وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم، فأثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها»^(١).

ويصرّح مؤلف كتاب تاريخ الأمم الإسلامية بذلك ضمن تخطيطه قرار الإمام الحسين عليه السلام بالخروج على يزيد، فعبر قائلاً:

«أما الحسين فإنه خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار هذا الخلاف»^(٢).

وتابعه على ذلك محمد عزة دروزة، حيث وجد في ثورة كربلاء أزمة تهدد خلافة يزيد، وقال:

«كان الحسين معترفاً بشرعية خلافة معاوية المستندة إلىبيعة جمهور أهل الحل والعقد العامة له، ويتنازل الحسن له ويبيعه هو وإخوته له، وهو يعرف أنّ خلافة يزيد مستندة إلى مثل هذه البيعة، ولا يجهل أنّ الخروج على الإمام المستند إلى مثل هذه البيعة موضوع وعيد وتنديد نبوين شديدين، وعدم مبايعته شخصياً ليزيد، وصلته برسول الله صلى الله عليه وآله، واعتقاده بأفضليته وأولويته، بل والتسليم بذلك لا يمكن أن يبرّر له الخروج عليه والدعوة إلى نقض بيعته في نطاق توجيه الأحاديث النبوية العديدة»^(٣).

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدّمة ابن خلدون: ج ١، ص ٢١٠.

(٢) الخصري، محمد، تاريخ الأمم الإسلامية: ج ٢، ص ١٢٩.

(٣) دروزة، محمد عزة، تاريخ الجنس العربي: ج ٨، ص ٣٨٢-٣٨٧.

ومَن اتَّجه هذا الاتجاه في الفترة الأخيرة الدكتور إبراهيم علي شعوط، إذ قام بالدفاع عن خلافة يزيد والتشكيك بشرعية ثورة كربلاء قائلاً:

«يزيد بن معاوية خليفة بايعه المسلمون في العاصمة الكبرى للمسلمين وهي دمشق، التي حلّت محلّ المدينة، وإنّهم يقومون الآن مقام أهل الحلّ والعقد من المهاجرين والأنصار»^(١).

وذهب آخر أبعد من ذلك؛ إذ أنكر مخالفة أهل البيت ﷺ ليزيد والخروج عليه^(٢). إنّ الفهم الصائب لهذه الأقوال بحاجة إلى البحث عن مفهوم الخلافة في التاريخ والفقهاء السياسي لأهل السنة، وهذا لا يتيسر إلّا بالتنقيب في النصوص والأسانيد التاريخية؛ لنرى السبل التي اتخذها يزيد للوصول إلى سدّة الحكم، وأيضاً مدى انطباق تعريف وشروط الخلافة الإسلامية على شخصية يزيد وأفكاره، بهدف فرز الحقائق عن الأباطيل.

مفهوم الخلافة

لم تذكر المصادر التاريخية تعريفاً للخلافة والخليفة، واكتفت بالإشارة بخصوص الخليفة إلى المصاديق والأوصاف، ومدة التصدي للخلافة، ولهذا الأمر أدلة عديدة، منها: وضوح هذا المفهوم لدى المؤرّخين، وفي الواقع فإنّ المؤرّخين من خلال تقرير حياة وسيرة الرسول الأكرم ﷺ عرجوا على عصر الخلفاء، معتبرين فترته تمتدّ منذ عام (١١هـ) حتى نهاية عصر الإمام علي عليه السلام أو الإمام الحسن عليه السلام، أو حتى سقوط بغداد (٦٥٧هـ)، وأطلقوا عنوان خليفة المسلمين على من تسلّم مقاليد الأمور في مركز

(١) شعوط، إبراهيم علي، أباطيل يجب أن تُمحي من التاريخ: ص ٢٤٧.

(٢) محمد إبراهيم، براءة يزيد بن معاوية من دم الحسين: ص ٢٣.

خلافة العالم الإسلامي في دمشق أو بغداد.

والنكتة الأخرى الجديرة بالذكر، هي بيان هذا المفهوم لغةً من خلال كتب اللغة والأدب، وتعريفه الاصطلاحي في الفقه السياسي، والذي ظلّ الاهتمام به غائباً حتى السنوات الأخيرة.

وعلى أية حال فإنّ علماء أهل السنة وبسبب ارتباطهم التاريخي الوثيق والمستمر بالبلاط الحاكم، سبقوا غيرهم من الفرق الإسلامية في بيان الفقه السياسي، والذي من مفرداته مفهوم الخليفة والخلافة، وقلّما نلمس اختلافاً وتشتتاً في هذا المجال.

والخلافة لغةً: تعني نيابة الولي والإمام، وقد ارتبطت إلى حدٍّ كبير بالحكم من منظور فقهاء الإسلام وبعض المؤرّخين، حيث عرّفت على الوجه التالي: «هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتّباعه على كافة الأمة»^(١)، كما نستخلص من تعريف آخر: «إنّ الخلافة هي نيابة النبي في إقامة الدين وحفظ حدوده بنحو لازم الاتّباع»^(٢).

وذكر أبو الحسن الماوردي تعريفاً آخر للخلافة حيث قال: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجبٌ بالإجماع»^(٣).

و هذا التعريف في الواقع لا يختلف عن التعريف السابق إلّا في الألفاظ، ومن بين المؤرّخين المسلمين الذين قاموا بتعريف الخلافة، عبد الرحمن بن خلدون، فقد أضفى عليها صبغة دينية، حيث قال:

(١) الإيجي، المواقف: ج٣، ص٥٧٩.

(٢) أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية: ص٢٩.

(٣) الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ص٣.

«الخلافة في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»^(١).
ويمكن القول من مجموع ماتقدّم أنّ الخلافة: هي نيابة النبي ﷺ في حفظ وتفسير
ونشر الدين وتدبير أمور المسلمين بالاستناد إلى أحكام الدين ونظرياته.

شروط الخلافة

بعد اتّضح مفهوم الخلافة من منظار أهل السنة، نرى من المناسب بيان شروط
الخلافة، فما هي الشروط والخصوصيات اللازمة لتولّي الخلافة الإسلامية، وعلى
ضوئها تكون خلافته شرعية، فإذا اختل شرط أو عدّة شروط منها زالت الشرعية عن
الخلافة؟

وباللقاء نظرة خاطفة على مصادر وآثار أهل السنة التي دوّنت حول الخلافة
والخلفاء، نستنتج أنّهم وبسبب تراكمات تاريخية لم ينظروا في القرآن والسنة النبوية
بموضوعية وتجرد، كي يتم على ضوء ذلك البحث عن الخلافة الإسلامية وشروطها
بنزاهة، بعيداً عن أيّ حكم مسبق أو متحيّز، ومن ثمّ البحث عن كيفية انتقال الحكم،
بهدف تطبيق معايير وشروط الخلافة على من ادّعاها، أو على من تولّاها قهراً في تاريخ
الإسلام.

وذهب علماء أهل السنة إلى اعتبار سيرة الخلفاء الراشدين حجّة وفصل الخطاب،
بسبب استبعاد ارتكابهم للذنوب، من هنا اعتبروا الخط الذي سار عليه الخلفاء في
الحكم وخصوصياته من جملة الشروط الشرعية وآلية مقبولة لنقل الخلافة الإسلامية
ودوامها، وأنّ الشروط التي اعتبرها علماء أهل السنة في ذلك بعد ملاحظة
خصوصيات الخلفاء الراشدين، عديدة ومتنوعة وأكثرها محل اتفاق بينهم إلّا كونه

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون: ج ١، ص ٢٣٧.

قرشياً فقد اختلفوا فيه، وإليك تلك الشروط بشكل مقتضب:

أ. العدالة

هذا الأصل محلّ اتفاق بين علماء أهل السنة، فقد ذهب الفقهاء والمؤرخون من أهل السنة إلى أنّ العدالة شرطٌ لازمٌ لتولّي الخلافة، والفاسق ليس جديراً بالإمارة على المسلمين وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر الدين والدنيا، نعم أسلوب بيان هذا الموضوع مختلف عند العلماء، فعلى سبيل المثال صرح أبو يعلى الفراء الحنبلي بهذا الشرط في ضمن الشرط الثاني عند بيان شروط الخلافة، وقال: «وأما أهل الإمامة فيعتبر فيهم أربع شروط... الثاني: أن يكون على صفة من يصلح أن يكون قاضياً، من الحرية والبلوغ والعقل والعلم والعدالة. والثالث: أن يكون قيمياً بأمر الحرب والسياسة وإقامة الحدود، لا تلحقه رافة في ذلك، والذب عن الأمة. الرابع: أن يكون من أفضلهم في العلم والدين»^(١).

وقد كتب الماوردي عند بيان شروط أهل الإمامة يقول: «وأما أهل الإمامة فالشروط المعتر فيهم سبعة: أحدها: العدالة على شروطها الجامعة»^(٢).

وهناك من ذهب إلى أنّ العدالة شرطٌ لازمٌ للخليفة وإمام المسلمين، وإذا كان هناك ترديد أو إبهام فإنما يقع في الشروط الزائدة عليها، كالشجاعة والقرشية ونحوها، ويرى ابن خلدون أنّ العدالة شرطٌ لازمٌ للخليفة، وقد خالف بشدة عدم تحقق هذا الشرط في يزيد بن معاوية حينما عقد معاوية له ولاية العهد، أو على الأقل أنّ معاوية كان على علم بذلك، ومع ذلك أصرّ على أخذ البيعة له، ويقول: «وأما العدالة فلائنه منصبٌ دينيٌّ

(١) أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية: ص ٢٠. القلقشندي، أحمد بن عبد الله، مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ج ١، ص ٣١-٣٩. النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين: ص ٤٥.

(٢) الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ص ٣١. المبارك، محمد، نظام الإسلام: ص ٦١. ٦٤-

ينظر في سائر المناصب التي هي شرطٌ فيها، فكان أولى باشرطها فيه، ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وأمثالها^(١).

وحول جهل معاوية بفسق يزيد، يقول: «إيّاك أن تظن بمعاوية أنّه علم ذلك من يزيد، فإنّه أعدل من ذلك وأفضل، بل كان يعذله أيّام حياته في سماع الغناء وينهاه عنه^(٢).

والنكته التي لا ينبغي استبعادها هي تأكيد بعض الفقهاء على عدالة المجتمع، وقد عبّر البعض بالعدالة والتدين، والمراد منها وجود العدالة بكلا المعنيين:

١- وجود ملكة في المرء تمنعه من ارتكاب الذنوب الكبيرة وتكرار الذنوب الصغيرة.

٢- السلوك المتّصف بالقسط والعدل مع الناس.

ب. الفقهة

شرط الفقهة محلّ اتّفاق بين أوساط علماء الإسلام لا سيما أهل السنة، كما مرّت الإشارة، وقد قام بعضُ بيان أنّ الخليفة لا بدّ أن يتمتّع بأعلى درجات الفقهة كي يتصدّى لمقام القضاء، وأمّا البعض الآخر فصّرّح أنّه: «العلم المؤدّي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام»^(٣)، كما كتب الجرجاني عند شرحه لكتاب المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي، يقول: «الجمهور على أنّ أهل الإمامة ومستحقّها من هو مجتهد في الأصول والفروع»^(٤).

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون: ص ١٥٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٦٧.

(٣) الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ص ٣١. القلقشندي، أحمد بن عبد الله، مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ج ١، ص ٣٧.

(٤) الشريف الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف: ج ٨، ص ٣٤٩. الشافعي، محمد بن إدريس، الفقه الأكبر: ص ٣٩.

وتصدّى أحد المحقّقين للبحث في هذا المقام، وذهب إلى أن شرط الفقاهاة للإمام وخليفة المسلمين محلّ اتّفاق بين علماء أهل السنة، وأكّد: أنّ القدر المتيقّن لشرعية الحكم من منظار علماء الفريقين هو الحكم الذي على رأسه الفقيه، وقد صرّح جمهور فقهاء أهل السنة بذلك، وذهبوا إلى أنّ الفقاهاة شرط لصحّة انعقاد البيعة والخلافة، كما صرّح بذلك إمام الحرمين الجويني استناداً لما نقل عنه في كتاب الأحكام السلطانية، وكلمات فقهاء أهل السنة في هذا الصدد كثيرة^(١).

ج- الشروط الأخرى

من جملة الشروط اللازمة الأخرى لإحراز مقام الخلافة هي الذكورية والشجاعة والتدبير والسياسة والنسب والسلامة الجسمية والنفسية، وهذه شروط ضرورية لانعقاد الخلافة ودوام مشروعيتها وقد ذكرها العلماء تحت عناوين مختلفة.

آلية انتقال الخلافة

من الأمور التي استحوذت على اهتمام الباحثين وعلماء الإسلام لا سيما أهل السنة بشأن الخلافة كيفية انتقال الخلافة والآليات الشرعية المتبعة فيه، وقد خصّصت بعض المصادر ذات الصلة مساحة من اهتمامها بهذا الموضوع تحت عنوان (وجوه انعقاد الإمامة)، حيث تطرّقت فيه إلى البحث عن أصول وشروط انتقال الخلافة كماً وكيفاً، وطرحت وجهات نظر عديدة في هذا الخصوص.

وبصورة عامّة تنقسم الآليات الشرعية في هذا الصدد إلى قسمين، لكلّ منهما خصوصيات ومزايا:

(١) الآصفي، محمد مهدي، مجله پژوهش وحوزه (مجلة الأبحاث والحوزة)، السنة الثانية، (١٣٨٠ هـ.ش)، العدد السابع: ص ٧٦-٧٧.

أ. عهد الإمام والخليفة السابق

إنّ من السبل الشرعية في انعقاد الإمامة أو الخلافة لدى أهل السنة هو تعيين ونصب الخليفة السابق، فيتمسّكون بعهد الخليفة الأوّل للخليفة الثاني، وبعهد الخليفة الثاني إلى ستّة من الصحابة بتعيين الخليفة بعده، ويعدّ ما قاما به دليلاً شرعياً عند أهل السنة لهذا النحو من الاختيار.

ب. اختيار أهل الحل والعقد

السيبل الثاني لانعقاد الخلافة والانتقال الشرعي للحكم هو اختيار أهل الحل والعقد والذي يعبر عنه بأهل الرق والفتق، وهم أهل الخبرة في الأُمّة الإسلامية؛ لأنّ في رضاهم رضا العامّة، هذه الجماعة هي في الواقع انعكاس للرأي العام وممثّل عنه. وقد تضاربت الآراء في مصادر أهل السنة حول العدد اللازم لانعقاد أهل الحل والعقد، فذهبت طائفة إلى أنّها لاتنعقد إلّا بجمهور أهل الحل والعقد في كلّ بلد؛ ليكون الرضا به عامّاً والتسليم لإمامته إجماعاً، وقامت طائفة أخرى برّد هذا الشرط تمسّكاً بمنهج اختيار الخليفة الأوّل أو الخليفة الثاني والثالث، حتى وصل بها الأمر إلى الاكتفاء بشاهدين في انعقاد الخلافة، مثل النكاح، حيث ينعقد مع حضور الولي وشاهدين، حتى قيل: إنّه يكفي في ذلك العلم برضا مجموعة من أهل الحل والعقد أو موافقة واحد منهم.

وقد لجأ بعض إلى الارتقاء في أحضان مصطلح أهل الشوكة للتخلّص من هذا التهافت، واعتبروا أنّ أهمّ شرط لانعقاد الإمامة هو موافقة أهل الشوكة، وأكّدوا في الوقت نفسه أنّ هذا الشرط محلّ اتّفاق أهل السنة.

وتنعقد الإمامة لدى أهل السنة بموافقة أهل الشوكة، ولا يبلغ أحد مقام الإمامة إلّا إذا اتّفق عليه أهل الشوكة؛ لكي يتحصّل بذلك المقصود والغرض من الإمامة،

والمقصود منها إفساح المجال أمامه لتولي السلطة، وعليه حينما تحصل البيعة تسلّم إليه السلطة، ويصبح الفرد المختار إماماً.

من الواضح أنّ المراد من الموافقة العامّة التي تعقب موافقة أهل الحل والعقد أو أهل الشوكة، هي الموافقة الحرّة التي تبني على الوعي والتعقل، كما أنّه ليس ثمة إجبار وإكراه في حقّ المختار كإمام.

و رغم ذلك فإنّ هذين المنهجين يمكن جمعهما، فقد ذكر المنظرون أنّه لا يكفي تعيين الإمام السابق فقط، بل لا بدّ من انضمام اتفاق أهل الحل والعقد إليه. والذي يستتج من القرائن الحافّة بكلامهم أنّ المهم هو اتفاق أهل الحل والعقد أو الخبراء الحاكي عن رضا الناس المسلمين، وهذا الأمر يقتضي انعقاد الخلافة شرعاً.

أمّا الشروط والخصوصيات اللازم توفّرها في أهل الحل والعقد، فليس ثمة اختلاف يُذكر حولها، وذكرت المصادر المختلفة ثلاثة شروط لازمة، هي:

١ - العدالة الجامعة للشروط.

٢ - العلم الذي يتوصّل من خلاله إلى معرفة الإمام الجامع للشروط واختياره.

٣ - الرأي والحكمة المؤدّيان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح، ويتدبير المصالح أقوم وأعرف^(١).

ويترسّح عن أخذ تلك الشروط بنظر الاعتبار - فيما لو تمّ الاتفاق - أثر شرعي، ولا بدّ من ضمّ أهل الشوكة إلى تلك الشروط وإلاّ سوف نقع في ورطة التهافت، وما يعقب ذلك من تمهيد الأرضية لتقديس أصحاب القدرة والنفوذ والانقلابات العسكرية ونهب الأموال.

(١) أنظر: الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية: ص ٣١.

شروط استخلاف الخلفاء الراشدين

حاز الخلفاء الراشدون عند أهل السنة على شروط الخلافة الإسلامية من جهات مختلفة، واستلموا مقاليد الخلافة بآليات شرعية، كما حازوا على ملكة العدالة وساروا في المجتمع بعدل، ويشير إلى هذا الأمر الخصوصيات التي ذكرتها الكتب الحديثية والرجالية والتاريخية في وصفهم.

من جانب آخر كانوا من الصحابة، الذين يشملهم الحديث المنسوب إلى النبي ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(١)، ولأجل هذه العدالة الإسلامية والتقوى الإلهية التي تمتعوا بها، فقد عهد كل خليفة إلى الخليفة بعده، دون أن يمت إليه بقرابة أو صلة، وهكذا الحال لدى الصحابة الستة الذين اختارهم الخليفة الثاني لاختيار الخليفة بعده، وأمّا فقاهتهم فإنّ فقهاء الأمة الإسلامية في عهد الصحابة قد صنفوا إلى ثلاثة أصناف يأتي عمر وعلي رضي الله عنهما في الصنف الأول - حسب عقيدة أهل السنة - ومن ثمّ أبي بكر وعثمان في الصنف الثاني^(٢).

ولما كان أهل السنة قد اتخذوا موقفاً انفعالياً تجاه الخلافة، فدعاهم هذا الموقف إلى تبني فكرة كفاية الفاضل وحتى المفضول للخلافة مع وجود الأفضل والأفقه، من هنا أبدوا رضاهم بخلافة أبي بكر مع وجود علي رضي الله عنه وعمر، وبخلافة عثمان مع وجود علي رضي الله عنه باعتبارها تتمتع بالمواصفات الشرعية، وكان للخلفاء الراشدين مقام الفقهاء الذي هو شرط التصدي للخلافة الإسلامية، لذا لم يواجه أهل السنة مأزقاً، رغم أنّ الأبحاث والنظريات المطروحة حول الخليفة ومقام الخلافة قد دوّنت بعد يزيد والخلفاء الراشدين في القرنين الثالث والرابع.

(١) ابن عبد البر، يوسف، جامع بيان العلم وفضله: ص ٩٠.

(٢) أنظر: أحمد نعمتي، اجتهاد وسير تاريخي أن از دیدگاه أهل سنت (الاجتهاد وحركته التاريخية عند أهل السنة):

يزيد بن معاوية وشروط الخلافة

بعد أن استعرضنا وجهة نظر أهل السنة إزاء مفهوم الخلافة وشروطها وكيفية انتقالها، فمن الأجدر هنا أن نخرج على يزيد بن معاوية الذي يعتبر عند بعض فرق أهل السنة أميراً للمؤمنين، وأن الخروج عليه خطأ ومنكر، حتى أن البعض اعتبر حادثة عاشوراء تحدياً لخلافته، لنرى هل أنه كان حائزاً على شروطها.

إن إبرز شروط الخلافة عند أهل السنة والتي لا بد من توفرها لدى كل من ادعى الخلافة قبل تسلّم مقاليدها هو العدالة والفقاهة، هذان الشرطان من الشروط الأساسية التي على ضوءها يتم التصدي للخلافة، وبدونها لا أثر شرعي لها، سواء ظفر بالخلافة عنوة أم بأسلوب آخر، ذلك أنه حينما يتنفي الشرط يتنفي المشروع، فمن افتقد العدالة أو الفقاهة لا يصدق عليه عنوان الخليفة من باب السالبة بانتفاء الموضوع.

عدالة يزيد

كما هو واضح فإن البحث والتنقيب عن هذا الموضوع على غرار سائر مواضيع هذا التحقيق بحاجة للعودة إلى المصادر التاريخية لعلماء أهل السنة، إذ هناك أمور كثيرة حول سيرة يزيد وتربيته وأخلاقه وردت في مصادر أهل السنة، ومن حسن الحظ لانعاني في هذا الموضوع من سكوت التاريخ أو إهمال المؤرخين لهذا الجانب، وسنلقي نظرة سريعة على هذا الموضوع.

البيئة والتربية

لا شك أن للبيئة والتربية تأثيراً كبيراً على أخلاق المرء وسلوكه، وكيفية بلورة شخصيته وهويته، ولهذا شاع استخدام جملة (العلم في الصغر كالنقش في الحجر) الواردة في ضرورة تلقي المعارف والتعاليم والثقافة التربوية والتعليمية في سنّ الصغر، ولاقت إقبالاً واسعاً.

ولم يُستثنَ يزيد من ذلك، فقد ترعرع في أحضان أجواء عائلية وقبلية، واكتملت شخصيته وتبلورت أفكاره تحت ظلّ تلك العناصر، ومع أخذ ذلك الأصل البديهي والمسلم بنظر الاعتبار، سوف نسلط الأضواء على ملامح تربيته، حيث كتب عبد الله العلايلي أحد المؤرّخين من أهل السنة عن يزيد وثورة كربلاء، قائلاً:

إنّ يزيد نشأ نشأةً مسيحية، تبعد كثيراً عن معارف وآداب الإسلام؛ وذلك لأنّ يزيد يرجع بالأمومة إلى بني كلب، هذه القبيلة التي كانت تدين بالمسيحية قبل الإسلام، ومن بديهيّات علم الاجتماع أنّ انسلاخ شعب كبير من عقائده يستغرق زمناً طويلاً، على أنّ طائفةً من المؤرّخين ترجّح أنّ من أساتذته بعض نساطرة الشام من مشاركة النصارى، وإذا صحّ هذا نعر على سببٍ خطير أيضاً يساعده على أن يظهر بهيئة الساهر من الأوضاع التي يأخذ المجتمع بها نفسه، كما أنّ القبلية عملت فيه عملها فخرج جافياً ذا عصبية قاسية^(١).

كما راح في موضعٍ آخر، يقول: «ذكروا أنّ يزيد عُرف بشرب الخمر، واللعب بالكلاب، والتهاون بالدين، ويلهو بالنرد، ويتصيد بالفهود، ومن شعره:

أقول لصحب ضمّت الكأس شملهم وداعي صبايات الهوى يترنّم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكلّ وإن طال المدى يتصرّم

وكان صاحب طرب ومنادمة على الشراب، جلس ذات يوم على شرابه وعن يمينه ابن زياد بعد قتل الحسين فأقبل على ساقيه، فقال:

اسقني شربةً تروي مشاشي ثمّ مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

(١) أنظر: العلايلي، عبد الله، تاريخ الحسين نقد وتحليل: ص ٢٤٠ - ٢٤١. العلايلي، عبد الله، سمو المعنى في سمو الذات: ص ٧٩ - ٨١.

ثم أمر المغنّين فغنّوا في مجلسه، وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من المنكرات والفسق والفجور، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي^(١).
والواقع أنّ انتساب يزيد بن معاوية إلى قبيلة بني كلب النصرانية يشكّل بؤرة مظلمة ووصمة عارٍ له، ولم يكن هذا الأمر خافياً على المسلمين في عهد معاوية بن أبي سفيان، كما أنّهم لم يقفوا على هذه الحقيقة فحسب، بل كان القلق يساورهم حيال تربية يزيد وتنشئته نشأة إسلامية، حتى أنّ سعيد بن عثمان أحد المقرّبين لمعاوية قد صرّح بذلك وأبلغ معاوية عن قلقه حيال مستقبل يزيد ومؤهلّاته، ولم ينكر عليه معاوية ذلك، بل أخذه أخذ المسلمات^(٢).

يزيد والتراث الفكري لأبي سفيان

لم يكن لأجداد يزيد بن معاوية ماضيٌ مشرقٌ في التاريخ، فعلاقاتهم بالإسلام وبالنبي صلّى الله عليه وآله لم تكن في يومٍ ما علاقات طيبة، فقد كان جدّه أبو سفيان بن حرب بن أميّة من أثرياء مكة، وكان خصماً لدوداً لرسول الله صلّى الله عليه وآله، ولما فتحت مكة عام (٨هـ) استسلم أبو سفيان وأبناؤه، ومنهم معاوية وأتباعه، ولكن النبي خلّى سبيل أهل مكة وأطلقهم ولم يسترقّهم بما فيهم أبو سفيان وأبناؤه، الذين طالما أضمرّوا العداء للإسلام، وحاكوا المؤامرات ضدّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، إذ قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، من هنا أطلق على أبي سفيان وأبنائه بالطلقاء وليسوا من المهاجرين ولا الأنصار الذين

(١) العلابي، عبد الله، تاريخ الحسين نقد وتحليل: ص ٢٤٠ - ٢٤١. العلابي، عبد الله، سمو المعنى في سمو الذات: ص ٧٩ - ٨١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٢٤٩.

(٣) وهو القائل: «أحبّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد» أنظر: الواقدي، محمد بن عمر، المغازي: ج ٢، ص ٤٢٢. الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية: ج ٢، ص ٦٢٩. المقرّبي، أحمد بن علي، إمتاع الأسعاج: ج ١، ص ٢٢٢. (المترجم).

كانوا يشكّلون معظم مسلمي صدر الإسلام^(١).

وتدلّ الشواهد التاريخية على أنّ أبا سفيان وبنى أمية لم يعتنقوا الإسلام عن حبٍّ ورغبة، بل نظروا إليه كطعنة، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، واستمروا على هذا المنوال: أ - وقد سمع أبو سفيان - مثل سائر قريش - بدعوة النبي ﷺ منذ بداية البعثة ولم يظهر رغبةً في قبولها أبداً، بل على العكس سعى إلى إطفاء هذا النور الإلهي وإلى اغتيال رسول الله ﷺ، فقد خاض حروباً عديدة سعيّاً منه للقضاء على هذا الدين الخالد إلى الأبد، وكان له - بشكلٍ مباشر أو غير مباشر - دورٌ قيادي في غزوة بدر وأحد والأحزاب وغيرها، وفي خضم تلك الغزوات ألحق بالمسلمين وقريش خسائر بشرية ومادية باهظة، ناهيك عن الضغوط المستمرة والحصار الاقتصادي الذي مارسه، كما كان يصرّ على أفكاره الجاهلية والقبلية والطبقية التي غرست في أعماق قلبه، وكان يؤمن بها بكلّ وجوده، وعليه فليس من المعقول أن يتخلّى هذا الشخص عن ثقافته الجاهلية المتأصلة عام فتح مكة، بعد أن فقد آخر حصون المقاومة والدفاع، ويعتق الإسلام بإخلاص ودافع قلبي^(٢).

ولم يكن يشعر برغبة إلى اعتناق الإسلام حين فتح مكة بل إنّ إخفاقاته وهزائمه المتكررة في الحروب التي خاضها ضدّ رسول الله ﷺ قد عمّقت شرخ الحقد والانتقام في وجوده، فتحول كلّ إلى حسد وحقد وانتقام، من هنا فإنّ إسلامه كان حركة تكتيكية وتغيير في أسلوب المواجهة قبل أن يكون تحولاً فكرياً^(٣).

ب - ثمة عوامل مختلفة تركت تأثيراً عميقاً على مناهضته للإسلام، منها زوجه هند

(١) المقرئ، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم، تحقيق محمد عرنوس: ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٩ - ٣١.

التي ساندته في هذا السبيل، والتي فقدت أباه وأخاه وعمّها في غزوة بدر، فخلف ذلك حقداً عميقاً في قلبها، ودفعها ذلك إلى التفكير ملياً بقتل النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام صهره وابن عمّه، وأخيراً تمكّنت بالتنسيق مع غلام لها - يُدعى وحشي - من اغتيال حمزة في غزوة أحد والمثلة به، من هنا اشتهرت بأكلة الأكباد، وقد ساهمت إلى حدٍّ بعيد على تكريس كفر أبي سفيان وانتهازيته.

ج - ممّا يدلّ على رسوخ العقيدة الجاهلية في نفس أبي سفيان وأتباعه هو إطلاق عنوان الطلقاء أو المؤلّفة قلوبهم عليهم، ولم يكن ذلك بخافٍ على أحد، بل راج أمرهم بين المسلمين^(١)، من هنا أخذوا يشاركون في الحروب الأخيرة - ومنها غزوة حنين - كناظرين لا كمجاهدين، وكانوا يترصدون الفرص للانقضاض على الإسلام، وبعد انتصار جيش الإسلام في تلك الغزوة قسّم النبي صلى الله عليه وآله عليهم الغنائم باعتبارهم من المؤلّفة قلوبهم لا من ذوي الحقوق.

د - قام أبو سفيان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بإجراءات تدلّ بوضوح على رسوخ فكره الجاهلي، فبعد حوادث سقيفة بني ساعدة ووصول أبي بكر إلى سدّة الخلافة جاء إلى المدينة، وقال: «أما والله، إنّني لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدم، يا لعبد مناف، فيمّ أبو بكر من أمركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذّلان، يعني: علياً والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقلّ حي من قريش؟ ثمّ قال لعلي: ابسط يدك أبايعك، فوالله، إنّ شئت لأملأها على أبي فضيل - يعني أبا بكر - خيلاً ورجلاً، فامتنع علي عليه السلام، فلمّا يسّ منه قام عنه وهو ينشد شعر المتلمّس:

(١) المقرئ، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم فيما بين بنى أميّة وبنى هاشم، تحقيق محمد عرنوس: ص ٢٩ - ٣١.

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلّان عير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشجّ فلا يرثى له أحد»^(١)

وكان الإمام علي عليه السلام على علم بما يضمّره أبو سفيان فزجره وقال: «والله، إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً، لا حاجة لنا في نصيحتك»^(٢).

وقال عليه السلام في خطبة له بعد حوادث السقيفة: «أيها الناس شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح، هذا ماء آجن ولقمة يغص بها أكلها، ومجّني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه»^(٣).

وكان عمر على علم بماضي أبي سفيان وحزب الطلقاء، وكان يراقبه وكان لا يخفي قلقه بشأنه بعد السقيفة، وقد قال لأبي بكر: «إنّ هذا - يعني أبا سفيان - قد قدم وهو فاعل شراً، وقد كان رسول الله ﷺ يستألفه على الإسلام، فدع له ما بيده من الصدقة، ففعل، فرضي أبو سفيان وبايعه»^(٤).

وقد أثبت التاريخ مقولته التي قالها في زمن خلافة عمر بن الخطاب بعد تولّي ابنه يزيد بن أبي سفيان ولاية الشام ومن ثمّ معاوية بن أبي سفيان والتي تدلّ صراحة على رسوخ الثقافة الجاهلية في نفسه، كما أنّه بعد تصدّي عثمان لمسند الخلافة جمع بني أميّة وراء الأبواب المغلقة، وقال لهم: «أعندكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، قال: يا بني أميّة،

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٢١.

(٢) ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٣٢٦.

(٣) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: الخطبة رقم ٥.

(٤) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٤٤-٤٥. المقرئ، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم: ص ٣١.

تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة»^(١).

وقال أبو سفيان وقد مرَّ بقبر حمزة وضربه برجله: «يا أبا عمار، إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به»^(٢).

توعية النبي صلى الله عليه وآله ولعنه أبا سفيان ومعاوية

لم يكتفِ النبي صلى الله عليه وآله بالتحذير من مؤامرات بني أمية، بل تطرّق وبسبل شتى إلى هداية الأمة وتوعيتها إزاء تعاضم نفوذ معاوية، فقد لعن في مواطن عديدة أبا سفيان ومعاوية، وحذّر المسلمين من الوقوع في فخّهما، حيث نقرأ في التاريخ: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من فجّ فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب، ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم، قال: اللهم العن القائد والسائق والراكب»^(٣).

وقد اشتهر هذا الحديث بين المسلمين ولم ينكره أحد، كما لم ينكر مصاديقه أحد، وإليه أشار محمد بن أبي بكر في كتاب كتبه إلى معاوية، بقوله: «وأنت اللعين ابن اللعين لم تنزل أنت وأبوك بغضان وتبغيان في دين الله الغوائل، وتجتهدان في إطفاء نور الله، تجمعان الجموع على ذلك، وتبذلان فيه الأموال، وتحالفان عليه القبائل، على ذلك مات أبوك، وعليه خلفته أنت»^(٤).

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٩، ص ٥٣. ابن عبد البر، يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ٤، ص ٨٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٨، ص ٢٨٥. التستري، محمد تقى، قاموس الرجال: ج ١، ص ٨٠. الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١٠، ص ٨٣.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ١١، ص ٣٥٧. الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١٠، ص ١٣٩-١٤٢.

(٤) ابن مزاحم، نصر، وقعة صفين: ص ١١٨-١١٩.

وفي موضع آخر لعن النبي ﷺ معاوية وصاحبه عمرو بن العاص لما كانوا في سفر، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عمق الصداقة بينهما، واتّحاد نواياهما الخبيثة، ومواقفهما في مختلف المسائل وذلك قبل تصدّيها لولاية الشام ومصر، فعن ابن عباس: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يحيب الآخر وهو يقول: لا يزال حوارى تلوح عظامه زوى الحرب عنه أن يجنّ فيقبراً فقال النبي ﷺ: انظروا من هما؟ قال: فقالوا: معاوية وعمرو بن العاص. فرفع رسول الله ﷺ يده، فقال: اللهم اركسهما ركساً ودعهما إلى النار دَعَا»^(١).

المصير الأسود

وردت تحذيرات مكرّرة عن النبي ﷺ بشأن معاوية في مصادر أهل السنة، منها هذه الرواية التي يعلن فيها النبي ﷺ صراحةً ويقول: «يطلع من هذا الفج رجلٌ من أمتي يحشر على غير ملّتي، فطلع معاوية»^(٢). وقد ورد هذا المضمون بعبارات مختلفة نسبياً، وبالتالي لا يبقى شكٌ في أنّ المراد بها معاوية، كما حدّر النبي ﷺ المجتمع الإسلامي من دسائس معاوية وانحرافاته للحيلولة دون وقوعه في الفخ، كما نقل على لسان الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري أنّ النبي ﷺ عدّ معاوية من أصحاب النار وتنبأ له بمصيرٍ أسود^(٣).

(١) الأُميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١٠، ص ١٣٩ - ١٤٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ١١، ص ٥٧.

(٣) أنظر: المصدر السابق.

أمرٌ صريح

رغم أن إطلاق النبي صلى الله عليه وآله التحذيرات بهدف الوقوف على شخصية معاوية وأفكاره الهدامة كان إيجابياً وبنّاءً، إلا أنه صلى الله عليه وآله لم يكتفِ بذلك بل خطى خطوةً أبعد، وتنبأ صراحةً بوصول معاوية إلى مسند الحكم، وقد أصدر في هذا الشأن أوامر صارمة تدلّ على قلقه العميق لمستقبل هذا الدين ومصير الأمة الإسلامية، وقد ضبط التاريخ ما قاله: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»، كما وردت رواية أخرى بنفس المضمون: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه»، وكذلك: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه»^(١).

وقد حقّق العلامة الأميني في سلسلة أسانيد هذه الروايات فوجد أنها مسندة، ورجالها بنظر علماء السنة ثقات وموضع قبول عند علماء الفريقين^(٢).

نماذج أخرى

إنّ تنبؤات النبي صلى الله عليه وآله حول معاوية وبني أمية لا تتلخّص بما ذكر، بل إنّ النبي صلى الله عليه وآله ذكر في مواطن عديدة معاوية وحذّر المسلمين من مغبة وصوله إلى سدّة الحكم، ونواياه الخبيثة.

بعض تلك التحذيرات وردت في حقّ معاوية وصاحبه عمرو بن العاص، وقال: «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما، فإنّها لن يجتمعا على خير»^(٣). وفي موضع آخر ذمّ معاوية وعمرو بن العاص على بثّ بذور الفرقة والاختلاف، وأمر المسلمين بضرب أعناقهما فيما لو استهدفا وحدتهم.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ١١، ص ٥٧.

(٢) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١٠، ص ١٤٢-١٤٧. العلوي الحضرمي، محمد بن عقيل، النصائح الكافية: ص ٢٦.

(٣) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١٠، ص ١٤٨.

الإمام علي عليه السلام ووقوفه على حقيقة معاوية

إن مخالفة معاوية بن أبي سفيان للخليفة والإمام واجب الطاعة كأمر المؤمنين عليه السلام كاف لإدانته عقائدياً وسياسياً، وإنزاله إلى مستوى الباغي والمارق الواجب قتله في الإسلام، ومع ذلك فإن مواقف الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام والجهود التي بذلها لم تتوقف عند هذا الحد، فقد نوه المسلمين بحقيقة معاوية وخلفياته ومؤامراته وخططه، وبهذا النحو جعل المجتمع الإسلامي والتاريخ على علم بجميع مساعيه ومساعي أتباعه لحرف الإسلام.

وقد كشف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته - لا سيما في كتبه، بعدما تولى الخلافة، وتحت عناوين مختلفة وذرائع شتى - عن شخصية معاوية وقام بتعريفه على النحو التالي:

أتاني كتابك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجاب، وقاده الضلال فاتبعه... إلى أن قال: وأما شرفي في الإسلام، وقرابتي من رسول الله ﷺ، وموضعي من قريش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته.

وقد أطلق الإمام عليه السلام عليه في كتبه ورسائله عناوين مختلفة كأهل الضلالة، واللعين ابن اللعين، وأولياء الشيطان، وأهل البغي والضلال وأهل الهوى، وعدو القرآن وأحكامه، هذه كلها تدل على أن الإمام علي عليه السلام لم يكن قلقاً من مخالفة معاوية لخلافته وإشعاله حرب صفين فحسب رغم أنها من الأحداث الخطيرة التي فرضها معاوية على الإمام عليه السلام والتي ألحقت خسائر بشرية فادحة بالإسلام والمسلمين، لا سيما خروجه على إمام عادل وحاكم مثل علي عليه السلام، وأن الحوادث التي جرت إنما صدرت عن أفكاره الجاهلية التي تأصلت فيه وترسخت في نفسه عانى الإسلام خلالها أنواع الانحرافات والخرافات والتحريفات في ظل تفشي الغفلة والجهل وحب الدنيا بين المسلمين^(١).

(١) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٥٢، وج ٣، ص ٣٠٢، وج ٤، ص ٥٠ - ٥٧. الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج ١٠، ص ١٤٨ - ١٥٣.

معاوية من منظور الإمام الحسن عليه السلام

استلم الإمام الحسن بن علي عليه السلام زمام الخلافة الإسلامية بعد شهادة الإمام علي عليه السلام وسط أجواء سادها تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية، مما اضطره إلى الصلح مع معاوية وفق شروط، رغم أن الإمام كان يرى أن معاوية ليس جديراً بتولي إمارة الشام فكيف بالخلافة؟! ولهذا لم يعتبر حكم معاوية وتسلمه خلافة أو إمامة في وثيقة الصلح.

وقد دلت الشواهد التاريخية على أن الإمام عليه السلام قد كشف النقاب عن ماضي معاوية وبني سفيان الأسود وفضحه أمام الملأ كي لا ينطلي عليهم مكر معاوية وأعدائه.

معاوية واستمرار الخط السفياني

كان معاوية بن أبي سفيان من جملة من أسلم من أمة من مكة تحت وقع السلاح، ولم يكن من المهاجرين والأنصار بل كان من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم، وبعد أن قام معاوية مقام أخيه يزيد بن معاوية في اعتلاء ولاية الشام، راح يسرف في البذخ والترف، وينغمس في مظاهر البهجة وزخارف الدنيا، مما أثار اعتراض الخليفة الثاني ذلك؛ لأنها لا تمت بصلة إلى روح الإسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد قام معاوية بجعل إمارة الشام ملكاً له بدل أن يسير بها على هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما عزم على الانفصال عن المدينة، وإنشاء حكم أموي فيها، ومن ثم بسطه إلى سائر الأمصار الإسلامية، واتخذ في هذا السياق الإجراءات التالية:

أ - نهض بوجه الإمام علي عليه السلام الذي كان يعتبر من أركان وعناصر شرعية الخلافة الدينية والإسلامية، كقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والولاية له، وماضيه الحافل بالجهاد والتضحية، وهو أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، بينما لم يكن معاوية يتمتع بمؤهلات التصدي للخلافة الدينية، ولم تتوفر فيه أركان وعناصر الشرعية.

ب - نازع الإمام الحسن عليه السلام الذي كان يعتبر من الخلفاء الراشدين بنصّ النبي صلى الله عليه وآله، وباعتراف علماء أهل السنة، وأخذ الحكم منه عنوةً وغصباً، وبذلك أنهى عصر الخلفاء الراشدين أو عصر الخلافة الدينية.

ج - قتل الإمام الحسن عليه السلام بهدف الوصول إلى نواياه المبيتة، وهي إحالة ولاية العهد إلى يزيد، وجعل الخلافة ميراثاً، هذا مضافاً إلى نقضه لبنود وثيقة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام، وجعلها تحت أقدامه والذي يعتبر جريمة أخرى في سجله المظلم.

د - قتل حجر بن عدي وأصحابه الذي كان من زاهدي الدهر وأبرز الأصحاب، يعدّ وصمة عار أخرى على جبين معاوية، ما جعل أهل السنة أنفسهم يندّدون بجريمته تلك، والتي لا يمكن تبريرها بوجه من الوجوه.

هـ - مبادرة معاوية إلى البدعة في الدين، أي تحويل الخلافة إلى ميراث، والعهد إلى يزيد بالولاية، وهذا ممّا يزيد علامات الاستفهام حول إيمانه.

إنّ مجموع هذه الإجراءات أدّت بكبار علماء أهل السنة إلى لعنه؛ لأنّ كلّ ذنب من تلك الذنوب كان كافياً لإدانته في القيامة، وقد نقل على لسان العالم السني المعروف الحسن البصري (٢١ - ١١٠هـ) أنّه قال: «قد كانت في معاوية هنات لو لقي أهل الأرض ببعضها لكفاهم: وثوبه على هذا الأمر واقتطاعه من غير مشورة من المسلمين، وادّعاؤه زياداً، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، وبتوليته مثل يزيد على الناس»^(١).

عالمٌ سنيّ آخر ذكر قريباً من هذا المضمون عن جميع علماء السيرة مثل محمد بن جرير الطبري الذي ذمّ إجراءات معاوية وأعماله من جهات وزوايا مختلفة^(٢).

(١) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص (مقدمة محمد صادق بحر العلوم): ص ٢٨٦.

(٢) طه حسين، علي وبنوه (ترجمة محمد علي الشيرازي): ص ٢٤٣.

ومن الإجراءات الأخرى التي اتخذها معاوية ضد الإسلام وأهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وضع الحديث في فضائل نفسه وبني أمية، وفي الطعن بعلي وبني هاشم، وأيضاً سب الإمام عليه السلام ولعنه على المنابر، وغير ذلك مما لا يحصى ولا يعدّ.

وقد وُلد يزيد من صلب هذا الشخص، وخضع لتربيته وتأديبه، إلى جانب ذلك فإنّ معظم أصحاب وندماء يزيد كانوا من قبيلة بني كلب النصرانية هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى كان أعوانه ومستشاروه أبان ولاية عهده شخصيات من أمثال مروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، وزيايد بن أبيه، وابنه عبيد الله.

فترة شباب يزيد

قلنا آنفاً: إنّ للأسرة والمربيين والأصحاب والبيئة تأثيراً كبيراً على أخلاق وسلوك الفرد، كما أنّ شخصيته تتبلور في الواقع أثر عوامل وراثية وبيئية وتربوية كالمعلمين والأقرباء والأصدقاء، ومع ذلك لما يجتاز المرء مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب يطرأ على سلوكه وشخصيته دفعة أو على نحو التدرّج تحولات جذرية إيجابية أو سلبية، وشخصية يزيد لم تكن بمستثناة عن ذلك، فمن المحتمل عند دخوله مرحلة الشباب آفاق من غفلته وعاد من جاذبة الضلال والانحراف إلى الإسلام والثقافة الدينية.

واستناداً إلى الشواهد التاريخية فلم يسجّل لنا طروء مفاجئ على خطّه الفكري والسلوكي، بل على العكس فقد أوغل في الضلال واقتراف المعاصي والذنوب الأخلاقية والاجتماعية، والاستهتار بالقيم إلى حدّ أنّه لم ينقل لنا التاريخ أيّة توبة له، ولم يطرأ عليه تحوّل فكري وسلوكي، بل إنّ أقواله وتصرفاته زمن خلافته توحى إلى ترسخ آدابه وثقافته الجاهلية الموروثة، والتي كان ينطلق منها في اتّخاذ التدابير والمواقف.

زواج يزيد من بني كلب

بعد أن وصل يزيد سنّ البلوغ، لم يقلع عن أفكار ورغبات صباه وشبابه، بل ظلّ

كما كان سابقاً يقضي معظم أوقاته يتسلّى باللعب مع الحيوانات المتنوعة، كما أنّه لم يدع أصحاب وزملاء عهد صغره بل توقّعت علاقته بهم.

ومّا يجدر ذكره أنّ حبّ يزيد المفرط لقبيلة أمّه النصرانية حدث به إلى الزواج من تلك القبيلة، هذا الأمر أدّى إلى نشوئه على عادات وتقاليد قبيلة بني كلب وقيمها وثقافتها النصرانية، وبالتالي استمرار انحرافه الفكري والعملي.

ومّا سبق يتّضح أنّ يزيد بن معاوية قد بلغ من الفسق والفجور درجة لم يكن بإمكانه إخفاءه عن الملأ بل بلغ به الأمر إلى التجاهر بالفسق، وتجاوز الحدود الأخلاقية والدينية والإنسانية كافة، وسنشير إلى بعض منها في فترة حكمته^(١).

فسق يزيد وفجوره العلني

يتّضح من خلال مطالعة التاريخ أنّ فسق يزيد وفجوره كان علنياً ولم يكن خافياً عن أعين الناس في ذلك الزمان، والأخبار الواصلة من الشام لا تدع مجالاً للشكّ في عدم عدالته وعدم جدارته في التصديّ لمقام الخلافة، على الرغم من أنّ هذا الأمر لم يحمل محمل الجدد عند العامة أو أنّ التصديّ للخلافة من قبل هكذا شخص ولأسباب عديدة لم يواجه معارضة ولا مخالفة، وقد اعترف السيوطي بهذا الأمر صراحةً، وكتب يقول: «عهد معاوية إلى يزيد وكان الناس له كارهون»^(٢).

وكان ابن خلدون يعتقد أنّ فسق يزيد وفجوره في الوضوح والشهرة كالشمس في

(١) وقد كتب عبد الله العلابي في كتابه (سمو المعنى في سمو الذات أو أشعة من حياة الحسين): ص ٨١، يقول: «إذا كان يقيناً أو ما يشبه اليقين أنّ تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة، أو عبارة أخرى كانت مسيحية خالصة، لم يبقَ ما يُستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفاً بها عليه الجماعة الإسلامية، لا يحسب لتقاليدها واعتقاداتها أي حساب، ولا يقيم لها وزناً، بل الذي يستغرب أن يكون على غير ذلك». (المترجم).

(٢) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ج ١، ص ٢٠٥.

رابعة النهار^(١)، ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام وشيعته على علم بذلك فحسب، بل عامة الناس أيضاً: «ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره»^(٢).

وقد اعترض محمد بن جرير الطبري على ما قام به معاوية من اتّخاذ يزيد ولي عهد له من جهات مختلفة، وذهب إلى أنّ معاوية قد أتى بموبقة وبدعة لا سابقة لها في الإسلام: «أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلّا واحدة لكانت موبقة:

١ - انتزاهه على هذه الأمة بالسفهاء، حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة.

٢ - واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطناير.

٣ - وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

٤ - وقتله حجراً، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر مرّتين»^(٣).

وقد نقل اليعقوبي في هذا الصدد: «أنّ معاوية كتب إلى زياد بأخذ البيعة لابنه يزيد، فكتب له زياد: يا أمير المؤمنين، إنّ كتابك ورد عليّ بكذا، فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقروود، ويلبس المصبغ، ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف»^(٤).

(١) ويعتبر يزيد أوّل من أظهر شرب الشراب - على حدّ تعبير البلاذري - والاستهتار بالغناء، والصيد، واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القروود والمعاقرة بالكلاب والديكة، وكان أوّل من سنّ الملاهي في الإسلام، وأظهر الفتك وشرب الخمر، وكان ينادم عليها سرجون النصراني مولاه، والأخطل الشاعر النصراني، وقال ابن حجر في شرح الهمزية: «إنّ يزيد قد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغاً لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه، بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره». أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٩٩. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج ١٦، ص ٦٨. الشبراوي، عبدالله بن محمد، الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ١٧٧. (المترجم).

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدّمة ابن خلدون: ص ٢١٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٢٥٠.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤١.

وقد ذكرنا أنّ الحسن البصري وهو من كبار علماء أهل السنة قال في معاوية: «قد كانت في معاوية هنات لو لقي أهل الأرض ببعضها لكفاهم: وثوبه على هذا الأمر واقتطاعه من غير مشورة من المسلمين، وادّعاؤه زياداً، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، وبتوليته مثل يزيد على الناس»^(١).

ونقل عز الدين بن الأثير في تاريخه المعروف: «عزم معاوية على البيعة ليزيد فأرسل إلى زياد يستشير، فأحضر زياد عبيد بن كعب النميري.. وقال: إنّ أمير المؤمنين كتب يستشيرني في أخذ البيعة ليزيد، وإنّ يتخوّف نفرة الناس ويرجو طاعتهم.. ويزيد صاحب رسالة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد»^(٢).

وتناول ابن خلدون نهضة الإمام عليّ ودافعه لذلك: «وأما الحسين فإنّه لما ظهر فسق يزيد عند العامّة من أهل عصره بعثت شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره»^(٣).

وقال الذهبي: «كان [يزيد] ناصبياً، فظاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرّة، فمقتله الناس، ولم يبارك في عمره»^(٤).

ونقل مؤلّف شذرات الذهب نفس المضمون باختلافٍ طفيف^(٥).

تقرير ممثلي المدينة

رغم اشتهاه أمر يزيد بالفسق والفجور بين الملأ، إلّا أنّه بقيت ثلّة قليلة لم تنطل

(١) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدّمة ابن خلدون: ج ١، ص ٤١٥.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٨.

(٥) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ج ١، ص ٦٩.

عليها حيل معاوية ومكائده، ورفضت صراحةً عقد البيعة ليزيد، ووجدت أنه ليس جديراً بأن تناط إليه مقاليد الخلافة الإسلامية، إلا أن هؤلاء قد مُورست بشأنهم إمّا سياسة التهديد أو الترغيب، وقد أتت تلك الممارسات أكلها؛ حيث رفعت تلك الثلة اليد عن المواجهة أو المخالفة العلنية، ما عدا الإمام الحسين عليه السلام الذي ظلّ متشبّثاً بموقفه المبدئي الإلهي الرافض لتصدي يزيد منصباً خطيراً كاخلافة الإسلامية.

وقد خفي عن أهل المدينة عمق فاجعة خلافة يزيد واستهتاره، ولم يلتفتوا إلى ذلك إلا بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، إذ أرسلوا وفداً برئاسة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة إلى الشام ليستطلع أمر يزيد، وقد شاهدوه في حالة شربه للخمر ولعبه بالقردة والكلاب، وعندما عادوا إلى المدينة نقلوا لأهلها ما شاهدوه، وأخذوا يسبون ويلعنون يزيد، ثم خلعوه من الخلافة وطرّدوا عامله على المدينة محمد بن أبي سفيان، فكان ممّا قالوا: «إنّا قدمنا من عند رجلٍ ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطناير، ويُضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الحراب والفتيان، وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه، فتابعهم الناس»^(١).

ثمّ إنّ أهل المدينة بايعوا عبد الله بن حنظلة، وقال لهم ذلك الصحابي العظيم المنعوت بالراهب قتيل يوم الحرة مخاطباً: «يا قوم، اتّقوا الله وحده لا شريك له، فوالله، ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن تُرمي بالحجارة من السماء، إنّ رجلاً ينكح الأمّهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله، لو لم يكن معي أحدٌ من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً»^(٢).

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٦٨.

(٢) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٨٨.

إذعان مخالفين ثورة عاشوراء بفسق يزيد

بُذلت محاولات لثني الإمام الحسين عليه السلام عن المضي إلى الكوفة، كمحاولة ابن عباس وابن عمر وآخرين، وطلبوا منه العدول عن رأيه؛ لأنَّ الأوضاع لا تسمح بذلك، دون أن يخوضوا في الحديث عن عدالة يزيد وشرعية خلافته، ودون أن يُثيروا شكوكاً حول شرعية تحرك الإمام عليه السلام، وهذا بنفسه دليلٌ على فسق يزيد وعدم امتلاكه العدالة والصلاحيّة للخلافة الإسلامية، ولقد نقل ابن أعثم في كتابه الفتوح: «قال الحسين لابن عمر: أسألك بالله يا عبد الله، أنا عندك على خطأ من أمري هذا؟ فإن كنت عندك على خطأ فردني فإنّي أخضع وأسمع وأطيع، فقال ابن عمر: اللهم لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسول صلّى الله عليه وآله على مثل يزيد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يُضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيف، وترى من هذه الأمة ما لا تحبّ، فارجع معنا إلى المدينة، وإن لم تحبّ أن تباع فلا تباع أبداً واقعد في منزلك. فقال الحسين: هيهات يابن عمر، إنّ القوم لا يتركوني وإن أصابوني، وإن لم يصيبوني فلا يزالون حتى أباع وأنا كاره أو يقتلون^(١)».

وقد نقل ابن العماد الحنبلي عن المؤرّخ الشهير ابن عساكر والمعتمد عند المؤرّخين وعلماء الرجال، كسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، والعسقلاني في لسان الميزان، ويوسف المزي في تهذيب الكمال، والذهبي في سير أعلام النبلاء، الأبيات التي أنشدها يزيد:

ليت أشياخي بيدٍ شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٢٥.

ثم قال: فإن صحّت عنه فهو كافرٌ بلا ريب^(١).

كما أشار العسقلاني إلى ما كتبه ابن عساكر حين ردّه على من اعتبر يزيد من الصحابة، قائلاً: «يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي.. مقدوح في عدالته وليس بأهل أن يُروى عنه، وقال أحمد بن حنبل: لا ينبغي أن يُروى عنه.. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال أمر أمّتي قائماً بالسوي حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمّية يُقال له: يزيد»^(٢).

وذهبت ثلّة من المؤرّخين إلى أن فسق يزيد وفجوره أمرٌ لا غبار عليه، ولا مجال للحديث عنه، ولا يحقّ لبني أمّية التصدّي للخلافة؛ باعتبارهم غير مسلمين أو أن اعتناق أبي سفيان وأعوانه الإسلام كان خدعةً ومكرًا منذ البداية، كما جنحت إلى أن بني أمّية لم يحدوا عن عبادة الأوثان، وكانوا يحملون معهم الأزلام خفيةً في غزوة حنين، وقد أنشد أبو سفيان أشعاراً في حرب اليرموك تدلّ على تشدّقه بجاهليته.

كما ردّ كل من ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق وابن منظور - من علماء القرن الثامن - في مختصر تاريخ دمشق عدالة يزيد وأضاف: «بأنه ليس بأهل أن يُروى عنه»^(٣)، وقد بلغ فسق يزيد واشتهار أمره أن دعا الذهبي إلى الاكتفاء بنقل أشعار دالة على كفره، ويقول: «إن ابن الزبير سمع جويرية تلعب وتغني في يزيد بقول عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل:

لست منا وليس خالك منا يا مضيع الصلاة للشهوات»^(٤).

ونقل في العقد الفريد أن مسور بن مخرمة كان قد شهد على يزيد بالفسق وشرب

(١) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ج ١، ص ٦٩.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج ٦، ص ٢٩٣.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق: ج ٢٨، ص ١٨ - ١٩.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ٢٧٣.

الخمر، ولما وصل الخبر إلى يزيد أرسل كتاباً إلى عامله على المدينة يأمره بضرب مسور الحّد، فقال مسور:

أبشر بها صهبا كالمسك ريحها أبو خالد والحد يضرب مسور

كما ورد في المصدر ذاته أنّه لما جلس معاوية للناس قام يزيد بن المقنع فقال: «هذا أمير المؤمنين - وأشار إلى معاوية - فإن هلك فهذا - وأشار إلى يزيد - ومن أبي فهذا - وأشار إلى سيفه - فقال معاوية: اجلس فأنت سيّد الخطباء. فقال معاوية للأحنف بن قيس: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره، وسرّه وعلايته، ومدخله ومخرجه»^(١).

هذه الروايات التاريخية التي وردت في مصادر أهل السنة، تدلّ على فسق يزيد وعدم أهليته للخلافة الإسلامية بنحو لا تدع مجالاً للشك والترديد^(٢).

كما صرّح غير واحد من علماء أهل السنة بكفر يزيد، وأثبتوا ذلك بأدلة دامغة لاحصر لها، ولم يكتفوا بذلك، بل جوزوا لعنه وحكموا بفسق كلّ من خالف ذلك.

وقد كتب أبو مظفر شمس الدين سبط بن الجوزي (المتوفى عام ٦٥٤ هـ) يقول: «ذكر جدّي أبو الفرج في كتاب (الرّد على المتعصب العنيد المانع من ذمّ يزيد) وقال: سألت سائل فقال: ما تقول في يزيد بن معاوية؟ فقلت له: يكفيه ما به، فقال: أتجوز لعنه؟ فقلت: قد أجازة العلماء الورعون منهم أحمد بن حنبل، فإنّه ذكر في حقّ يزيد ما يزيد على اللعنة.

وقال: سألت أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية، فقال: هو الذي فعل ما فعل، قلت: ما فعل؟ قال: نهب المدينة، قال: فنذكر عنه الحديث؟ قال: لا، ولا كرامة، لا ينبغي لأحد

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج ٤، ص ٢٨، وص ٣٢، وص ١٥٠.

(٢) أنظر: المقرئ، أحمد بن علي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم: ص ٢٩.

أن يكتب عنه الحديث»^(١).

وقال ابن عقيل: «ومّا يدلّ على كفره وزندقته فضلاً عن سبّه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد، وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في قصيدته التي أوّلها:

عليّة هاتي وأعلني وترنمي	بذلك أني لأحبّ التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سمّي بها	إلى أحد حتى أقام البواكيا
ألاهات فاسقيني على ذاك قهوة	تخيرها العنسي كرمأ شاميا
إذا ما نظرنا في أمور قديمة	وجدنا حلالاً شرها متواليا
وإن متّ يا أمّ الأيمر فانكحي	ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإن الذي حدّث عن يوم بعثنا	أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بدّ لي من أن أزور محمداً	بمشمولة صفراء تروي عظاميا» ^(٢) .

يزيد وخصوصيات الخلافة الأخرى

اتّضح ممّا سبق فسق يزيد بن معاوية بإجماع المسلمين، وكفره حسب أقوال أغلب علماء ومفكرّي أهل السنة، كما اتّضح أنّ حكومة يزيد كانت غير شرعية منذ البداية، لذلك فالخروج عليها لا مانع منه شرعاً وعقلاً، بل جاء تأكيد ذلك من قبل الإمام الحسين عليه السلام في أحد خطبه حيث قال: «مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً

(١) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٥٧. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٣٧. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج ٦، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٦١.

لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(١).

الفقاهة اللازمة

ثمة اتفاق - كما تقدّمت الإشارة - بين علماء أهل السنة على ضرورة تمتّع الخليفة الإسلامي بالفقاهة، وأنّ الخلافة ستكون غير شرعية إذا خلت من هذا الشرط، وقد عبّرت بعض المصادر عن هذا الشرط بالاجتهاد، وفي بعضٍ آخر بالعلم أو بالفقاهة وأخيراً بالعلم والوعي^(٢)، من هنا فقد ذهبوا إلى الاعتقاد أنّ الخلفاء الراشدين قاطبة من فقهاء عصرهم، وعلى هذا الأساس جوّزوا تصنيفهم إلى درجة أولى ودرجة ثانية حسب معيار الاجتهاد والعلم، إذ وضعوا الخليفة الثاني والإمام عليّ عليه السلام في الدرجة الأولى، وأبا بكر وعثمان في الدرجة الثانية، وبهذا اللحاظ ذهب معظم أهل السنة إلى اعتبار أنّ الفقاهة شرطٌ لازم لتصدّي مقام الخلافة الدينية.

ولم تدلّ أغلب المصادر التاريخية والفقهية والحديثية على فقاهة يزيد، كما أنّه لم يؤثر عنه أنّه ترك أصلاً أو رواية في الفقه، وفي الواقع فإنّ يزيد لو كان مؤمناً بالإسلام وثابتاً عليه، ومتمسكاً بالعدالة لأصبح راوياً للحديث وناقلاً له عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولو بالواسطة.

وكما تقدّم فإنّ روايات أهل السنة تنفي إسلام يزيد الخليع فضلاً عن إيمانه، وكان كبار علمائهم ينكرون إسلامه قبل حادثة كربلاء، فما بالك بعد تلك الفاجعة، حيث انساق معظمهم إلى هذا الاعتقاد، وهو أنّه حتى لو كان مسلماً فإنّه بارتكابه تلك

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٠٤.

(٢) أنظر: أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية. عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه. السبحاني، جعفر، پیشوائی از نظر اسلام (الإمامة من منظار الإسلام).

الفاجمة الأليمة قد خرج عن ربة الإسلام وراز لعنه.
وانطلاقاً من ذلك فإنه لم يجوز علماء الرجال وفقهاء أهل السنة نقل الرواية عنه،
وصرّحوا بأنّه: «مقدوح في عدالته وليس بأهل أن يُروى عنه»^(١).
وهذا يدلّ بوضوح على خلوه من شرط الفقاهة لدى جميع أهل السنة، وبالتالي
عدم صلاحيته لتصدّي مقام الخلافة الإسلامية، وسلب شرعيته لهذا المنصب الخطير
أبان واقعة كربلاء، وهذا ما ستتعرّض إليه بمزيد من التفصيل في الفصل اللاحق.

آلية انتقال الخلافة

إنّ لانتقال القدرة في الإسلام وسيرة الخلفاء الراشدين الذي يتمّ بآليات محدّدة،
قيمة دينية واعتبار لدى أهل السنة، وفي هذه المسألة أمران استحوزا على مزيد من
الاهتمام.

الأوّل: يجب على الخليفة الشرعي والقانوني السابق تعيين خلف له، وطبقاً لنظرة
أهل السنة فإنّ سيرة الخلفاء الراشدين تُوحي إلى أنّ العهد إلى الأبناء والأقرباء بالولاية
يعتبر خرقاً للريعة الإسلامية، بل يجب الأخذ بنظر الاعتبار وقبل كلّ شئ اتّصاف
الخليفة الجديد بالتقوى وحسن السيرة، والقدرة على الإدارة والشجاعة، وأهمّ من كل
ذلك العدالة والفقاهة.

الثاني: وبعد اختيار شخص للخلافة من قبل الخليفة السابق يصبح من الضروري
أخذ بيعة المسلمين له؛ لأنّ هذه البيعة ستثبت خلافته، وأخذ البيعة لا بدّ أن يصدر عن
رضا ورغبة بعيداً عن الضغوط، وكما قال ابن خلدون:

(١) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال: ج٧، ص٢٤٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان:
ج٦، ص٢٩٣.

«اعلم أنّ البيعة هي العهد على الطاعة، كأنّ المبايع يعاهد أميره على أنّه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسُمّي بيعة مصدر باع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع»^(١).

ولا قيمة من أخذ البيعة عن إكراه أو مكر أو ترغيب^(٢)، فقد رفع كلّ من أبي حنيفة، وعبد الحميد بن جعفر، وابن عجلان، وسائر فقهاء أهل السنة المعروفين آنذاك لواء العصيان على المنصور العباسي، رغم أخذ البيعة منهم عنوةً، وحينما قيل: «إنّ في أعناقنا بيعة للمنصور»، قال مالك بن أنس: «ليس على مكره يمين»^(٣).

أخذ البيعة ليزيد

إنّ من شروط التصديّ للخلافة الإسلامية مع الأخذ بنظر الاعتبار الآليات والضوابط المعتبرة لدى أهل السنة والمستوحاة من سيرة الخلفاء الراشدين، أن تكون الخلافة تمتّ وفقاً للضوابط الشرعية والمعتبرة، وحياسة يزيد لتلك الضوابط رهنّ بالإجابة عن الاستفسارات التالية:

١- هل كان معاوية بن أبي سفيان خليفة شرعياً وقانونياً للمسلمين، حتى يكون ما

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون: ج ١، ص ٤٠٠.

(٢) ويرى عبد الله العلايلي أنّ البيعة بيع النفس للخليفة فهي رُق اجتماعي وسياسي وديني، ومن ثمّ كان لازماً أن يتروّى المرء كثيراً حين يبيع نفسه، فيمّ يبيع؟ ولكن يبيع؟ فإذا كان الخليفة فاسقاً فحاشاً رقيق الدين، ظالماً عادياً عابثاً كان معنى المبايع له بيع النفس للفسوق، بيع النفس للفحشاء، بيع النفس للظلم والعدوان، بيع النفس لمجاهرة الله بالعصيان؛ لأنّ الخليفة الفاجر صفة من هذه الخصال مجتمعة، وهي تعني أيضاً خدمة أهوائه الشريرة وميوله الفاسقة. أنظر: العلايلي، عبد الله، سمو المعنى في سمو الذات: ص ١٢٦. (المترجم)

(٣) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ٢٦١.

قام به من تعيين الخليفة بعده شرعياً صادراً عن السيرة والسنة؟
ذكر عدد غفير من علماء أهل السنة وانطلاقاً من الخصوصيات اللازمة للخليفة
الإسلامي ومن الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن الخلافة بعده ثلاثون عاماً، ثم
ملكٌ عضوض، ثم كائن عتوّاً وجبريةً وفساداً في الأمة يستحلّون الفروج والخمور^(١)،
ذكروا:

أولاً: أن معاوية اعتلى منصة الحكم بعد ثلاثين عاماً.
وثانياً: عدم حيازته لخصوصيات الخلفاء قبله - لا سيما رسول الله صلى الله عليه وآله - من الزهد
والعلم والجهاد.

ومن هذا المنطلق لم يكن معاوية خليفة بل سلطاناً وإمبراطوراً كأباطرة الروم
وفارس قبل الإسلام، وكما تقدّم الحديث عن ماضي يزيد الأسود وخلفياته، فإنّ
معاوية لم يكن جديراً لتصدّي الخلافة، بل ورد لعن النبي صلى الله عليه وآله له، والدعاء عليه،
والتحذير من مغبة تسلّط معاوية على مقاليد الحكم ومكره.

من هنا فقد ذهب علماء أهل السنة إلى أنّ معاوية لم يكن يتمتّع بمكانة تؤهّله
لتعيين الخليفة بعده؛ لأنّه اغتصب الخلافة عنوة وقام بكثير من البدع والمحارم.

٢- هل تمّ أخذ البيعة ليزيد وفق آليات وضوابط إسلامية صحيحة كي يصدق
عليه عنوان الخليفة الإسلامي وبالتالي عقد بيعة الناس له؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا بدّ أن نتصفّح التاريخ ونطالع المصادر المعتبرة عند
أهل السنة، ومن حسن الحظ فإنّ أحداث تسلم يزيد لزمّام الأمور قد ضبطها التاريخ،
والتي تكشف النقاب عن سجّل يزيد الأسود وأبيه معاوية بن أبي سفيان ممّا دعا بعلماء
أهل السنة إلى إبداء ردود فعل صريحة حيال ذلك.

(١) السيوطي، جلال الدين، الخصائص الكبرى: ج ٢، ص ١١٩.

فقد كتب ابن الأثير في حوادث سنة (٥٦هـ) يقول:

«في هذه السنة دعا معاوية الناس إلى بيعة ابنه يزيد من بعده وجعله ولياً للعهد، وأوّل من طرح هذه البيعة المشؤومة المغيرة بن شعبه، أمّا السبب في دعوته لبيعة يزيد فهو أنّ معاوية أراد عزله من الكوفة ليؤيّل عليها سعيد بن العاص، فلما بلغه ذلك سافر إلى دمشق ليقدم استقالته من منصبه حتى لا تكون حزازة عليه في عزله وأطال التفكير في أمره فرأى أنّ خير وسيلة لإقراره في منصبه أن يجتمع بيزيد فيحبّد له الخلافة حتى يتوسّط في شأنه إلى أبيه، والتقى بيزيد وقال له: قد ذهب أعيان محمد وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنّما بقي أبناؤهم وأنّ من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة والسياسة ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة؟!»

وغزت هذه الكلمات قلب يزيد، فشكره وأثنى على عواطفه، وقال له: أترى ذلك يتمّ؟ قال: نعم.

وانطلق يزيد مسرعاً إلى أبيه فأخبره بمقالة المغيرة، فسّر معاوية بذلك وأرسل خلفه، فلما مثل عنده أخذ يحفّزه على المبادرة في أخذ البيعة ليزيد قائلاً: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء، والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف فاعقد له، فإن حدث بك حدث كان كهفاً للناس، وخلفاً منك ولا تُسفك دماء ولا تكون فتنة.

وأصابت هذه الكلمات الوتر الحساس في قلب معاوية فراح يخادعه مستشيراً في الأمر، قائلاً: من لي بهذا؟

قال: أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصيرين أحد يخالفك.

واستحسن معاوية رأيه، فشكره عليه، وأقرّه على منصبه، وأمره بالمبادرة إلى الكوفة لتحقيق غايته، ولما خرج من عند معاوية قال لحاشيته: لقد وضعت رجل معاوية في غرز

بعيد الغاية على أمة محمد صلى الله عليه وآله، وفتقت عليه فتقاً لا يُرتق ثم تمثل بقول الشاعر:

بمثلي شاهدي النجوى وغالي بي الأعداء والخصم الغضابا^(١).

معاوية وسياسته المزوجة:

عزم معاوية وبشهادة ماضيه السياسي وفكره الجاهلي على تحقيق ما يصبو إليه، من أخذ البيعة ليزيد امتثالاً لفكرة المغيرة بن شعبة ورغبة يزيد، وفي هذا السبيل اتبع سياستين:

١- الترهيب والاعتيال

انتهج معاوية سياسة تصفية كل من تعذر ترغييه وإغراءه وكسب رضاه، وكان أهم مانع يقف أمام دسائسه وبدعه هو الإمام الحسن بن علي عليهما السلام الذي كان خليفة المسلمين بعد استشهاد والده عليه السلام، والذي اشترط على معاوية في وثيقة الصلح أنه حاكم وليس خليفة، ومن أهم بنود تلك الوثيقة التي وافق عليها الطرفان أنه «ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين»^(٢).

وراح معاوية يفكر بتصفية الإمام عليه السلام الذي كان يحول دون وصوله إلى مآربه السياسية، وأخيراً تمكّن من ذلك، وتوفي الإمام عليه السلام مسموماً على يد زوجه جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، بعد أن أغراها معاوية مقابل مائة ألف درهم، وقد لازم

(١) أنظر: الطبري، محمد جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٢٤٧. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٤٩ - ٣٥٠. السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ج ١، ص ٢٠٥. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ٢٧٢.

(٢) ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام: ص ١٥٤ - ١٥٦. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣١٥.

الإمام عليه السلام فراش المرض حتى تُوفي بعد أربعين يوماً^(١).

وقد أكّد المؤرّخون على أنّ الإمام عليه السلام قد دُسّ له السمّ مرات عديدة من قبل معاوية، وفي المرّة الأخيرة دُسّ له جرعات كبيرة من السمّ أدّت إلى وفاته^(٢).

ودأب معاوية على انتهاج سياسة التهديد والترهيب، ففي أحد مجالسه التي شارك فيها وفدٌ من أهل العراق هدّد صراحةً بالسيف كلّ مَنْ خالف رأيه في استخلاف ابنه يزيد، وفي الواقع فإنّ هذه السياسة سلب قدرة الناس على الاختيار وأنّه لا حيلة لهم سوى الانصياع لإرادته وخيرهم بين أمرين لا ثالث لهما، إمّا السيف أو قبول ولاية يزيد، وقد كتب ابن الأثير عمّا قام به معاوية في هذا الصدد:

«كان معاوية قد كتب إلى عمّاله بتقريظ يزيد ووصفه، وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار، فكان فيمنّ أتاها محمد بن عمرو بن حزم من المدينة، والأحنف بن قيس في وفد أهل البصرة، فقال محمد بن عمرو لمعاوية: إنّ كلّ راعٍ مسؤول عن رعيته، فأنظر مَنْ تُولّي أمر أمة محمد، فأخذ معاوية بهر حتى جعل يتنفس في يوم شات، ثمّ وصله وصرفه، وأمر الأحنف أن يدخل على يزيد فدخل عليه، فلمّا خرج من عنده، قال له: كيف رأيت ابن أخيك؟ قال: رأيت شاباً ونشاطاً وجلداً ومزاحاً.

ثمّ إنّ معاوية قال للضحّاك بن قيس الفهري لما اجتمع الوفود عنده: إنّني متكلم فإذا سكّتك فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني عليها.

فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحقّها، وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر، ثمّ ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة، وعرض ببيعته فعارضه الضحّاك، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، إنّّه لا بدّ للناس من والٍ بعدك،

(١) أنظر: ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمّة: ص ١٥٤ - ١٥٦.

(٢) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣١٥.

وقد بلونا الجماعة والألفة فوجدناهما أحقن للدماء، وأصلح للدهماء، وآمن للسبل، وخيراً في العاقبة، والأيام عوج رواجع، والله كل يوم هو في شأن، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه، وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علماً وحلماً، وأبعدنا رأياً.. وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك، ثم قام يزيد بن المقنع فقال: هذا أمير المؤمنين وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، ومن أبي فهذا، وأشار إلى سيفه، فقال معاوية: اجلس فأنت سيد الخطباء.. فقال معاوية للأحنف: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلايته ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه الله تعالى وللأمة رضا فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا، وقام رجل من أهل الشام فقال: ما ندري ما تقول هذه المعديّة العراقية، وإنما عندنا سمعٌ وطاعة، وضربٌ وازدلاف»^(١).

٢- الترغيب والخذاع

اتّبع معاوية سياسة الترغيب والخذاع إلى جانب سياسة التهريب والتهديد، وقد خصّص لذلك أموالاً طائلة، واشترى ذمم أسر وقبائل ذات نفوذ وشوكة في الأمصار الإسلامية، لا سيما شبه الجزيرة العربية، كما أمر عمّاله باتّباع السياسة ذاتها، فقد أرسل مبلغ مائة ألف درهم إلى عبد الله بن عمر فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: «هذا أراد؟! إن ديني عندي إذن لرخص، وامتنع»^(٢).

«وكان المغيرة بن شعبة والي معاوية قد سار حتى قدم الكوفة، وذاكر من يثق إليه ومن

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٢٤٧. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٥٢-٣٥٣.

يعلم أنه شيعة لبني أمية أمر يزيد، فأجابوا إلى بيعته، فأوفد منهم عشرة، ويُقال: أكثر من عشرة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة، وقدموا على معاوية فزينا له بيعة يزيد، ودعوه إلى عقدها، فقال معاوية: لا تعجلوا بإظهار هذا، وكونوا على رأيكم، ثم قال لموسى: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفاً، قال: لقد هان عليهم دينهم. وقيل: أرسل أربعين رجلاً، وجعل عليهم ابنه عروة، فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء، فقالوا: إنما أشخصهم إليه النظر لأمة محمد ﷺ، وقالوا: يا أمير المؤمنين، كبرت سنّاً وخفنا انتشار الحبل، فانصب لنا علماً وحدّ لنا حدّاً تنتهي إليه، فقال: أشيروا عليّ، فقالوا: نشير بيزيد بن أمير المؤمنين، فقال: أوقد رضيتموه؟ قالوا: نعم، قال: وذلك رأيكم؟ قالوا: نعم، ورأيي من وراءنا، فقال معاوية لعروة سرّاً عنهم: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمائة دينار، قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً^(١).

«حج معاوية في سنة (٥٠ هـ) حتى قدم المدينة فلما استقرّ في منزله أرسل إلى عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وإلى عبد الله بن عمر، وإلى عبد الله بن الزبير، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر، فلما جلسوا تكلم معاوية وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: أما بعد، فإني قد كبر سنّي، ووهن عظمي، وقرب أجلي، وأوشكتُ أن أدعى فأجيب، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد، ورأيت لكم رضا، وأنتم عبادلة قريش وخيارها وأبناء خيارها، ولم يمنعي أن أحضر حسناً وحسيناً إلا أنّهما أولاد أبيهما علي على حسن رأيي فيهما وشديد محبّتي لهما»^(٢).

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٢٤٧. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٤٨. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٤، ص ٤٣٤. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ﷺ: ج ٢، ص ٢٤٠.

وتَمَّ هذا السفر في حياة الإمام الحسن عليه السلام، وكان معدّاً له سلفاً بنحوٍ دقيق ومدرّوس، ومن الواضح أنّ من أساليب هزيمة الخصوم وتحقيق النصر هو رفع مستوى القوى الذاتية وحالة الانسجام بينها، والعمل على إيجاد الفرقة بين الخصوم وتوسيعها.

هذه السياسة قد اتّبعها معاوية لما دعا أبناء العباس وجعفر بن أبي طالب وسائر أعيان المدينة لبيعة يزيد دون الحسن والحسين عليهما السلام، وأراد بذلك فصلهم عن أبناء علي عليه السلام بسبب موافقهم المبدئية الرافضة لتلك البيعة، وإحداث شرخ في صفوفهم. فقد تكلم عبد الله بن العباس وقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه: «إِنَّكَ قَدْ تَكَلَّمْتَ فَأَنْصَتْنَا، وَقُلْتَ فَسَمِعْنَا، وَإِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرِسَالَتِهِ، وَاخْتَارَهُ لَوْحِيهِ، وَشَرَّفَهُ عَلَى خَلْقِهِ، فَأَشْرَفَ النَّاسَ مَنْ تَشَرَّفَ بِهِ، وَأَوْلاَهُمْ بِالْأَمْرِ أَخَصَّهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا عَلَى الْأُمَّةِ التَّسْلِيمُ لِنَبِيِّهَا؛ إِذْ اخْتَارَهُ اللَّهُ لَهَا، فَإِنَّهُ إِنَّمَا اخْتَارَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِلْمِهِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ». وهو بهذا الخطاب تجاهل مسألة ولاية العهد ليزيد.

ثمّ قام عبد الله بن جعفر فقال بعد الحمد والثناء والصلاة على نبيه: «إِنَّ هَذِهِ الْخِلَافَةَ إِنْ أَخَذَ فِيهَا بِالْقُرْآنِ فَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَإِنْ أَخَذَ فِيهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَأُولُوا رَسُولِ اللَّهِ، وَإِنْ أَخَذَ بِسُنَّةِ الشَّيْخِينَ فَأَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ وَأَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ آلِ الرَّسُولِ؟ وَأَيُّمَ اللَّهِ، لَوْ وَلَّوْهُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ لَوَضَعُوا الْأَمْرَ مَوْضِعَهُ، لَحَقَّ وَصْدَقَهُ، وَلَأَطَاعَ الرَّحْمَنُ وَعَصَى الشَّيْطَانُ.. فَأَنْظِرْ لِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْهَا غَدًا، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ ابْنِي عَمِّي، وَتَرَكْتُ أَنْ تُحْضِرَهُمَا، فَوَاللَّهِ مَا أَصَبْتَ الْحَقَّ، وَلَا يَجُوزُ لَكَ ذَلِكَ إِلَّا بِهِمَا، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّهَا مَعْدِنُ الْعِلْمِ وَالْكَرَمِ، فَقُلْ أَوْ دَعْ، وَأَسْتَغْفِرُ لِي وَلَكُمْ».

وتكلم عبد الله بن الزبير بعد الحمد والثناء والصلاة على نبيه وقال: «إِنَّ هَذِهِ الْخِلَافَةَ لِقَرِيشٍ خَاصَّةٍ، تَتَنَاوَلُهَا بِمَآثِرِهَا السَّنِيَّةِ، وَأَفْعَالِهَا الْمَرْضِيَّةِ، مَعَ شَرَفِ الْأَبَاءِ وَكِرَمِ

الأبناء، فاتق الله يا معاوية، وأنصف من نفسك، فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ﷺ، وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله ﷺ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمّة رسول الله ﷺ، وعليّ خلف حسناً وحسيناً، وأنت تعلم من هما، وما هما، فاتق الله يا معاوية، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك».

وحديث معاوية مع عبد الله بن عباس بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام يؤكد هذا الأمر، وهو وقوفه على مكانة الإمام الحسن عليه السلام وخشيته منه تجاه خلافة يزيد.

«قال معاوية: يا بن عباس، هلك الحسن بن علي؟ فقال ابن عباس: نعم هلك، إنا لله وإنا إليه راجعون - ترجيعاً مكرراً - وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أما والله، ما سدّ جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، وقد مات وهو خير منك، ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه، جدّه رسول الله ﷺ، فحبر الله مصيبيته وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة، ثم شهق ابن عباس وبكى.. فقال معاوية: بلغني أنّه ترك بنين صغاراً، فقال ابن عباس: كلنا كان صغيراً فكبر، قال معاوية: كم أتى له من العمر؟ فقال ابن عباس: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده، قال: فسكت معاوية يسيراً، ثم قال: يا بن عباس، أصبحت سيّد قومك من بعده، فقال ابن عباس: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا، قال معاوية: لله أبوك يا بن عباس، ما استنبأتك إلا وجدتك معداً»^(١).

الجهود الأخيرة التي بذلها معاوية

خصّص معاوية بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام مساحة واسعة من نشاطه لتثبيت خلافة يزيد في المدينة، وكان واقفاً على المكانة الرفيعة للمدينة في العالم الإسلامي؛ ذلك

(١) أنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٤٩ - ١٥١.

لأنّ رضوخ أعيان المدينة للخلفاء السابقين قد أكسبهم المشروعية اللازمة للحكم، وبذلك مهّدوا السبيل إلى طاعة سائر المسلمين، وكان لكبار الصحابة والتابعين كالحسين بن علي عليه السلام مكانةً دينية وسياسية مرموقة بين المسلمين، وفي هذا السياق قام معاوية بعزل مروان بن الحكم عامله على المدينة بعد الجهود العقيمة التي بذلها لأخذ بيعة زعماء المدينة ليزيد، وتعيين سعيد بن العاص محلّه.

ومع أنّه أوكل لعامله الجديد متابعة هذه المهمة، إلّا أنّه لم يقطع اتصالاته بالحسين بن علي عليه السلام، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وكان معاوية يرسل إليهم كتبه بعبارات وأساليب متنوّعة، وكان سعيد بن العاص مكلفاً بإرسال هذه الكتب إلى أصحابها، وكان يتّهجّج مع كلّ واحدٍ منهم سياسةً خاصّة.

إضافةً إلى أنّ سعيداً هذا كان يسعى من خلال سياسة البطش والقمع إلى أخذ البيعة ليزيد عنوةً، ولكن أغلب الناس لا سيما بني هاشم قاوموا هذه السياسة، وهكذا عبد الله بن الزبير، ممّا دفع سعيد بن العاص إلى إرسال كتاب إلى معاوية يقول فيه: «أمّا بعد، فإنّك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين، وأن أكتب إليك بمن سارع ممّن أبطأ، وإنّي أخبرك أنّ الناس عن ذلك بطاء، لا سيما أهل البيت من بني هاشم، فإنّه لم يُجِبنِي منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره، وأمّا الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير، ولست أقوى عليهم إلّا بالخيّل والرجال، أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك، والسلام».

فكتب معاوية إلى عبد الله بن العباس، وإلى عبد الله بن الزبير، وإلى عبد الله بن جعفر، والحسين بن علي كتباً، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم، ويبعث بجواباتها، وكتب إلى سعيد بن العاص جاء في مقطع منه «وأنظر حسيناً خاصّةً، فلا يناله

منك مكروه، فإنّ له قرابةً وحققاً عظيماً، لا يُنكره مسلمٌ ولا مسلمة، وهو ليث عرين، ولست آمنك إن شاورته أن لا تقوى عليه، فأما من يرد مع السباع إذا وردت، ويكنس إذا كنست، فذلك عبد الله بن الزبير، فاحذره أشدّ الحذر».

وكتب إلى ابن عباس: «أما بعد، فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين، وإني لو قتلتك بعثان لكان ذلك إليّ؛ لأنك ممن ألّب عليه وأجلب، وما معك من أمان فتطمئنّ به، ولا عهد فتسكن إليه، فإذا أتاك كتابي هذا، فاخرج إلى المسجد والعن قتلة عثمان وبائع عاملي، فقد أعذر من أنذر، وأنت بنفسك أبصر، والسلام».

وكتب معاوية إلى عبد الله بن جعفر: «أما بعد، فقد عرفت أثرتي إياك على من سواك، وحسن رأيي فيك وفي أهل بيتك، وقد أتاني عنك ما أكره، فإن بايعت تُشكر، وإن تأبّ نُجّر، والسلام».

وكتب إلى عبد الله بن الزبير:

رأيت كرام الناس إن كفّ عنهم	بحلم رأوا فضلاً لمن قد تحلّما
ولا سيما إن كان عفواً بقدرة	فذلك أحرى أن يُجَلَّ ويعظّما
ولست بذئ لؤم فتعذر بالذي	أتاه من الأخلاق من كان ألوما
ولكن غشّالست تعرف غيره	وقد غشّ قبل اليوم إبليس آدمما
فما غشّ إلا نفسه في فعّاله	فأصبح ملعوناً وقد كان مكرما
وإني لأخشى أن أنالك بالذي	أردت فيجزئ الله من كان أظلماً ^(١) .

(١) أنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٣-١٥٥.

الإمام الحسين عليه السلام أبرز أقطاب المعارضة

كان معاوية قبل غيره يعلم بأنّ للحسين عليه السلام مكانةً وخصوصيات فريدة، تجعله يقف في صدارة المعارضة، من هنا تتميز رسالته إليه عليه السلام بالاحترام، فقد كتب إلى الحسين عليه السلام: «أما بعد، فقد انتهت إليّ منك أمور، لم أكن أظنّك بها رغبةً عنها، وإنّ أحقّ الناس بالوفاء لمن أعطى بيعة من كان مثلك في خطرِكَ وشرفِكَ ومنزلتك التي أنزلَكَ اللهُ بها، فلا تنازع إلى قطيعتك، واتّق الله، ولا تردنّ هذه الأمة في فتنة، وأنظر لنفسك ودينك وأمة محمد، ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون»^(١).

وكان الإمام عليه السلام يتحيّن هذه الفرصة، لكشف انحرافات حكومة معاوية من جهة، وبيان الحقائق الساطعة للدين وأهل بيت النبوة عليهم السلام من جهةٍ أخرى، وكذلك فضح جرائم بني أمية لا أمام الحاكم وأعوانه فحسب بل أمام التاريخ والمجتمع الإسلامي في تلك البرهة الحساسة، وبادر إلى الإفصاح عن نهجه المستقبلي، وبذلك أوصل الباب بوجه معاوية وأعوانه من التعاون معهم، وأفشل كافة المحاولات والمخططات التي بذلها معاوية من أجل كسب ودّ العلويين إلى جانبه.

فكتب الحسين بن علي عليه السلام إلى معاوية: «أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عني أمور لم تكن تظنّني بها، رغبة بي عنها، وإنّ الحسنات لا يهدي لها ولا يسدّد إليها إلّا الله تعالى، وأمّا ما ذكرت أنّه رقي إليك عني، فإنّما رقاها الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرّقون بين الجمع، وكذب الغاؤون المارقون، ما أردت حرباً ولا خلافاً، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك، ومن حزبك القاسطين المحليّن، حزب الظالم وأعوان الشيطان الرجيم، ألسنت قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين، الذين كانوا يستفزعون

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٤.

البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟! فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكّدة، جراءةً على الله، واستخفافاً بعهده، أو لست بقاتل عمرو بن الحمق الذي أخلّقت وأبليت وجهه العبادة؟! فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو فهمته العصم نزلت من شعف الجبال، أو لست المدّعي زياداً في الإسلام، فزعمت أنّه ابن أبي سفيان، وقد قضى رسول الله ﷺ أنّ الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلّبهم على جذوع النخل؟! سبحان الله يا معاوية! لكأنك لست من هذه الأمّة، وليسوا منك، أو لست قاتل الحضرمي الذي كتب إليك فيه زياد أنّه على دين علي عليه السلام، ودين علي هو دين ابن عمّه علي رضي الله عنه الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تحشّم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا، منّة عليكم؟! وقلت فيما قلت: لا ترد هذه الأمّة في فتنة. وإنّي لا أعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها. وقلت فيما قلت: أنظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمد. وإنّي والله، ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفلع فإنّه قربة إلى ربّي، وإن لم أفعله فاستغفر الله لديني، وأسأله التوفيق لما يحب ويرضى. وقلت فيما قلت: متى تكديني أكيدك. فكديني يا معاوية فيما بدا لك، فلعمري، لقدياً يكاد الصالحون، وإنّي لأرجو أن لاتضرّ إلا نفسيك، ولا تمحق إلا عملك، فكديني ما بدا لك، وأتق الله يا معاوية، واعلم أنّ الله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واعلم أنّ الله ليس بناسٍ لك قتلك بالظنة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك، وأهلك دينك، وأضعت الرعية، والسلام»^(١).

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يفضح على الدوام بدع معاوية، وإقدامه على جعل

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٥٥.

الحكم وراثياً في بني أمية، وأخذ البيعة ليزيد عنوةً، ويصرّح بمخالفته لتوليّ يزيد الخلافة حتى أمام معاوية نفسه حينما أرسل إليه وإلى ابن عباس، فأجاب الإمام الحسين عليه السلام ردّاً على ما قاله معاوية حول يزيد وإطرائه وجدارته بالخلافة، قائلاً: «وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محبوباً، أو تنعت غائباً، أو تُخبر عما كان ممّا احتوته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد على نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لأترابهن، والقيان ذوات المعازف، وضرب الملاهي، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله من وِزر هذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقيه، فوالله، ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عملٍ محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص»^(١).

وقد ظلّ الحسين عليه السلام ثابتاً على هذا الموقف المعارض لخلافة يزيد وحكومته، وكان عليه السلام يتحين الفرص في المناسبات المختلفة من أجل الإصحاح بهذا الموقف، وتوعية الناس استمراراً لخطّة الجهادي الثوري، حتى أنّه عليه السلام قام بشرح موقفه الديني والظروف السياسية والثقافية والاجتماعية، وضرورة الثورة على نحو التفصيل لما واجهه عسكر الحر بن يزيد الرياحي.

كما أنّ الإمام عليه السلام أجاب الفرزدق، وعبد الله بن المطيع، وعبد الله بن جعفر، وآخرين لما حذّروه من مغبة الوقوف بوجه يزيد نظراً لعدم تكافؤ ميزان القوى، معلناً بعزمٍ راسخ عن موقفه المبدئي تجاه يزيد، وضرورة الإطاحة به؛ بهدف إصلاح المجتمع.

(١) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٦٠.

A decorative frame with intricate Islamic geometric patterns in the corners and along the sides, surrounding a central white rectangular area.

الفصل الثاني

ثورة كربلاء ومقولة الاجتهاد

ثورة كربلاء ومقولة الاجتهاد

تمّ الحديث في الفصل السابق عن شروط الخلافة والإمامة عند أهل السنة، ومن أهمّها الفقهة التي تبدو الحاجة إليها ماسّة في هذا المنصب الحساس، كما تطرّقنا إلى وجهات نظر علماء أهل السنة حول ضرورة وأهميّة هذا العلم، وتوفّره لدى بعض الخلفاء، وغيابه عند البعض الآخر كيزيد بن معاوية، وسنبحث في هذا الفصل مقولة الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية، ومن خلالها نتبيّن موقف المعسكرين، ولا سيما أصحاب القرار فيهما، كما سوف نبذل الوسع في أن يكون البتّ بالأحكام والتقارير والنظريات في إطار علماء أهل السنة فقط، دون أن يتعدّاها إلى سائر المذاهب الأخرى. ونلجأ في البداية وبهدف تعميق البحث إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي للاجتهاد، ومن ثمّ نشير إلى خلفياته وأنواعه وتطبيقاته عند الفقهاء، ثمّ نخرج على يزيد وجلاوزة حكومته وقادته الذين كان لهم الدور الأكبر في الوقوف بوجه الإمام الحسين عليه السلام وقتاله، لنرى:

أولاً: هل تُعدّ واقعة كربلاء وقتال الحسين عليه السلام عند المجتهدين وذوي الخبرة والاختصاص من مواضع العمل بالاجتهاد وإعماله؟

ثانياً: استناداً إلى بعض الأخبار التاريخية المعتبرة لدى أهل السنّة، هل كان ليزيد وعمّاله مؤهّلات علمية وكفاءة دينية وروحية، تمكّنهم من الاجتهاد والعمل به وتدرجهم في عداد المجتهدين؟

ثالثاً: هل استعان يزيد ومن سار في ركبه بآلية الاجتهاد في كربلاء حين مواجهة الحسين عليه السلام؟ كي يستنبطوا حكماً شرعياً بجواز محاربة الحسين عليه السلام وأصحابه وقتلهم؟

رابعاً: هل تعامل يزيد وأعوانه مع حادثة كربلاء وفق معايير إسلامية، أو أنهم تخطّوا ذلك وتجاوزوه إلى ارتكابهم أعمالاً شنيعة لا يقرّها الدين، ولا تندرج تحت أصول ومقرّرات إسلامية، ولا يمكن أن تنبثق عن أسس دينية ودعائم إسلامية؟

الاجتهاد لغةً واصطلاحاً

اشتُقَّت مفردة الاجتهاد من مادّة (جهد) بمعنى بذل الجهد والسعي في عملٍ ما، وقد اتَّفَق على هذا المعنى أغلب علماء اللغة.

قال ابن الأثير: «الاجتهاد: بذل الوسع في طلب الأمر.. قد تكرر لفظ الجهد (بالفتح) والجهد (بالضم) في الحديث كثيراً، وهو بالضمّ الوسع والطاقة، وبالفتح المشقة»^(١).

قال ابن منظور: «الجهد المشقة، والجهد الطاقة. الليث: الجهد ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق فهو مجهود.. والجهد الشيء القليل يعيش به المقل على جهة العيش، وفي التنزيل العزيز ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾»^(٢)، على هذا المعنى.

وقال الفراء: الجهد في هذه الآية الطاقة، تقول: هذا جهدي، أي: طاقتي.. والجهد (بالضم): الطاقة، والجهد (بالفتح): من قولك اجهد جَهْدك في هذا الأمر، أي: أبلغ غايتك، ولا يُقال: اجهد جُهْدك..

والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود، وفي حديث معاذ: اجتهد رأي الاجتهاد؛ بذل الوسع في طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد الطاقة»^(٣).

وقال الراغب الأصفهاني: «الاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، يُقال

(١) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ١، ص ٣٠٨.

(٢) التوبة: آية ٧٩.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٣، ص ١٣٣.

جهدت رأبي وأجهدته: أتعبته بالفكر»^(١).

وقد ذكرت المصادر اللغوية المفهوم ذاته للاجتهاد مع اختلاف طفيف، ومع كل ذلك فإنّ الجهد قد أخذ في تعاريف الاجتهاد الذي يعني بذل الجهد والوسع. أمّا الاجتهاد اصطلاحاً فقد عرّفه الآمدي بقوله: «استفراغ الوسع في طلب الظنّ بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحسّ من النفس العجز عن المزيد فيه»^(٢).

وقال ابن الحاجب: «بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شرعي ظني»^(٣). وقد كتب الغزالي يقول: «بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة»^(٤). وبالطبع فإنّ ثمة معاني أخرى ذكرت للاجتهاد لا يمكن عدّها من المعاني الرائجة له، بل قد تختصّ بمذاهب خاصّة، فقد قيل: إنّ الاجتهاد هو القياس عند الشافعي، وادّعى في بعض آثاره أنّ للاجتهاد معنى واحداً، وقام بتفسيره بنحوٍ يختلف عن الاستحسان^(٥)، كما قام أحد الباحثين بدراسة العلاقة بين الاجتهاد والقياس ومعاني الرأي المختلفة، وخرج بحصيلة مفادها أنّ القياس الذي يُطلق على الاجتهاد بالرأي بالمعنى الأخص هو «بيان حكم موضوع جديد عن طريق أدلّة شرعية معتبرة»^(٦).

كما ذهب آخر إلى أنّ إطلاق الاجتهاد على القياس ينمّ عن تفسيرٍ خاصّ للاجتهاد، ويعود ذلك إلى الجهود الأولى للاجتهاد السنّي، وقال حول وجوه الاختلاف بينهما: «القياس هو إثبات حكم في المقيس بعلةً لثبوتة في المقيس عليه بتلك العلة، وفي الحقيقة أنّ

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ١٠١.

(٢) الآمدي، علي بن أبي علي، الإحكام في أصول الأحكام: ج ٤، ص ٢١٨.

(٣) ابن حاجب الأسنوي المالكي، مختصر الأصول: ص ١٧.

(٤) الغزالي، محمد بن محمد، المستصفى في علم الأصول: ج ٢، ص ٢٦٢.

(٥) أنظر: الشافعي، محمد بن إدريس، كتاب الرسالة: ص ٤٧٧.

(٦) جناتي، محمد إبراهيم، أدوار الاجتهاد عند المذاهب الإسلامية: ص ٢٨ - ٣٠.

القياس عملية من المستدل لغرض استنتاج حكم شرعي لمحلّ لم يرد فيه نصّ بحكمه الشرعي^(١)، وعلى هذا الأساس ذهب معظم علماء الشافعية إلى أنّ الاجتهاد أعم من القياس.

وقد عرّف ابن حزم الرأي بقوله: «ما يراه الحاكم من مصلحة لحاضر الرعية ومستقبلها» وهو الاستحسان الذي لا يستند إلى نصّ أو إجماع^(٢).

قال ابن قيم: «خصّ الرأي بما يراه القلب بعد فكرٍ وتأملٍ وطلب لمعرفة وجه الصواب ممّا تتعارض فيه الأمارات، فلا يُقال لمن رأى بقلبه أمراً غائباً عنه ممّا يحس به: إنّه رأيه، ولا يُقال أيضاً للأمر المعقول الذي لا تختلف فيه العقول ولا تتعارض فيه الأمارات: إنّه رأي، وإن احتاج إلى فكرٍ وتأملٍ كدقائق الحساب ونحوها»^(٣).

ويرى بعض محقّقي أهل السنة إن كان المراد من الأمارات في التعريف هو مطلق القرينة فعندها سيكون تعريف ابن قيم شاملاً لوجوه الاجتهاد كافة.

شروط الاجتهاد

إنّ الاجتهاد واستنباط الحكم الشرعي من مصادره، من الأمور التي هي بحاجة ماسّة إلى توفّر شروط على ضوءها يصبح هذا الأمر ممكناً، فمن ظفر بتلك الشروط امتلك ناصية الاجتهاد، وتنقسم تلك الشروط بلحاظ حقيقتها إلى شروط ذاتية وأخرى اكتسابية.

(١) آغا بزرگ الطهراني، محمد محسن، اجتهاد ومذاهب إسلامي (الاجتهاد والمذاهب الإسلامية): ص ٣٧. المظفر، محمد رضا، أصول الفقه: ج ٣، ص ١٨٤.

(٢) ابن حزم الأندلسي، علي بن حزم، الأحكام: ج ٦، ص ١٦.

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن ربّ العالمين: ج ١، ص ٧٦.

أ. الشروط الذاتية

هذه الشروط وكما هو واضحٌ من العنوان قد أودعها الخالق لدى كلّ البشر، ولا يمكن الحصول عليها أو كسبها من خلال النشاط الإنساني، هذه الشروط أصبحت مثاراً للجدل، فقد ذهب أهل السنة إلى أنّها عبارة عن: البلوغ والعقل والفطنة. أمّا الشرط الأوّل فقد بيّنه ابن السبكي بقوله: «من شروط الاجتهاد: البلوغ؛ لذلك لا يصحّ رأي واجتهاد غير البالغ، ولا يُعتمد عليه»^(١).

وأما العقل فقد عرّفه أحد علماء أهل السنة كالتالي: «العقل: وهو الملكة، أي: الهيئة الراسخة في النفس التي يُدرك بها صاحبها ما من شأنه أن يُعلم، وقيل: العقل نفس العلم، أي: الإدراك النظري والضروري، وقيل: هو الإدراك الضروري فقط، إلّا أنّ العاقل بسبب اتّصافه بالعلم الضروري الذي لا ينفك عنه، يصدّق على ذي العلم النظري أيضاً، كما أنّه يصدّق على مَنْ لا يتأتّى منه النظر كالأبله، وعلى كلّ حال فإنّ المراد باشتراط العقل في المجتهد هو أن يكون سليم الإدراك خالياً عمّا يُعتبر عيباً فيه، كالجنون والعتة والسفه»^(٢). وأهمّ من كلّ ذلك الإيوان، حيث يمكن اكتسابه رغم أنّه أمرٌ فطري.

ولأخلاف حول ضرورة أن يكون المجتهد مسلماً وموحّداً، إنّما الغرض من طرحه في الاجتهاد هو الوقوف التفصيلي أو الإجمالي على علم الكلام، وامتلاك العلم اللازم بضروريات الدين، وقد ذهب بعضٌ إلى لزوم الوقوف على دقائق علم الكلام لتحقيق الاجتهاد وقدرة الاستنباط، وذهب بعضٌ آخر إلى عدم لزوم ذلك.

ب. الشروط الاكتسابية

عدّ أهل السنة شروطاً عديدة للظفر بالأحكام الشرعية من خلال الاجتهاد، ومع

(١) ابن السبكي: جمع الجوامع مع حاشية البناني: ج ٢، ص ٣٨٢.

(٢) توانا، محمد موسى، الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر: ص ١٦٢.

توفرها يصبح بإمكان المجتهد الرجوع إلى مصادر التشريع والإفتاء، هذه الشروط هي كالتالي:

- الوقوف على اللغة العربية وآدابها.
 - معرفة القرآن الكريم.
 - معرفة السنة النبوية.
 - معرفة مقاصد الشريعة.
 - الإلمام بعلم الأصول.
 - معرفة القواعد الفقهية.
 - الاستعداد اللازم للاستنباط.
- كما طرح علماء أهل السنة شروطاً أخرى للاجتihad، وأهمها: العدالة، والورع، والتقوى، وموافقة العمل للعلم والقول، وأدلوها بمزيد من التفصيل حول تلك الشروط، أحجمنا عن ذكرها مخافة الإطْنا ب.

أقسام الاجتهاد

أول مطلب لا بدّ من الوقوف عنده في بحث الاجتهاد هو سعة الاجتهاد ومجالاته، فلا بدّ من النظر في أي المواضيع والحالات يكون للاجتihad معنى، وأيّها يكون بلا مفهوم ولا معنى، أي: متى يجري؟ وكما هو معلوم لا يجوز إجراء الاجتهاد في الأحكام المعلومة والضرورية، كما هو الحال في الأحكام القطعية الثبوت والدلالة، مثل: وجوب الصلوات الخمس، وحرمة الزنا والسرقه والخمر والقتل، وإقامة الحدود عليها الثابتة بواسطة آيات القرآن الكريم والسنة القولية والعملية للنبي صلّى الله عليه وآله، بحيث لا تدع مجالاً لممارسة الاجتهاد، والنوع الثاني من الأحكام التي لا يجري فيها الاجتهاد يشمل الأحكام الصادرة عن النصوص الظنيّة عند غياب النصّ أو الإجماع.

ومن هذا المنطلق قسّم العلماء الاجتهاد إلى (واجب، وحرام، ومستحب، ومكروه، ومباح)، وأبرز أنواع الاجتهاد الحرام، هو الاجتهاد في مقابل النصّ كما سيأتي.

اجتهاد يزيد بن معاوية وأعوانه

بعد استيعاب مفهوم الاجتهاد وشروطه وأقسامه يتّضح بطلان ما ذهب إليه ثلّة من أهل السنة، وخلافاً لأغلب جمهور السنة، وسائر الفرق الإسلامية إلى تبرير جرائم يزيد وزمرته دفاعاً عنهم، من هذه التبريرات هي إسناد الجرائم الشنيعة التي ارتكبتها أعوان يزيد وجهازه إلى اجتهادهم، وفي الواقع فإنّ هؤلاء بعد أن ثبت لديهم عدم إمكانية الدفاع عن خلافة يزيد؛ نظراً لغياب مشروعيّتها وفاعليّتها، وعدم صمودها أمام الشبهات الكثيرة، قامت بالدفاع عن يزيد من خلال التشبّث باجتهاده.

ومما يجدر ذكره أنّ أتباع هذا الرأي لم يذكروا هذا الأمر صراحةً، بل إنّ عباراتهم في هذا الصدد شتّى، فقد كتب أبو بكر بن العربي المالكي يقول: «وما خرج إليه أحدٌ إلّا بتأويل، ولا قاتلوه إلّا بما سمعوا من جدّه المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر عن الدخول في الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة، منها.. قوله ﷺ: إنّهُ ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمّة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان، فما خرج الناس إلّا بهذا وأمثاله»^(١).

وكتب أحد الدارسين عن سبب قتال الناس لابن بنت رسول الله ﷺ يقول:
«وهكذا انتشر بين جماهير المسلمين الذين ليس لهم هوى ولا مصلحة أنّ الخروج على الإمام تفريق صفوف الأمّة وصرع لبنائها.. وتردّد على أفواه الناس حديث رسول الله أنّه

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

ستكون هنات»^(١).

ومع هذا الادّعاء فمن المناسب البحث بنحوٍ دقيق وشمولي حول تحقّق شروط الاجتهاد ومعاييرهِ في يزيد وأعوانه، لا سيما مَنْ شارك منهم في واقعة كربلاء، فهل كانوا مجتهدين بحسب رأي علماء ومؤرّخي أهل السنة، وبإمكانهم إصدار فتوى على ضوء الموازين والشروط المسلّمة والمعتبرة شرعاً؟ وهل نُقل عنهم هكذا ادّعاء؟ ثمّ يجب التأمّل في قابلية المقام للاجتهاد والتأويل، وهل أنّ للاجتهاد معنى في حادثة عاشوراء وقاتل الحسين عليه السلام وأصحابه، وتعتبر من المواضيع التي يلجأ فيها إلى الاجتهاد؟ وأخيراً إلى آية جهة تقودنا الوثائق التاريخية؟ وهل حدث شيء كهذا، أو أنّ الواقع التاريخي يُثبت خلاف ذلك؟

تأملات في صلاحية يزيد بن معاوية

شهد معظم علماء أهل السنة على يزيد بن معاوية بالفسق قبل وقوع حادثة كربلاء، ويرشدك إلى ذلك خطّه الفكري والتربوي. من هنا فمن ادّعى اصطفاً نوعين من الاجتهاد في كربلاء، وانبعث يزيد وأعوانه مستنديين على الأحاديث النبوية لقتال الحسين عليه السلام، فعليه تقديم أدلّة تثبت قدرة الاجتهاد لدى يزيد وأعوانه.

التهافت الواضح

إنّ أوّل ما يلوح عند بيان ادّعاء تلك الثلّة هو التهافت الواضح في الدفاع عن يزيد؛ ذلك أنّها ذهبت إلى تجلّي نوعين من الاجتهاد والتأويل في كربلاء من جهة، وادّعاء براءة يزيد من قتل الحسين بن علي عليه السلام بل وحزنه لوقوع تلك الحادثة من جهةٍ أخرى، وقد

(١) شعوط، إبراهيم علي، أباطيل يجب أن تُمحي من التاريخ: ص ٢٤٨.

صُنِّفَ في هذا الصدد كتاب تحت عنوان: (براءة يزيد بن معاوية من قتل الحسين) أسهب المؤلف فيه في الحديث عن حزن يزيد لاستشهاد الحسين عليه السلام ومعاملته لأهل بيته.

من الواضح أنَّ ادعاء براءة يزيد ممَّا اقترفه قبل أن يكون وجهة نظر أشبه مايكون بمزحة تاريخية، فقد حاول إلقاء مبادئ عقائدية وفكرية عارية عن الانسجام والوضوح على المخاطبين، وسوف نتناولها بمزيد من التفصيل في الفصل الرابع، أمَّا التهافت الذي يلوح من هذا الكلام هو أنَّ المدافعين عن يزيد والمعتقدين باجتهاده في حادثة كربلاء وأنَّ ماجرى كان عبارة عن نوعين من الاجتهاد الشرعي قد تعارضا، ما بالهم لا يلتزمون بلوازمه، وهو إلقاء تبعات تلك الجريمة بشكل رسمي على عاتق يزيد؟ وهل يمكن قبول اجتهاده وتقديمه على اجتهاد الإمام الحسين عليه السلام، مع عدم الالتزام بلوازمه، ومنها قتل الحسين عليه السلام وأصحابه، ونسبة ذلك إلى عبيد الله بن زياد تارة، وإلى عسكره تارة أخرى؟

وهذا تهافتٌ بل تحبُّطٌ واضح، ممَّا ينم عن عدم اعتقاد بهذا القول لما فيه من تكلف وخلوه من أية قيمة.

العقل والفتنة

إنَّ العقل والفتنة - كما تقدَّم في مبحث شروط الاجتهاد - من الشروط الذاتية للاجتهاد عند علماء أهل السنة، ومن الواضح أنَّ يزيد كان يفتقدهما أو كان عاجزاً عن إعمالهما.

كان يزيد - وكما مرَّ في الفصل الأوَّل - قد ترعرع في أحضان قبيلة بني كلب النصرانية، والتي اعتنقت الإسلام فيما بعد، وكان منغمساً بالشهوات الجنسية، والطرب والغناء، ومعاقرة الخمر، وكلَّ ذلك لا يدع مجالاً للشك في أنَّ ممارسة تلك

المحرّمات تتنافى والعقل، وتحول دون اتّخاذ إجراءات سليمة صادرة عن عقلٍ أو فطنة. ويلوح من سجل يزيد الأسود أنّه كان فاقداً للعقل والفطنة اللازمة، ولم يستتر بهما طيلة حياته، ويرشدك إلى ذلك أنّه بدأ خلافته بقتل الحسين عليه السلام ربحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنهاها بهدم الكعبة وإحراقها.

وعليه فجهود معاوية - الذي لم يعتقد يوماً ما بأنّ الخلافة تمثّل استمراراً لخطّ النبوة - التي كرسها للاستيلاء والغلبة، والحكم على رقاب العباد، قد ذهبت أدراج الرياح على يد يزيد، من خلال مواقفه الطائشة والمتهوّرة، البعيدة كل البعد عن العقل والحكمة، والتي على ضوئها ضاعت السلطة وإلى الأبد عن السلالة السفّينية.

الشروط الاكتسابية

دافع أعوان يزيد بن معاوية بصورة غير مباشرة عن مهارته الأدبية، وأنثوا بالخصوص على شعره^(١).

أمّا سائر الشروط كمعرفة القرآن، والسنة النبوية، وفهم مقاصد الشريعة، والإلمام بالفقه والأصول، فلا نكاد نعثر لها على أثر في المصادر، إلّا ما تُسبب إلى ابن عباس: «روى المدائني أنّ ابن عباس وفد إلى معاوية بعد وفاة الحسن بن علي، فدخل يزيد على ابن عباس وجلس منه مجلس المعزّي، فلما نهض يزيد من عنده، قال ابن عباس: إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس»^(٢).

ويبدو أنّ هذا الخبر بعيد عن الصواب من جهات؛ ذلك أنّه مع قطع النظر عن ضعف السند، فإنّ ابن عباس ليس معصوماً، ولعلّه خضع لسياسة الترهيب

(١) محمود إبراهيم، براءة يزيد بن معاوية من قتل الحسين: ص ٦.

(٢) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: هامش ص ٢٢٩.

والترغيب التي اتّبعها معاوية، ومع صرف النظر عن ذلك، فإنّ الخبر لا يُثبت أي شرط من شروط أهل السنة، كالفقاهة والاجتهاد، فهل يثبت علم يزيد بالقرآن الكريم وآيات أحكامه، وعمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ومطلقه ومقيّده؟ وهل أنّ ما ذُكر في الخبر يُثبت علم يزيد بالسنة ومقاصد الشريعة والفقه، ولو في رأي شخص واحدٍ كابن عباس؟

ولعلّ تلك الإشكالات وغيرها حالت دون استحواذ هذا الخبر على اهتمام ابن العربي، الذي كتب عن علم يزيد وعدالته دون أن يستند إلى هذا الخبر، وقال: «فإن قيل: لمن فيه شروط الإمامة، قلنا: ليس السن في شروطها ولم يثبت أنّه يقصر يزيد عنها، فإن قيل: كان منها العدالة والعلم، ولم يكن يزيد عدلاً ولا عالماً، قلنا: وبأي شيء نعلم عدم علمه أو عدم عدالته، ولو كان مسلوبهما لذكر ذلك الثلاثة الفضلاء (عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير) الذين أشاروا عليه بأن لا يفعل، وإنّما رموا إلى الأمر بعيب التحكّم، وأرادوا أن تكون شوري»^(١).

يدلّ هذا الكلام على غياب أيّ دليل يدل على اجتهاد يزيد وعلمه بالدين ومعارفه، وهو قبل أن يكون دليلاً للإثبات هو دليلٌ على عجز يزيد والاعتراف بضعفه في هذا المجال؛ ذلك لأنّ المخالفين - كما تقدّم في الفصل السابق - ومن جملتهم الفضلاء الذين تقدّم اسمهم قد أنكروا ولاية عهد يزيد، وذهبوا إلى عدم شرعيتها، لما يترتب عليها من مفساد، فلا تصل النوبة إلى شروط ولاية العهد، وأهمّ من كلّ ذلك فإنّ فسق يزيد وولعه بارتكاب المحرّمات وابتعاده عن الدين أوضح من الشمس في رابعة النهار، الأمر الذي أدّى بجميع الواعين إلى عدم الشعور بالحاجة إلى الإشارة إلى ذلك، وإلى

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٢٩.

جانب ذلك، فهل كان سائر أقوال المخالفين تلقى أذناً صاغية لدى معاوية حتى يزعزع بيان جهل يزيد من قبلهم ثقة معاوية وطغمته بيزيد وولاية عهده؟ والملفت للنظر هو التهافت الروائي الواضح في نفس الرواية التي نُقلت على لسان ابن عباس، والتي يُراد من خلالها إثبات اجتهاد يزيد وعلمه؛ لأنّه في صدر هذا القسم نقل عن محمد بن علي بن أبي طالب: «فرايته مواظباً على الصلاة، متحرّياً للخير، يسأل عن الفقه، ملازماً للسنة»^(١)، والذي يشير إلى عزم يزيد على تعلّم الفقه لا إلى فقّحه وتصديّهِ للإفتاء.

فقهاء الصحابة والتابعين

مع أنّ الشروط التي ذكرها أهل السنة للاجتهاد الحقيقي لا تتوفّر في يزيد البتّة، و لا يمكن إثباتها له كي تنشبّ باجتهاده لتبرير ما قام به، إلّا أنّ مراجعة التاريخ المصطنع عبر بوابة أهل السنة لا تخلو من فائدة، من هذا الباب وبغضّ النظر عن الاستدلالات السابقة، فهل أدرج التاريخ يزيد في عداد فقهاء عصره، وعلى فرض وقوع ذلك، ففي أيّة طبقةٍ من طبقات الفقهاء يندرج؟

(١) هذه الرواية لا يمكن الاعتماد عليها؛ وذلك لأنّه:

أولاً: مرسلة.

ثانياً: إنّها تعارض مع الأخبار المتواترة عن الإمام الحسين عليه السلام وشهداء واقعة الحرة وبعض الصحابة ومؤرخي أهل السنة حول فساد يزيد وتربيته غير الإسلامية، ونصبه العداء لأهل البيت عليهم السلام، فهي عندئذٍ ساقطة عن الاعتبار. ثالثاً: ومع غصّ الطرف عن الأخبار المتواترة، فإنّ ما قام به يزيد من قتل الإمام الحسين عليه السلام، والقتل العام لأهل المدينة في واقعة الحرة، وهدم الكعبة، كيف يمكن تبريره؟! وكيف ينسجم مع زهد يزيد وتديّنه؟! رابعاً: ومع كلّ ذلك فإنّ الخبر المزبور على فرض صحّته، فإنّه يدلّ على مكر يزيد بمرأى محمد ابن الحنفية، ولا يمكن أن يعكس شخصيته الواقعية، كما أنّ الراوي نقل ما شاهده لأنّه مدح شخصه وتديّنه وزهده. وعليه فإنّ الرواية مثل سائر الموضوعات التي وضعها الجهاز الأموي بهدف تبرئة يزيد من فاجعة كربلاء، وساقطة عن أيّ اعتبار. وسيأتي في فصل لعن يزيد وفلسفة ثورة كربلاء أنّ علماء أهل السنة لم يُعيروا أهميّة لتلك الموضوعات.

جديرٌ بالذكر أنَّ المؤرِّخين المسلمين قد قسَّموا فقهاء العصر الإسلامي الأوَّل إلى طبقتين: طبقة فقهاء الصحابة، وطبقة فقهاء التابعين، وكما مرَّ فإنَّ الخلفاء الأربعة مع اختلاف درجاتهم يُعدُّون من طبقة فقهاء الصحابة، ومن الواضح أنَّ يزيد لا يندرج تحت عنوان أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنَّه ولد عام (٣٢) من الهجرة^(١).

من هنا يجب اقتفاء أثره بين التابعين، وكان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام - رابع أئمة أهل البيت عليه السلام - لدى الشيعة - أفقه التابعين باعتراف أهل السنة أنفسهم، ومن أهل الفتوى، كما اعترف بذلك فقيهم المعروف محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وقال: «ما رأيت أحداً كان أفقه من علي بن الحسين»^(٢).

أمَّا يزيد الذي ارتكب فاجعة كربلاء فإنَّه لم يُذكر في أيِّ مصدرٍ تاريخي كفتيهِ من فقهاء التابعين، بل يدلُّ تصدِّي علي بن الحسين عليه السلام أيام خلافة يزيد والسفليانيين والمروانيين على عدم وجود أساس فقهي يستند إليه الحكم الأموي، الذي كان يكنِّ العداء للفقهاء ومواقفهم، لا سيما الإمام زين العابدين عليه السلام.

وحينما تذكر النصوص التاريخية سلسلة خلفاء بني أمية وتصل إلى يزيد الذي استلم الحكم عام (٦٠ هـ) اكتفت بتعريف موجز لسيرته وأبنائه، وأظهرت أسفها عمَّا قام به من جرائم تقشعرُّ لها الأبدان، وقد تلعنه أو تشير إلى ذلك بخجلٍ واستحياء. من هنا فقد فتح باب تحت عنوان فضائل ومناقب الخلفاء الراشدين أو أمثال عمر بن عبد العزيز، واجتنبت الإطراء على يزيد بعناوين وألقاب مثل: رضي الله عنه.

اجتهاد أعوان يزيد

من الطبيعي أن يكون ليزيد الدور الرئيس في خلق فاجعة كربلاء، وقد دعمه في

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج ٦، ص ٢٩٣.

(٢) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ١٦٥.

ذلك العديد من زعماء القبائل والسياسيين والمحاربين والقادة، وتمكّنوا بالتعاون فيما بينهم من إجهاض ثورة كربلاء على الظاهر، هذا الإجهاض الذي سرعان ما تحوّل إلى نجاح خالد، وأصبح منشأً لتجديد حياة الدين ومدّ المجتمعات البشرية لا سيما الإسلامية بالهداية والحماسة والإصلاح.

ويتيسّر لنا عبر تصفّح التاريخ معرفة الأيادي التي تطلّخت بدماء الأبرار، والتي استعان بها يزيد، وكان لها دورٌ مباشر في التخطيط والتنفيذ وقاتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، نظير: مروان بن الحكم، وعبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وشمر بن ذي الجوشن، وشريح بن الحارث المعروف بشريح القاضي، حرملة بن كاهل الأسدي، وخولي بن يزيد الأصبحي، وسانن بن أنس النخعي، والحصين بن نمير، وشبث بن ربعي، الذين كانوا يشكّلون العمود الفقري لتلك الواقعة.

لا شكّ أنّ العرض الموجز لسيرتهم كفيل بالإجابة عن استفسارات، نظير: هل أنّهم حازوا الشروط المعتبرة للاجتهاد من منظار أهل السنة؟ وهل حازوا الشروط الذاتية والاكتسابية للمجتهد الجامع للشرائط؟ وهل ثمة قيمة لاجتهادهم مع شذوذهم خلقياً وسلوكياً؟ وهل يمكن اعتبار جرائمهم في كربلاء صادرة عن اجتهاد وتأويل، وامثال أمر النبي صلى الله عليه وآله الذي أصبح ذريعة للمدافعين عنهم؟

وخلاصة الكلام: هل أنّ الحسين بن علي عليه السلام قُتل بسيف جدّه صلى الله عليه وآله، وبأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

١- مروان بن الحكم

على الرغم من غياب مروان بن الحكم عن ساحة كربلاء، إلّا أنّه أوّل من اقترح قتل الحسين عليه السلام على الوليد بن عتبة عامل يزيد على المدينة لما قال: احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، ولما رفض الوليد ذلك، قال مروان للوليد:

لتندمن على تركك إياه، فقال الوليد: يا مروان، ما أحبُّ أن أملك الدنيا بحذافيرها على أن أقتل حسيناً، إنَّ الذي يُحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة^(١).
وتدلَّ سيرته على أنَّه لم يملك اعتقاداً راسخاً بالإسلام، وعلى فرض إسلامه يُطرح هذا السؤال: هل كانت له جدارة علمية وعملية تؤهِّله للاجتهاد وإبداء حكم الإسلام؟ وأخيراً هل أنَّ رأيه بقتل الحسين عليه السلام صادرٌ عن رؤية دينية، ونظرة إسلامية، أو صادر عن أغراض ومقاصد سياسية؟

وُلد مروان بن الحكم عام (٢٠هـ)، أبوه الحكم بن أبي العاص، الذي أسلم على الظاهر، واعتُبر من المسلمين، إلَّا أنَّه كان يلحق الأذى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويكُنُّ له حقداً عميقاً، وكان يحكي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مشيته وبعض حركاته، وكان يسترق السمع من خلف أبواب حجرات النبي صلى الله عليه وآله وسلم عسى أن يظفر بشيء من أسرار النبي الشخصية والعائلية؛ لنشرها على الملأ بعد ذلك، الأمر الذي أدَّى إلى أن يلعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينفيه وابنه مروان من المدينة إلى الطائف^(٢).

يقول ابن الأثير في هذا الصدد:

«إنَّ الأمر المقطوع به أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حلمه وإغضائه عمَّا يكره، ما فعل به ذلك إلَّا لأمر عظيم، ولم يزل منفيّاً حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما ولي أبو بكر الخلافة قيل له في الحكم ليردّه إلى المدينة، فقال: ما كنت لأحلَّ عقدةً عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك عمر، فلما ولي عثمان الخلافة ردّه»^(٣).

وقد اشتهر الحكم بن أبي العاص بأنَّه طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكتفِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٣١٧.

(٢) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة: ج ٢، ص ٣٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٧-٣٨.

بنفيه، بل إنّه حذر الأمة وخوفها منه ومن نسله، فعن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: كنّا مع النبي صلى الله عليه وآله فمرّ الحكم بن أبي العاص، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ويلٌ لأُمّتي ممّا في صلب هذا»^(١).

وينقل ابن الأثير في أسد الغابة عن بنت الحكم بن أبي العاص أنّها قالت للحكم: «ما رأيت قوماً كانوا أسوأ رأياً وأعجز في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله منكم يا بني أُمّية»^(٢).

مات الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان، أمّا أبنائه وفي مقدّمتهم مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله لم يرده عثمان - في ظلّ السياسات الأموية والطائفية التي اتّبعتها - من منفاه فحسب، بل تركه يشقّ طريقه بالتدريج إلى جهاز الخلافة، وأصبح كاتبه ومن مستشاريه الخاصين.

نظر إليه الإمام علي عليه السلام يوماً فقال: «ويلك وويل أمة محمد منك ومن بنيك»^(٣). وكان لمروان بسبب مشوراته دورٌ مؤثّر في إذكاء شعلة الثورة وتأجيحها على عثمان وانحطاط دولته، لما اتّبع عثمان سياسة أموية تتلخّص في هدر بيت المال وتبذيره، وإطلاق يد بني أُمّية في ظلم الناس، واتّساع هوة الفواصل الطبقية، وتجاهل ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله على الصعيد الحكومي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي، وبذلك مهّد لهلاك نفسه وسقوط حكومته.

وبعد انتهاء التوتّر بين الناس - لا سيما أهل مصر - وبين الخليفة الثالث بعد كتابة عثمان بعزل عامله على مصر، كتب مروان كتاباً في إبطال ماسبق وأمر فيه بقتل المعارضين، وأرسله على وجه السرعة، ولما وقع الكتاب بيد الثوار في مصر عادوا إلى

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة: ج ٢، ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق: ج ٥، ص ١٤٥.

المدينة، وقاموا بتصعيد الاحتجاجات ضدّ عثمان التي انتهت بقتله وسقوط حكومته، وعلى هذا الأساس يعتقد الكثير من المؤرّخين أنّ مروان اليد الطولى في قتل عثمان^(١). وبعد مقتل عثمان أرسل مروان قميصه الذي كان بيد أمّ حبيبة إلى معاوية في الشام، وقد شارك في حرب صفّين إلى جانبه ضدّ علي بن أبي طالب عليه السلام الخليفة الشرعي للمسلمين، وكان قبل ذلك قد شارك في حرب الجمل إلى جانب عائشة. وبعد صلح الإمام الحسن عليه السلام وتثبيت دعائم حكومة معاوية أصبح عامله على المدينة، حيث أمر بسبّ علي عليه السلام فيها وروّج لذلك، كما كان عامله على مكة والطائف. **مروان ومأساة كربلاء**

كان مروان في المدينة لما وصل يزيد بن معاوية عام (٦٠هـ) إلى سدّة الحكم، وحينها دعا والي المدينة الحسين عليه السلام وأبلغه بموت معاوية، عارضاً عليهبيعة يزيد، إلّا أنّ الإمام عليه السلام رفض، وكان مروان حاضراً في المجلس، فاقترح على والي المدينة قتله عليه السلام، إلّا أنّ والي امتنع عن ذلك. ولما بُوع مروان بالخلافة في الشام قال أخوه عبد الرحمن بن الحكم - وكان حسن الشعر لا يرى رأي مروان -:

فوالله ما أدري وإني لسائل	حليّة مضرّوب القفا كيف تصنع
لحا الله قوماً أمروا خيط باطل	على الناس يُعطي ما يشاء ويمنع
وقال أيضاً:	

يقيم بدار مضّيعة إذا لم	يكن حيران أو خفق الجنان
فلا تقذف بي الرجّوين إنّي	أقلّ القوم من يغني مكاني

(١) أنظر: العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٦، ص ٢٠٤.

سأكفيك الذي استكفيت مني بأمر لا تخالجه اليـدان
ولولا أن أم أيـك أمي وأن من قد هجأك فقد هجاني
لقد جاهرت بالبغضاء أي إلى أمر الجهارة والعلان^(١).
كل هذا يرشدنا إلى افتقار مروان للشروط التي ذكرها أهل السنة في العدالة والتفقه
في الدين، من هنا لم تثبت صلاحيته من الناحية العلمية والعملية، بل كان عارياً منها
على وجه القطع والجزم.

كما أن ما أفشاه بعد فاجعة عاشوراء يعكس لنا جانباً آخر من جوانب شخصيته
وموقفه حيال أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام.
وعلى كل حال، مثله مثل سائر من حضر كربلاء لقتال الإمام عليه السلام لم يكن دافعه في
كل ذلك الدين وإطاعة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله - كما يدعي ذلك أتباع يزيد - بل حب الجاه
والمال وكراهيته للإسلام وآل النبي صلى الله عليه وآله الذي كان يحمل لهم حقداً دفيناً، وكان يتحين
الفرص للانقضاض عليهم وقتلهم، ولم يخش من الإفصاح عن تلك الأمانى القديمة
أبداً.

٢- عبيد الله بن زياد

اسمه عبيد الله، وكنيته أبو حفص أو أبو الأحمر، أبوه زياد الذي وُلد من سمية
زوجة عبيد، وكانت صاحبة راية، ولم يُعرف أبوه، الأمر الذي دعا بمعاوية إلى
استلحاقه بنسبه في بداية خلافته؛ وذلك أن أبا سفيان صار إلى الطائف، فنزل على حمار
يُقال له: أبو مريم السلولي، وكانت لأبي مريم معه صحبة، فقال أبو سفيان لأبي مريم
بعد أن شرب عنده: قد اشتدَّت بي العزوبة، فالتمس لي بغياً، فقال: هل لك في جارية

(١) العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة: ص ١٤٦.

الحارث بن كعدة سمّية امرأة عبيد؟ فقال: هاتها على طول ثديها وريح إبطيها. فجاء بها إليه فوقع بها فولدت زياداً^(١).

وقد استلحقه معاوية بأبيه رغم صريح ما ورد عن النبي ﷺ أنّه قال: «الولد للفراس وللعاهر الحجر»، وقد ولد عبيد الله من صُلب ذاك الرجل عام (٣٣هـ)^(٢)، أمّه مرجانة وهي أمة وقعت في أسر المسلمين من بلاد الفرس، اشتهرت بالفسق والفجور، من هنا فقد يُنسب إلى أمّه مرجانة خاصة حينما يُراد بيان عدم طهر ولادته، فقد ورد في مقطع من كلام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء: «ألا إنّ الدعي^(٣) ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلة، هيهات ممّا الذلة»^(٤).

كان عبيد الله بن زياد فاجراً في خصومته، جاهلاً في تجربته وقسوته حتى بلغ به الإسفاف أنّه أصرّ على رضوخ الحسين لأمره، وحضوره بين يديه، وإلاّ فليقتل وليوطأ جسده الشريف سنابك الخيل.

ولا عجب في أن يقف ابن زياد ذلك الموقف من ابن بنت رسول الله، فإنّه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلاّ أهل الفضل، وهيهات أن يكون مثل عبيد الله منهم، فقد دلّ بتجاهله لمقام الحسين من الله ورسوله على تأصل جاهليته وفساد سريرته... ومع ما اشتهر به عبيد الله بن زياد من تجرّ وطغيان، فقد كان جباناً رعيدياً، حريصاً على السلامة^(٥).

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٩. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٢٢٣.

(٢) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق: ج ١٥، ص ٣١٢.

(٣) الدعي: على وزن فعيل بمعنى المفعول، مثل: جريح بمعنى مجروح، وهذه المفردة تشير إلى مرجانة أمّ عبيد الله، وحالها كحال سمّية أمّ زياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية بأبي سفيان.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٢٥. الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٣٣٦.

(٥) أنظر: يوسف، حسين محمد، سيّد شباب أهل الجنة: ص ٣٤٦.

خصوصياته العلمية

لقد اعتُبر من الرواة في بعض مصادر أهل السنة، وقيل: إنّه نقل عن سعد بن أبي الوقاص ومعاوية بن أبي سفيان ومعقل بن يسار وابن معاوية (أخو بني جعدة)، أمّا سجّله في أوساط أصحاب الحديث فهو أسود، فيكفيك أنّ ابن حجر العسقلاني وآخرين لم يدرجوه في عداد الرواة والمحدثين، لذا عند مراجعة المصادر من الدرجة الأولى، لا يأتي ذكره إلا كأحد الرواة المجهولين ممّن روى روايات قليلة جداً وعن أشخاص محسوبين على التيار الأموي، وهذا الأمر لا يثبت كونه ثقة في نقل هذا العدد الضئيل من الروايات، كما لا يُثبت له مقام الفقاهاة والفتيا^(١).

هذا في الوقت الذي لا تعتبره الروايات التاريخية من الرواة والمحدثين فحسب، بل تشكّك في تعلّمه القراءة والكتابة؛ ذلك لأنّ عبيد الله بن زياد وفقاً لبعض المصادر وبسبب عجمة لسان أمّه لا حظّ له من التسلّط على العربية، من هنا فلم يشبهه القادة السياسيين، فلا يُجيد الشعر ويفتقر إلى الذوق الأدبي، بل قد تتلمذ عند أبي الأسود الدؤلي لتعلّم اللغة العربية ورَفَع مشاكله فيها^(٢).

سجّله السياسي

لقد ولّاه معاوية خراسان بعد موت أبيه زياد في الأعوام (٥٣ - ٥٤هـ)^(٣)، وترافقت سياسته مع سفك الدماء وقسوة لا حدّ لها، ثمّ ولّاه البصرة عام (٥٥هـ)، حيث قام فيها بقتل الخوارج وبناء القصر المعروف بقصر البيضاء^(٤).

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٩٩ - ٣٠٧.

(٢) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٠٥ - ٥٠٦.

(٣) أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٥٤٥.

(٤) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٨ - ٣٦٥، وص ٣٦٨ - ٣٠١ - ٣٠٨، وص ٤٠٢ - ٤٠٨. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٤، ص ٨٤٩ - ٨٥٦.

ثم انتقل إلى الكوفة عام (٦٠هـ) واتبع سياسة صارمة قاسية قلما مارسها أحد قبله، كقتله مسلم بن عقيل بلا رحمة بعد تعذيبه، وإعدام الصحابة والتابعين أمثال: هاني بن عروة، وميثم التمار، ورشيد الهجري، وعبد الأعلى الكليبي، وقيس بن مسهر الصيداوي، وعبد الله بن يقطر، وعمارة بن صلخب الأزدي، وآخرين، وإحجام جمع غفير من أتباع الحسين (عليه السلام) في الكوفة والبصرة وخراسان في الزنانات، مما يدل على ظلمه وقسوته، وقتله بالظنة ناهيك عن بعده عن العدل والدين^(١).

وقد بلغ عبید الله من خبث السريرة والطينة بمكان دفع أتباع يزيد بن معاوية أن يتبرؤوا مما قام به ونسبوا إليه ما جرى في كربلاء من قتل الحسين بن علي (عليه السلام) وظلم أهل البيت وأتباعهم.

وهذا النحو لم يثبت المدافعون عن يزيد مقام الاجتهاد والفقاهة لعبید الله فحسب، بل لم يتمكنوا من الدفاع عن تاريخه المليء بالعار، ونسبوا إليه مباشرة فاجعة كربلاء وقتل الحسين (عليه السلام).

٣- عمر بن سعد بن أبي وقاص

وُلِدَ وطبقاً للمشهور عام (٢٣هـ) وهو العام الذي مات فيه عمر بن الخطاب، وكان أبوه سعد بن أبي وقاص أحد أصحاب رسول الله ﷺ، ويعتقد أهل السنة أنه أحد العشرة المبشرة بالجنة، وقد توارد اسمه على الألسنة للخلافة، وقد جعله عمر أحد أعضاء الشورى الستة لتعيين الخليفة بعده.

وعلى الرغم من ورود عمر بن سعد في بعض أسانيد الروايات التي أكثرها عن أبيه عن رسول الله ﷺ، إلا أن علماء السنة ورجالهم أحجموا عن النقل عنه؛ لمشاركته في

(١) أنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٧، ص ٤٥١.

قتل الحسين عليه السلام، التي تُعتبر نقطة سوداء ووصمة عارٍ باقية على جبينه مدى الدهر.
قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقة؟! قال عمرو بن علي: سمعت يحيى بن سعيد يقول: حدثنا إسماعيل، حدثنا العيزار، عن عمر بن سعد، فقال له موسى (رجلٌ من بني ضبيعة): يا أبا سعيد، هذا قاتل الحسين؟! فسكت، فقال له: عن قاتل الحسين مُحدثنا؟! فسكت.

وروى ابن خراش عن عمرو بن علي نحو ذلك، وقال: فقال له رجل: أما تخاف الله، تروي عن عمر بن سعد؟! فبكى، وقال: لا أعود^(١).

كان من المسلم عنده قبل فاجعة كربلاء وبالخصوص يوم عاشوراء أنه لن يفتي بقتل الإمام عليه السلام فضلاً عن المباشرة بقتله، ويُعتبر ذلك من المستحيل الذي لا يمكن تصديقه أبداً، وقد نقل العسقلاني أن عمر بن سعد قال للإمام الحسين عليه السلام: إن قوماً من السفهاء يزعمون أنني أقتلك، فقال الحسين: ليسوا سفهاء، ثم قال: والله، إنك لا تأكل برّ العراق بعدي إلا قليلاً^(٢).

ومن الملفت للنظر أن عمر بن سعد روى عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قتال المسلم كفر، وسبابه فسوق، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»^(٣).

خصوصيتان لعمر بن سعد

كان لعمر بن سعد خصوصيتان حازتا على اهتمام المؤرخين وأهل السير، الأولى: حبه المفرط للسلطة مذ كان غلاماً حدث السن، حُكي أن عمر بن سعد قد اتخذ جعبة

(١) أنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ١٩. المزي، يوسف، تهذيب الكمال: ص ٢١، ص ٣٥٧. ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد، الجرح والتعديل: ج ٦، ص ١١١ - ١١٢.

(٢) أنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٧، ص ٤٥١.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق: ج ١٩، ص ٦١.

وجعل فيها سياطاً نحواً من خمسين سوطاً، فكتب على السوط عشرة وعشرين وثلاثين إلى خمسمائة على هذا العمل، وكان لأبيه سعد غلام ربيب مثل ولده، فأمره عمر بشيء فعصاه فضرب بيده على الجعبة فرفع بيده سوط مائة، فجلده مائة جلدة، فأقبل الغلام إلى سعد ودمه يسيل على عينيه فقال: ما لك؟ فأخبره، فقال سعد: اللهم اقتل عمر وأسبل دمه على عينيه، قال: فمات الغلام^(١).

وقد خرج عمر بن سعد بعد معركة صفين حتى أتى أباه سعد بن أبي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية، حيث اختار الابتعاد عن الأضواء، فقال: يا أبة، أنت صاحب رسول الله ﷺ، وأحد الشورى، ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة، فاحضر فإنك أحق الناس بالخلافة، فقال: لا أفعل، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه يكون فتنة خير الناس فيها الخفي التقي، والله، لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً.

وعن عامر بن سعد أن أخاه عمر بن سعد انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما أتاه قال: يا أبة، أراضيت أن تكون أعرايياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر، وقال: اسكت^(٢).

وعلى الرغم من عدم رضوخ سعد بن أبي وقاص لإصرار ابنه إلا أنه يدل على حبّ عمر بن سعد المفرط للملك، فقد كتب ابن كثير بعد نقله لهذه الرواية قائلاً: «وكان عمر بن سعد هذا يحبّ الإمارة، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي»^(٣).

(١) أنظر: منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق: ص ٦٢.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٦٦-٦٧.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٧، ص ٣١٣.

والخصوصية الثانية له: هي قربه من بني أمية خاصة معاوية بن أبي سفيان، فكان يلجأ إليه عند نوائب الدهر، ويستقبله ابن أبي سفيان بوجهٍ بشوش، ويدٍ مبسوطة ليؤمن كل احتياجاته، حتى قال يوماً ما في حقّه: «ليس هناك قرشي لم تلده أُمِّي وأُحِبّه غير عمر بن سعد».

ونقلت عن ابن مسعود رواية بنفس هذا المضمون، حيث قال: «ما أحببت أحداً من قریش لم تلده أُمِّي هند غير عمر بن سعد وعبدالله بن جعفر».

ومن الطبيعي أن كلام معاوية هذا ليس المراد به بيان ميله القلبي بل ليجرّهما إليه، وقد نجح معاوية بمكره أن يخدع عمر الذي كانت له وجاهة بين القبائل وطبقات المجتمع، ويستفيد منه ويعينه في مخططاته وصار عمر بن سعد يسير وفق أهواء معاوية والخط الأموي، كما أدّت شهادته وتلفيقه اتهامات مزيفة لا أساس لها من الصحة بحق حजर بن عدي وأصحابه إلى أن يأمر معاوية بقتلهم، ولم يكتفِ عمر بن سعد بهذا، بل حينما دخل مسلم بن عقيل الكوفة، كان من جملة من أرسل إلى يزيد كتاباً يحذّره من مغبة مبايعة أهل الكوفة لمسلم بن عقيل سفير الحسين عليه السلام، ومن زوال حكم بني أمية، فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد، عامله على العراق يأمره بمحاربة الحسين عليه السلام وحمله إليه إن ظفر به.

وكان سبب خروج عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام، أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستبي، وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، فكتب ابن زياد عهده على الري، وأمره بالخروج، فخرج معسكراً بالناس بحمام أعين، فلما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان وأقبل إلى الكوفة، دعا ابن زياد عمر بن سعد، فقال له: سر إلى الحسين، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سرت إلى عملك، فقال

له: إن رأيت أن تعفيني فافعل، فقال عبيد الله: نعم، على أن تردّ علينا عهدنا^(١).

إنكار وتحاذل وتسليم وتبرير

دلّت التحوّلات التي طرأت على عمر بن سعد أثناء توجهه إلى كربلاء وارتكابه ما ارتكب، أنّه لم يكن يخطر بخلده قط أنّه سوف يقع في شرك عداوة أهل بيت النبي ﷺ والحسين ﷺ، وقد بالغ في إنكار ما اقترحه عبيد الله بن زياد في هذا الأمر، ولم يرتض أبداً قتال الحسين ﷺ؛ لما قال لابن زياد: «إن رأيت - رحمك الله - أن تعفيني فافعل، فقال له عبيد الله بن زياد: نعم، على أن تردّ لنا عهدنا. فلما قال له ذلك، قال عمر بن سعد: فأمهلني اليوم حتى أنظر.

فانصرف عمر يستشير نصحاءه، فلم يكن يستشير أحداً إلّا نهاه، وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن أخته، فقال: أنشدك الله يا خال، أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك وتقطع رحمك، فوالله، لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها لو كان، خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين.

وبعد أن فكّر في الأمر ملياً واستشار وصل إلى هذه النتيجة، وهي أن يطلب من عبيد الله إعفاءه هذا الأمر؛ لأنّ قتال الحسين ﷺ أمرٌ محرّم إلى جانب ما يعقب ذلك من تبعات أخروية، من هنا أقبل على عبيد الله بن زياد، فقال: أصلحك الله، إنك وليّني هذا العمل وكتبت لي العهد، وسمع به الناس، فإن رأيت أن تنفذي ذلك فافعل، وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشرف الكوفة من لست بأغنى ولا أجزأ عنك في الحرب منه. فسّمى له أناساً، فقال له ابن زياد: لا تعلّمني بأشرف أهل الكوفة، ولست أستأمرك فيمن أريد أن

(١) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق: ج ١٩، ص ٦٣ - ٦٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣١٠ - ٣١٢. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٧٦ - ١٧٧.

أبعث، إن سرت بجندنا وإلا فابعث إلينا بعهدنا»^(١).

وبعد هذه الإجابة لم يجد عمر بن سعد بداً من التوجّه صوب قتال الحسين عليه السلام لئلا يخرج إمارة الري من يديه، وقد دلّت الأحداث على أنّ عمر بن سعد كان يأمل - رغم قبوله قيادة العسكر - في نزول الحسين عليه السلام عند رغبة عبيد الله بن زياد أو يزيد بن معاوية دون حرب وإراقة دماء حتى يظفر بإمارة الري.

وبهذا الاضطراب النفسي الذي كان يعانيه ابن سعد توجّه في الثالث من المحرم عام (٦١هـ) إلى صحراء كربلاء، وأقام معسكره أمام خيام الحسين عليه السلام، وأرسل قرة بن قيس الحنظلي رسولاً عنه إلى الحسين عليه السلام للتباحث معه، ظناً منه أنّه سيرتشف كأس النصر عبر تحقيق ما يصبوا إليه ابن زياد دون إراقة قطرة دم.

ولأجل هذا توقف ابن سعد ستّة أيّام (من اليوم الثالث من المحرم حتى التاسع منه) دون إشهار السلاح، وفي هذه المدّة لاقى الإمام عليه السلام ثلاث أو أربع مرات، وقد سكت التاريخ عن الخوض في تفاصيل ما جرى والحوار الذي دار بينهما، إلا أنّه يتّضح من الكتب التي أرسلها ابن سعد إلى ابن زياد، أنّ الحسين عليه السلام قد أتمّ الحجّة على ابن سعد وسلب عنه أيّ عذر أو ذريعة أو خطأ أو تبرير فيما لو احتدمت الحرب.

وفي لقاءٍ لهما تمّ بحضور جماعة من الطرفين خاطب الحسين عليه السلام ابن سعد قائلاً: «ويلك يا بن سعد، أما تتقي الله الذي إليه معادك، أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟! ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله»^(٢).

قال عمر: إذن تهدم داري، قال عليه السلام: أنا ابنها لك، قال: إذن تُؤخذ ضياعي، قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالي بالحجاز. فكره ذلك عمر.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤١٠.

(٢) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٣، ص ٤٨٢.

فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول: «مالك! ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله، إني لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلا يسيراً»^(١).

وقد كتب ابن سعد إلى ابن زياد:

«أما بعد، فإن الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن نسيره إلى أيّ ثغرٍ من ثغور المسلمين شئنا، أو أن يأتي فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لكم رضى ولأمة صلاح»^(٢).

والاقتراح الثالث لم يصدر عن الحسين عليه السلام قط، وقد كذبه عقبة بن سمعان مولى الرباب الذي رافق الإمام عليه السلام أينما حلّ، فلو كان الإمام عليه السلام حاضراً لوضع يده بيد يزيد لما وصل الأمر إلى ما وصل إليه.

وقد ظلّ عمر بن سعد يأمل بالصلح حتى بلغه كتاب ابن زياد على يد شمر بن ذي الجوشن، فتبدّلت كلّ آماله في الصلح والاحتراز عن الحرب يأساً، وأخيراً أرغم على وضع شكوكه جانباً وتوجّه إلى قتال الحسين عليه السلام، كتب ابن زياد إلى ابن سعد:

«أما بعد، فإني لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنيّه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعاً، فأنظر إن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم»^(٣).

وأمام كتاب التهديد هذا أيقن عمر بن سعد أنّ الجمع بين حكومة الري والكفّ عن قتال الحسين عليه السلام بات ضرباً من المستحيل، من هنا أقدم على وضع عقائده الدينية

(١) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج ٣، ص ٤٨٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤١٤.

(٣) المصدر السابق.

والأخلاقية والوجدانية تحت قدمه، وحال بين شط الفرات والحسين عليه السلام وأصحابه، وحاصره وضيق الخناق عليه، وأخيراً توجه بعسكره إلى محاربة الحسين عليه السلام في اليوم التاسع من المحرم، إلا أن الحسين عليه السلام استمهله تلك الليلة طلباً للصلاة والدعاء والاستغفار، وفي عاشوراء أطلق ابن اسعد شارة الهجوم بقوله: يا خيل الله اركبي، وبالجنة أبشري، ثم رمى معسكر الحسين بأول سهم كدليل على وفائه لابن زياد^(١).

التردد في اجتهاده، والقطع بعدم الاستفادة منه في واقعة عاشوراء

إن استعراضاً موجزاً لشخصية عمر بن سعد ومكانته وخلفياته - لا سيما التقرير الإجمالي للوضع النفسي الذي كان يعانيه قبل المضي إلى كربلاء، وبعد مواجهة الحسين عليه السلام وقتاله - يدل على معرفته بالإسلام، فقد ورد اسمه في أسانيد بعض الروايات، إلا أنه ثمة شكوك تراود محدثي وعلماء عصره حول مكانته الفقهية وتصديقه لمقام الإفتاء.

وفي صورة الإذعان بفقهه واجتهاده وحيازته لشروط الإفتاء، إلا أن هذا لا ينفي خلوه من العدالة؛ ذلك أن حبه للجاه، وشهادة الباطل، ونقض المواثيق والعهود، وانتهازيته من جهة، وحضوره مجلس معاوية وآل أمية من جهة أخرى كلها أمارات تدل على فسقه وسلب عدالته اللازمة للمفتين والفقهاء، قبل أن يقدم على جريمته النكراء في كربلاء.

والنكته الأخرى هي أنه لم يطلق فتوى بجواز قتل الحسين عليه السلام ومحبة يزيد بن معاوية؛ ذلك لأنه لو كان يعتقد بجواز مواجهة الحسين عليه السلام وأنه قد شق عصا الوحدة بخروجه على الخلافة الشرعية والدينية ليزيد، لما رفض تسلّم قيادة العسكر المتجه نحو

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤١٤. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٣، ص ١١٢.

قتال الحسين عليه السلام، فهل أن امتثال التكليف الشرعي والديني والدفاع عن وحدة المسلمين يقتضي المخالفة، أو أن الإقدام على مثل هذه الخطوة يبرّر له التذرّع بحجج وأعداء؟ وهل أن امتثال الفتوى الشرعية يضاد ملك الري؟ ولماذا لم يتردّد حين تسلّمه قيادة العسكر المتّجه نحو أطراف قزوين، ولم يكن عهد الري قد صدر عندها، بينما نجده كذلك حينما اتّجه إلى كربلاء؟

قتال الإمام خروجٌ عن الشرع

كان عمر بن سعد يعتقد - وعلى فرض حيازته لشروط الاجتهاد وعدالته - أن قتال الحسين عليه السلام خلاف الشريعة والدين والوجدان، وكان كثيراً ما يعقد مقارنة بين قتال الحسين عليه السلام وملك الري، الأمر الذي دعاه إلى أن يعيش صراعاً خفياً مع وجدانه وفطرته، وهل يقبل ملك الري مهما كان الثمن، ولو كلّفه ذلك جعل الدين والشريعة والوجدان وراء ظهره؟ وهل حكومة الري تستوجب مثل هذه القيمة الباهظة؟! وقد ورد في التاريخ أنّه كان متردّداً في اللحظات الحاسمة حيال قبول قيادة العسكر المتّجه إلى كربلاء لقتال الحسين عليه السلام، أو رَفُض ذلك وإعادة حكم الري، وقد اعترف صراحةً أمام يزيد بن الحسين الهمداني قائلاً: «والله، يا أخا همدان، إنّي لأعلم حرمة أذاهم...»، وقد أباح بمكنونات صدره لما قال:

أأتُرك ملك الري والري رغبةً أم أُرَجِّع مذموماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها حجابٌ وملك الري قرة عين^(١).

والنكتة الأخرى هي أنّ عمر بن سعد لم يكن يملك خلفيات فكرية ونظرية حين مواجهته للإمام الحسين عليه السلام، بل كان يملك قناعة بحرمة قتاله ومخالفة ذلك للدين،

(١) الحموي، ياقوت، معجم البلدان: ج ٣، ص ١٢٤. الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص ٧٧-٧٨.

وقد دَلَّ حوارُه المتقدِّم مع الإمام عليه السلام على أنَّه لم يكن يساوره أدنى شكٍّ إزاء شرعية حركة الإمام عليه السلام، بل كان يخشى بطش ابن زياد وهدم داره ومصادرة أمواله، هذا إلى جانب حبه المفرط للجاء وملك الري.

وكما تقدّمت الإشارة، فإنَّ أصحاب عمر بن سعد ومنَّ حوله لم يُزيلوا قلقه تجاه موقفه المناوئ للإمام عليه السلام، بل حذّروه من مغبة ارتكاب هذه الجريمة، وهذا إن دَلَّ على شيء فإنّما يدلُّ على غياب أيِّ دورٍ للفتوى والاجتهاد في ثورة كربلاء، وبطلان هذا المدّعى، وقد صرّح ابن سعد بذلك عند ردّه نصيحة برير بن خضير الهمداني أحد أصحاب الحسين عليه السلام، لما قال له: أتترك أهل بيت النبوة يموتون عطشاً، وتزعم أنّك تعرف الله ورسوله.

فقال عمر بن سعد: إني والله، أعلمه يا برير علماً يقيناً، أنّ كلّ من قاتلهم وغصبهم على حقوقهم في النار لا محالة، ولكن ويحك يا برير، أتشير عليّ أن أتترك ولاية الري فتصير لغيري؟! ما أجد نفسي تحييني إلى ذلك أبداً، ثمّ أنشأ يقول:

دعاني عبيد الله من دون قومه إلى خطّة فيها خرجت لحيني

فوالله لا أدري وإني لواقفٌ على خطرٍ بعظم عليّ وسيني

فرجع برير بن خضير إلى الحسين عليه السلام، فقال: يا بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ عمر بن سعد قد رضي أن يقتلك بملك الري^(١).

٤- شمر بن ذي الجوشن

هو أبو السابعة شرجيل العامري الكلابي، المعروف والملقب بشمر بن ذي الجوشن، من أعوان يزيد بن معاوية في حادثة كربلاء، ومن قيادات عسكر الكوفة

(١) أنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٧١ - ١٧٢.

الذي حارب الحسين عليه السلام، وثمة تضارب في الآراء حول ولادته، وهل أنه أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليطلق عليه عنوان الصحابي، أو أنه وُلد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكون من التابعين^(١).

وكان شمر مغمور الذكر في زمن الخلفاء الثلاثة، ولم يُذكر له موقف في التحوّلات التاريخية آنذاك، وفي عام (٣٧هـ) شارك في حرب صفين في ركاب علي عليه السلام، ضدّ القاسطين بقيادة معاوية، وأظهر شجاعةً في تلك الحرب، وهو مَنَّ دعا إلى الصلح وضرورة قبول التحكيم، ولم يكن حينها من القادة، وذلك أرغم الإمام عليه السلام على ترك الحرب التي كان على وشك الخروج منها ظافراً.

لقد ظلّ التاريخ ساكناً عن دور شمر في إثارة الخوارج ضدّ علي عليه السلام في حرب النهروان، وعن انشقاقه عن علي عليه السلام والتحاقه بمعاوية في الشام، وقد التحق بصفوف أصحاب الحسن عليه السلام بعد استشهاد علي عليه السلام، ويُحتمل أنه كان من الطابور الخامس وقد لعب دوراً خطيراً في تفكك قوات الإمام عليه السلام وانهيارها^(٢).

وكان شمر أبان ثورة كربلاء في ركاب ابن زياد، وطبقاً لبعض التقارير أن عبيد الله بن زياد لما تسلّم كتاب عمر بن سعد يخبره بالصلح مع الحسين عليه السلام، كان شمر حاضراً هناك، فحثّه على الحرب وضرورة حسم الموقف عسكرياً، وأخيراً نال ما كان يصبو إليه وأخذ كتاب ابن زياد لعمر بن سعد يأمره فيه بضرورة امتثال الحسين عليه السلام أمر يزيد أو قتاله، وبهذا النحو هدم شمر كلّ الجسور وراءه، وأنهى المذاكرات التي كانت جارية بين الإمام عليه السلام وابن سعد.

(١) أنظر: ابن عبد البر، يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ٢، ص ٤٦٧. الصفدي، خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات: ص ١٦، ص ١٨٠.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص: ص ١٣٩.

وقد توجه إلى كربلاء مع أربعة آلاف مقاتل، فأقبل بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم به عليه فقراه، قال له عمر: ما لك؟! ويلك! لا قرب الله دارك، وقبح الله ما قدمت به علي، والله، إني لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه، أفسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم - والله - حسين، إن نفساً آية ليين جنبه، فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع، أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوه؟ وإلا فخلّ بيني وبين الجند والعسكر، قال: لا، ولا كرامة لك وأنا أتولى ذلك.

وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين، فقال: أين بنو أختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي، فقالوا له: ما لك؟ وما تريد؟ قال: أنتم يا بني أختي آمنون، قال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، لئن كنت خالنا أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له^(١)!

وكان شمر بن ذي الجوشن يُكنّى حقدًا عميقاً لأهل البيت عليهم السلام، وكان سفّاكاً قاسياً لا يرحم، وقد بلغ من إسرافه في سفك الدماء مَبْلَغاً أن أعوان يزيد لم يدافعوا عنه، حتى أن يزيد وابن زياد قد تبرءا منه، ويُعدّ من أبرز الوجوه الضالعة في مجزرة كربلاء^(٢).

وباعتراف أعوان يزيد لم يكن مجتهداً يعمل بفتواه، بل كان سفّاكاً فظ القلب، ولا همّ له سوى تحقيق مصالحه ومنافعه الشخصية، من هنا لم يكن حائزاً للشروط العلمية والعملية المعتبرة عند أهل السنة، ولم يكن يلتزم بأحكام الشريعة، وكان الغالب على حوارهِ ومنطقهِ أدبيات الحرب والخشونة القبلية، واستناداً إلى هذه الخلفيات لم يدعِ أحدٌ أنّه قام بما قام به في كربلاء انطلاقاً من نظره واجتهاده واعتقاده الديني.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤١٤.

(٢) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١١. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ص ٩١٦.

وقد دامت جرائمه بعد استشهاد الحسين عليه السلام وسنشير إليها فيما بعد، وتدّل تلك الأحداث على فسقه وانتهازيته وجرائمه البشعة، وكان على استعدادٍ للإقدام على أية جريمة، وارتكاب أيّ منكر بهدف الظفر بالثروة والمناصب الكبرى متحدّياً أمر الله تعالى.

وكان شمر سبّاقاً إلى ارتكاب أبشع الجرائم في عاشوراء، حيث حال بين ماء الفرات وبين الإمام عليه السلام وأصحابه، وقطع رأس سيّد الشهداء عليه السلام، وقام بالإغارة على الخيام، ومّرّ بالسبايا على جثث الشهداء لزيادة الضغط النفسي والعاطفي عليهم، كما أنّه رفض طلب أهل البيت عليهم السلام بتقديم رؤوس الشهداء على ركب السبايا^(١). وبعد قيام المختار الثقفي وطلبه الثأر من قتلة الحسين عليه السلام، أبدى شمر مقاومةً وقاتل المختار، إلّا أنّه اندحر وفرّ إلى البصرة، وفي الطريق صادف جماعةً من أصحاب المختار بقيادة عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ونشب قتالاً بينهم انتهت بمقتله^(٢). وقيل: إنّ عبد الرحمن قد ألقي القبض عليه وبعث به إلى الكوفة، فقتله المختار مع سائر قتلة الإمام الحسين عليه السلام^(٣).

٥. شيث بن ربيعي

من كبار أمراء قوات ابن زياد وكان كوفياً، وُلد قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله بعام، وقد أكّدت المصادر الإسلامية على انتهازيته ووصفته بأنّه جاهليٌّ إسلاميٌّ^(٤).

(١) أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٤٨٥.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص ٥٤.

(٣) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٣٠١-٣٠٥.

(٤) أنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ١٣٨. الهاشمي الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ٥، ص ٣٨٢.

وبعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله وفي أحداث الردّة التحق بمدعية النبوة سجاح بنت الحارث التميمية وأصبح مؤدّناً لها^(١)، ثم اعتنق الإسلام، وكان له يدٌ في قتل عثمان، وكان في ركاب علي بن أبي طالب عليه السلام في بداية خلافته، حيث شارك في حرب صفين، وكان من جملة من بعثه الإمام عليه السلام بقيادة أبي عمرة إلى معاوية للحوار معه وتحذيره من مغبة مخالفته للإمام عليه السلام، الخليفة الشرعي للمسلمين، قائلاً له:

«يا معاوية، قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه لا يخفي علينا ما تقرّ وما تطلب، إنك لا تجد شيئاً تستغوي به الناس، ولا شيئاً تستميل به أهواءهم، وتستخلص به طاعتهم إلا أن قلت لهم: قتل إمامكم مظلوماً، فهلّموا نطلب بدمه، فاستجاب لك سفهاء طغماً رذال، وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر، وأحببت له القتل لهذه المنزلة التي تطلب، وربّ مبتغٍ أمراً وطالبٍ له يحول الله دونه، وربّما أوتي المتمنيّ أمنيته وربّما لم يؤتها، والله، ما لك في واحدة منها خير، والله، لئن أخطأك ما ترجو إنك لشرّ العرب حالاً، ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق صلي النار، فاتّق الله يا معاوية، ودع ما أنت عليه، ولا تنازع الأمر أهله»^(٢).

ولم يدم الأمر طويلاً حتى التحق بصفوف الخوارج، وأصبح أحد زعمائها، وبعد استشهاد علي عليه السلام انشق عنهم والتحق بالحسن عليه السلام، وهم باغتياله إلا أنه أخفق، وبعد وفاة الحسن عليه السلام، أصبح من خصوم بني أمية وهو الذي كتب إلى الحسين عليه السلام يستحثه على القدوم إلى الكوفة؛ لإنقاذ الناس من جور يزيد بن معاوية قائلاً: «قد أينعت الثمار،

(١) أنظر: البيهقي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ البيهقي: ج ٢، ص ١٩١. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٢٧٤.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ١٢ - ١٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٦.

واخضرَ الجَناب، وطمت الجَمام، وأنتَ تقدم على جندٍ لك مجنّدة، فأقبل»^(١).

ورغم أنّ شُبث كان انتهازياً عارياً عن الإيمان، إلّا أنّ إرساله كتاباً إلى الحسين عليه السلام يدلّ على تأييده للإطاحة بيزيد وحكومته، وبالطبع فإنّ احتمال ركوب الموجة والتناغم مع الجو السائد في الكوفة كان قائماً، وعليه فإنّ نسبة الاجتهاد إليه في حادثة كربلاء نسبة غير مفهومة وغير مسموعة بالمرّة؛ ذلك أنّه لو كان من أهل النظر والاجتهاد، وأنّه عمل وفقاً لما تملّيه عليه أصوله الفكرية والاجتهادية لنهض بوجه يزيد وجهازه.

و بعد بسط عبيد الله بن زياد نفوذه على الكوفة، ووصول الإمام عليه السلام إلى كربلاء، أرسل إلى شُبث بن ربعي أن أقبل إلينا، وإنا نريد أن نتوجّه بك إلى حرب الحسين عليه السلام، فتمارض وأراد أن يعفيه، وكان ابن زياد واقفاً على سبب احترازه عن المشاركة في الحرب، فأرسل له كتاباً، قال فيه: «أمّا بعد، فإنّ رسولي أخبرني بتمارضك، وأخاف أن تكون من الذين ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَيَّ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾»^(٢)، إن كنت في طاعتنا فأقبل إلينا مسرعاً»^(٣).

فأقبل إليه شُبث بعد العشاء؛ لئلاّ ينظر إلى وجهه فلا يرى عليه أثر العلة، فلمّا دخل رحّب به وقرب مجلسه، وقال: أحب أن تشخص إلى قتال هذا الرجل عوناً لابن سعد عليه، فقال: أفعل أيّها الأمير.

وقد دلّت الشواهد التاريخية على أنّه ظلّ مخالفاً لقتال الحسين عليه السلام، وكان يراه عملاً منكراً وشائناً لا يمكن تبريره بوجه من الوجوه، فهو في قبال كلام الحسين عليه السلام لما قال:

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٥٣. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٥، ص ٣٣٩.

(٢) البقرة: آية ١٤.

(٣) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٥٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٨٦.

«يا شُبث بن ربعي، ويا حَجَّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي: أن قد أُنعت الشَّار واخضَرَّ الجَناب..؟!»^(١)، لم يجد بداً من الإنكار، إلاَّ أنَّه بعد استشهاد مسلم بن عوسجة أحد أصحاب الحسين عليه السلام المخلصين والزاهدين تنادى أصحاب عمر بن سعد فرحين: قتلنا مسلم بن عوسجة، فلم يستطع كتم ما في نفسه، فخطبهم بقوله:

«تكلتكم أمهاتكم، إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذللون أنفسكم لغيركم، تفرحون أن يُقتل مثل مسلم بن عوسجة، أما والذي أسلمتُ له، لربِّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق أذربيجان قتل ستة من المشركين قبل تمام خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟!»^(٢).

ولما هجم شمر على خيام الحسين عليه السلام وهم بإضرار النار فيها منعه شُبث، ولما شاهد عمر بن سعد مقاومة أصحاب الحسين عليه السلام قال لشُبث: ألا تقدم إليهم؟ فقال: سبحان الله، أتعمد إلى شيخ مصر وأهل مصر عامَّة تبعته في الرماة، لم تجد من تندب لهذا ويجزي عنك غيري؟! قال: وما زالوا يرون من شُبث الكراهة لقتاله^(٣).

ولم يجد في نفسه القوة على التصريح بذلك وإعلان شجبه للحرب أو التخلي عنها، وقد عبَّر عن ذلك بكلمات متألمة لما دالت دولة يزيد وقُتل ابن زياد «لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسددهم لرشدٍ، ألا تعجبون أننا قاتلنا مع علي بن أبي طالب، ومع

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٦٦ - ٥٦٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٣٦ - ٤٣٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٢٥. البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان: ص ٨٩١.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٦٦ - ٥٦٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٣٦ - ٤٣٨.

ابنه من بعده آل سفیان خمس سنين، ثمَّ عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية؟! ضلالٌ يا لك من ضلال»^(١).

آية كلمات أبلغ من هذه يمكن أن تُعبّر عن ندمه على موقفه من الحسين، إذ لم يكتف بالتخلي عنه وعدم نصرته، وذهب إلى حدّ المشاركة بقتله، مع علمه أنّه خير أهل الأرض، وأنّ عدوّه من نسل زانية يعرفها كلّ العرب.

٦. الحصين بن نمير التميمي

لقد ورد ذكره على الألسن في حادثة كربلاء العظيمة، وكان له دورٌ كبير في بسط سلطة عبيد الله بن زياد على الكوفة من جهة، وإلقاء القبض وتعذيب وإعدام شيعة الحسين عليه السلام من جهةٍ أُخرى^(٢)، ولم يرد له ذكر في التاريخ قبل عام (٦٠هـ)، إلّا أنّ تعيينه من قبل عبيد الله على رأس جهاز أمن الكوفة في ظروف حسّاسة تزامنت مع حضور مسلم بن عقيل في الكوفة وتوجّه الحسين عليه السلام إلى العراق، يدلّ على اعتماد الجهاز الأموي - لا سيما عبيد الله بن زياد - عليه.

إضافةً إلى تولّي الحصين مهمّة استتباب أمن الكوفة كان قد وضع عيوناً ونقاط تفتيش على أفواه السكك المنتهية إليها، وفي نقاط حسّاسة من الكوفة بهدف السيطرة عليها، كما أرسل الحر بن يزيد الرياحي مع ألف فارس إلى الحسين عليه السلام لصدّه وأصحابه عن الدخول إلى الكوفة، وقد تمكّن من إلقاء القبض على قيس بن مسهر الصيدائي وعبد الله بن يقطر رسل الحسين عليه السلام، الذين استشهدوا بعد أسرهم وتعذيبهم، كما

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٢٥.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٩٤، وص ٤٠١. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٥٩، وص ٩٢، وص ٩٩.

تمكّن من إلقاء القبض على رهط من أهل الكوفة خرجوا لنصرة الحسين عليه السلام أو للهرب من الانخراط في صفوف المعسكر الأموي، وبعد أن انقادت الكوفة لعبيد الله بن زياد، قاد أربعة آلاف فارس لدعم عمر بن سعد في كربلاء، وهناك تسلّم قيادة شرطة المجففة^(١).

وكان الحصين ناصياً يُكَنّ العداة لأهل البيت عليهم السلام، حيث ارتكب جرائم لا تُحصى في عاشوراء، منها: حال دون شرب الحسين عليه السلام للماء لما اشتدّ عطشه، إذ رماه الحصين بسهم فوق في فمه، فجعل يتلقّى الدم من فمه ويرمي به، ثم جعل يقول: «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً»^(٢)، وقتل من أصحاب الحسين عليه السلام الأوفياء النجباء حبيب بن مظاهر ولم يكتف بذلك، بل قطع رأسه وعلّقه على فرسه ودار به في المعسكر، ثم أرسله مع بديل بن صريم التميمي إلى عبيد الله بن زياد لينال العطاء^(٣).

ويظهر من هذا السجل الأسود للحصين بن نمير أنه لم يدّع هو ولا غيره قطّ بأن له مكانة علمية وفقهية، بل كان مجرد قائد غير معروف حاز على اعتماد عبيد الله بن زياد وآل أمية فكان له دورٌ مهم في كربلاء خصوصاً في قتل العترة الطاهرة يومئذٍ، وكان مجرمًا غادراً قاتلاً متبادياً في غيّه، وقد ورد ذكره في كربلاء، لما قال أبو ثمامة الصائدي للحسين عليه السلام وقد حضر وقت صلاة الظهر: «يا أبا عبد الله، نفسي لنفسك الفداء، هؤلاء

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٣٧. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٩٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٤٩. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٤٠٧.

(٣) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٤٠. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٠٣.

اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أُقتل دونك، وأحب أن ألقى الله ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة، فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء، وقال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أوّل وقتها، ثم قال: سلوهم أن يكفّوا عنّا حتى نصليّ، ففعلوا، فقال لهم الحصين بن نمير: إنّها لا تقبل، فقال له حبيب بن مظاهر: زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنصارهم وتقبل منك يا حمار^(١).

وقد ظلّ وفيّاً ليزيد بعد حادثة عاشوراء، وشارك في فاجعة الحرّة وقتل أهل المدينة، وقاد حملة يزيد إلى مكة بعد هلاك مسلم بن عقبة^(٢).

كما أنّه حاصر عبد الله بن الزبير (٦٤ يوماً)، وفي الثالث من ربيع الأوّل عام (٦٤هـ)، أحرق أستار الكعبة وهتك حرمتها^(٣)، ولما بلغه نبأ هلاك يزيد، عرض على ابن الزبير المصالحة وأن يبايعه، وقال له - بعد أن انفردا عن أصحابها -: «أنا سيّد أهل الشام لا أدافع، وأرى أهل الحجاز قد رضوا بك، فتعال أبايعك الساعة، ويهدر كلّ شيء أصبناه يوم الحرّة، وتخرج معي إلى الشام فإنّي لا أحبّ أن يكون الملك بالحجاز، فقال: لا والله، لا أفعل ولا آمن من أخاف الناس وأحرق بيت الله وانتهك حرّمته، قال: بل فافعل على أن لا يختلف عليك اثنان، فأبى ابن الزبير، فقال له الحصين: لعنك الله، ولعن من زعم أنّك سيّد^(٤)»، أراد التصالح مع ابن الزبير ومدّد البيعة له، إلّا أنّ محاولته باءت بالفشل لسوء ظنّ ابن الزبير به.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٤٠. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٤، ص ١٠٣.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٩٦.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٩٨.

(٤) ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج ٥، ص ١٤٢. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٢٦٣.

ولما قصد ابن النمير الشام ذكر تفاصيل ما جرى بينه وبين ابن الزبير إلى مروان بن الحكم، فقرّر الذهاب إلى مكة لمبايعته، إلا أنّ ابن زياد رفض ذلك مقترحاً عقد الخلافة لمروان، وأوّل من بايع هو ابن النمير، وشرط عليه إعطاء ناحية البلقاء في الشام لبني كندة، فوافق مروان^(١).

وقد أمره ابن زياد بإخماد حركة التوابين، وجعله على رأس جيش قوامه (١٢ ألف) مقاتل، خلال المعركة قتل ابن الحصين سليمان بن صرد، وبعد انتهاء المعركة مع التوابين، لم يترك الوقوف مع بني أمية ومشاركتهم، فشارك مع ابن زياد في قتال المختار، حيث جعله على ميمنة جيشه، وقتل على يد فرسان الكوفة^(٢).

٧. شريح القاضي

شريح القاضي أحد القضاة المعروفين في القرن الأوّل من تاريخ الإسلام، وقد وُلد نحو عام (١٧ قبل البعثة) في اليمن وعُدّ من كبار التابعين وليس له صحبة^(٣)، ممّا يدلّ على أنّه لم يعتنق الإسلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله ولم يلتق به، رغم أنّ بعض الروايات أشارت إلى صحبته^(٤).

اشتغل بالحديث والسيرة في عهد أبي بكر، عيّنه عمر قاضياً على الكوفة، ومنذ ذاك الوقت مارس القضاء واحتفظ بمقامه في عهد عثمان حتى حكومة علي عليه السلام، فقد عيّن مكانه سعيد بن نمران الهمداني ثمّ عبيدة السلماني، وسرعان ما لبث أن عاد إلى

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٥٠١، وص ٥٣٤، وص ٥٤٤.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٦، ص ٨٩.

(٣) أنظر: ابن عبد البر، يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ٢، ص ٧٠١. ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٤٦٠ - ٤٦٣.

(٤) أنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٣، ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

منصبه^(١)، وقد ورد أنّ شريحاً استقضى بعد أبي قرّة الكندي فقضى سبعاً وخمسين سنة^(٢). وظلّ في هذا المنصب حتى أخرجه زياد بن أبيه من الكوفة إلى البصرة ومكث فيها قاضياً مدّة وجيزة حتى عاد إلى الكوفة، وكان شريح يفتي بين الناس، فقد ورد في بعض المصادر: «رأيت شريحاً يقضي ويفتي»^(٣). وكان حائزاً على الشروط العلمية اللازمة للإفتاء والاستنباط في الظاهر؛ ذلك لأنّ تضلعه في أمر القضاء وتجربته الطويلة كانت كفيلة بتجاوز أية معضلة علمية أو قضائية أو فقهية.

ولما توجه علي عليه السلام إلى قتال معاوية افتقد درعاً له، فلمّا رجع وجدها في يد يهودي يبيعها بسوق الكوفة، فقال: يا يهودي، الدرع درعي لم أهب ولم أبع، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال عليه السلام: بيني وبينك القاضي، قال: فأنياني، فقعده علي إلى جنب شريح واليهودي بين يدي شريح، ثمّ قال عليه السلام: هذه الدرع درعي لم أبع ولم أهب، فقال لليهودي: ما تقول؟ قال: درعي وفي يدي، قال شريح: يا أمير المؤمنين، هل من بينة؟ قال: نعم، الحسن ابني وقنبر يشهدان أنّ الدرع درعي، قال شريح: يا أمير المؤمنين، شهادة الابن للأب لا تجوز، وشهادة العبد لا تجوز لسيّده، وأثما يجزّان إليك، فقال علي: سبحان الله! أرجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟! سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك يا شريح أخطأت من وجوه: أمّا واحدة: فأنا إمامك تُدين الله بطاعتي وتعلم أنّي لا أقول باطلاً، فرددت قولي وأبطلت دعواي، ثمّ سألتني البينة فشهد عبداً وأحد سيّدي شباب أهل الجنة فرددت

(١) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١٤، ص ١٥-١٦.

(٢) أنظر: وكيع، محمد بن خلف، أخبار القضاة: ج ٢، ص ٣٩٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٩٣.

شهادتهما، ثم ادّعت عليهما أنّهما يجرّان إلى أنفسهما، أما إنّي لا أرى عقوبتك إلّا أن تقضي بين اليهود ثلاثة أيّام، أخرجوه. فأخرجه إلى قبا، فقضى بين اليهود ثلاثاً، ثم انصرف. فلمّا سمع اليهودي ذلك، قال: هذا أمير المؤمنين جاء إلى الحاكم والحاكم حكم عليه، فأسلم، ثم قال: الدرع درعك، سقطت يوم صفين من جمل أورك فأخذتها^(١).

شريح وفتوى قتل الحسين عليه السلام

إنّ من الخصوصيات التي امتاز بها شريح، هي شائعة فتواه بجواز قتل الحسين عليه السلام، فقد قيل: إنّّه أصدر فتوى بجواز قتله عليه السلام، وأنّ الإمام عليه السلام استشهد بهذه الفتوى المشؤومة، بينما نجد أنّ منقّذي تلك الجريمة لم يصدر عنهم هكذا إشاعات.

إشاعات لا أصل لها

قبل التطرّق إلى البحث نجد من الضروري بيان هذه النقطة، وهي أنّه من السهل - بناءً على التقارير التاريخية - قبول اجتهاد شريح في القضايا الإسلامية، إلّا أنّه لا يمكن تبرير افتقاده لملكة العدالة وحبّه المفرط للمال والجاه، وذلك من خلال خضوعه لخلفاء الجور، وممارسته الطويلة للقضاء في ظلّهم، كلّ ذلك يدلّ على انتهازيته وتحفّظه، فهو منذ أن استعمله عمر الخليفة الثاني على القضاء بالكوفة لم يزل قاضياً لم يتعطل فيها إلّا ثلاث سنين في عهد ابن الزبير^(٢)، فموقفه الخائن تجاه حجر بن عدي وكذبه وزيفه في عدم كشف حقيقة ما يمرّ به هاني بن عروة في سجن ابن زياد^(٣)، الذي أدّى إلى مقتله،

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢، ص ٤٨٧.

(٢) أنظر: ابن عبد البر، يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ٢، ص ٧٠١. الصفدي، خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات: ج ١٦، ص ١٤٠ - ١٤٢.

(٣) أنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٦، ص ٨٥٥. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج ٢، ص ٦١.

وموارد أخرى كلّها تثير تساؤلات حول عدالته^(١).

إنّ فتوى جواز قتل الإمام عليه السلام وإن اشتهرت بين عامّة الناس، إلّا أنّه من خلال مراجعة التقارير التاريخية والمصادر الرجالية نصل إلى هذه النتيجة، وهي أنّ هذا الأمر من الأخطاء المشهورة التي لا يعضدها دليل تاريخي أو روائي، ولم تُشير إليه المصادر التاريخية التي بين أيدينا، بل إنّ القرائن والشواهد تحكي عن إنكار صدور أيّ فتوى من طرف شريح حول جواز قتل الحسين عليه السلام أو دعم يزيد في هذه الجريمة المروعة:

١- إنّ المختار الثقفي قام عام (٦٥هـ) للأخذ بثأر الحسين عليه السلام وتمكّن من الاستيلاء على الكوفة بدعم الشيعة والمطالبيين بدم الحسين عليه السلام، وقد تصدّى لمنصب القضاء بداية^(٢)، ولكن سرعان ما أوكل هذه المهمّة لأتباعه نظراً لكثرة مهامّه السياسية والعسكرية، حيث أشار إليهم باختيار رجل كفوء لهذا المقام فاقتروا عليه شريحاً^(٣).

هذا الاقتراح أثار سخط شيعة الكوفة المندفعين، ولكن على أية حال يدلّ بوضوح على عدم صدور فتوى منه، وإلّا كيف يجيز لشريح التصدّي لمنصب القضاء في الكوفة وهو الذي قام من أجل الثأر للحسين عليه السلام، ولخص أهدافه ومشروعية حكومته في الكوفة بأخذ القصاص من قتلة الحسين عليه السلام؟! وكيف اقترح أتباعه عليه ذلك؟!!

إنّ موقف المختار تجاه عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وسائر عمال يزيد في حادثة كربلاء كلّها تؤيّد هذا الأمر، فقد كان موقف المختار مبدئياً صلباً ومتشدّداً، وقد قتل كلّ من شارك في هذه الجريمة، حتى رُوي أنّ شمر بن ذي الجوشن

(١) أنظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٤٦٠ - ٤٦٣. ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٩٨.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص ٩٤٧.

(٣) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٩٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص ٣٤. المنقري، نصر بن مزاحم، الغارات: ج ٢، ص ٩٤٧.

عندما نهب الإبل التي كانت مع الحسين عليه السلام وقدم الكوفة نحرها وقسم لحمها على قوم من أهل الكوفة، فأمر المختار فأحصوا كل دار دخلها ذلك اللحم فقتل أهلها وهدمها، وهذا دليل آخر على تصميم المختار الراسخ على عدم مهادنة قتلة الحسين عليه السلام ^(١).

٢- لما أقام المختار شريعاً للقضاء اعترض عليه شيعة الكوفة، وكانوا يقولون: إنه عثماني، وأنه ممن شهد على حجر بن عدي، وأنه لم يبلغ عن هاني بن عروة ما أرسله به، وأن علياً عليه السلام عزله عن القضاء، ولم يصدر منهم أي إشارة إلى أنه أفتى بجواز قتل الإمام عليه السلام، ولما أراد المختار عزله تمارض، فعزله وجعل مكانه غيره ^(٢).

٣- بعد هذا الاعتراض عزل المختار شريعاً عن القضاء، وعيّن محله عبد الله بن مالك الطائي، ثم أصرّ على كشف حقيقة نفي الإمام علي عليه السلام له، وبعد التحقيق علم أن شريعاً ارتكب خطأ في قضائه مما أثار حفيظة الإمام علي عليه السلام، وأقسم على نفيه من الكوفة، إلا أنه سرعان ما عاد بعد استشهاد الإمام عليه السلام ولم يكمل مدة نفيه، فدعاه المختار، وقال: ما قال لك أمير المؤمنين عليه السلام يوم كذا؟ قال: إنه قال لي كذا، قال: فلا والله، لا تقعد حتى تخرج إلى بانقيا تقضي بين اليهود، فسيّر إليها فقضى بين اليهود شهرين ^(٣).

ومما يجدر ذكره أن شريعاً ضيق عليه من قبل خلفاء زمانه وخضع لهم بشدة، ولو أخذنا بعين الاعتبار حالة الناس ووضع عمال يزيد وشخصية يزيد نفسه، تجد أن صدور فتوى من شريح لن تُضفي غطاء شرعياً لقتل الحسين عليه السلام.

(١) أنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٩٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٦، ص ٣٤.

(٢) ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٣، ص ٣٥٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥١٠.

(٣) المصدر السابق.

وبالتالي فليس هناك مواجهة بين تيارين في ساحة كربلاء؛ نظراً لغياب العدالة والاستقامة اللازم توفرها لدى المفتي وعدم نفوذ كلمته وتأثيره.

الاستعفاء من القضاء وموته

بعد أن تقدّم به العمر طلب من الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان والياً لعبد الملك بن مروان على الكوفة، إعفاه من العمل، فأعفاه ولزم داره إلى أن مات بعد ذلك بسنة في مدينة الكوفة، وعمر عمرًا طويلاً، قيل: إنّه عمّر بين (١٠٠ سنة إلى ١٢١) وتوفي في سنة (٩٩)^(١).

٨- حرمة بن كاهل الأسدي

حرمة بن كاهل الأسدي، صاحب السجل الأسود في تاريخ كربلاء، حيث كان له دورٌ مباشر في قتل أبناء النبي ﷺ واضطهادهم^(٢)، وما ذكر اسمه وأمثاله هنا إلا لما اقترفه من جرائم لا حصر لها في كربلاء، لا أنّه شخصية ذات مكانة علمية ومعنوية وأخلاقية، وبالتأكيد فإنّ ادّعاء وجود نوعين من الاجتهاد في كربلاء يلزم عقد بحث لبيان قدرته العلمية واجتهاده؛ لأنّه أحد أمراء جند يزيد.

لم يرد له ذكر في التاريخ قبل حادثة كربلاء، من هنا لم يُعلم متى أسلم وكيف؟ وعلى هذا الأساس، لا يمكن أن يُتصور له دافع سوى حبّ المال والجاه والتّرف لأصحاب السلطة، إلى جانب أنّه لا يمكن التغاضي عن نزعة القبليّة في الإغارة والسلب والنهب.

(١) أنظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٤٣٦.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٤٣. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٨١.

وقد اشتهر بالقسوة والشدّة، حيث ولج في وادي الجريمة بنحو لم يدع فيه مجالاً للدفاع عنه أو تبرير ما اقترفه، وهذا بحدّ ذاته يُعتبر من الأدلّة الساطعة والقاطعة على أنّ ساحة كربلاء كانت جدالاً بين الحقّ والباطل، والإسلام والكفر، والدين والإلحاد، كيف يمكن توجيه جرائمه لمن ادّعى أنّ ثورة كربلاء هي مواجهة بين تيارين إسلاميين واجتهادين، وأنّ الحسين عليه السلام قُتل بسيف جدّه؟!

وكما أسلفنا، فإنّه أُطلّ على التاريخ عبر بوابة عاشوراء، وتناقلت الألسن ذكره لما اقترف من جرائم بشعة، حتى أنّ الإمام السجاد عليه السلام دعا عليه غير مرّة، قائلاً: «اللّهم أذقه حرّ الحديد، اللّهم أذقه حرّ الحديد، اللّهم أذقه حرّ الحديد، اللّهم أذقه حرّ النار»، ولعلّ أوّل مرّة يُذكر فيها اسمه في كربلاء تعود إلى قتله أبي بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال ابن الجوزي في تذكرة الخواص: «قُتل أبو بكر بن الحسن في كربلاء، وأمّه أمّ ولد، قتله حرملة بن كاهل الأسدي لما رماه بسهم»^(١).

كما ذهب إلى ذلك القاضي نعمان المغربي، رغم اعتقاده أنّ أبا بكر نجل الحسين عليه السلام.

وثمّة غلامٌ آخر قُتل على يد حرملة كما أشارت إليه بعض الروايات، وهو عبد الله بن الحسن عليه السلام، فعندما أحاط الأعداء بالحسين عليه السلام خرج عبد الله بن الحسن بن علي - وهو غلامٌ لم يُراهق - من عند النساء، فلحقته زينب بنت علي عليه السلام لتحبسه، فأبى فامتنع امتناعاً شديداً، فقال: لا والله، لا أفارق عمي، فأهوى بحر بن كعب، وقيل: حرملة بن كاهل إلى الحسين بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يا بن الخبيثة، أقتل

(١) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ١٧٨.

(٢) أنظر: القاضي المغربي، نعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٧٨.

عمي؟! فضربه بالسيف، فاتقى الغلام الضربة بيده، فأطَّها إلى الجلدة فإذا هي معلَّقة، فنادى الغلام: يا أمَّاه، فأخذه الحسين عليه السلام وضمَّه إليه، وقال: يا بن أخي، اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنَّ الله يُلحِّقك بآبائك الصالحين، برسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي بن أبي طالب، وحزوة، وجعفر، والحسن بن علي أجمعين. قال: فرماه حرملة بن كاهل بسهم، فذبحه وهو في حجر عمِّه الحسين عليه السلام.^(١)

إنَّ من الجنایات المروعة لحرملة هو قتل علي الأصغر الطفل الرضيع للحسين عليه السلام، إذ لما فُجع الحسين عليه السلام بأهل بيته وولده ولم يبقَ غيره وغير النساء والذرائع، نادى: هل من ذابَّ يذبَّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟ وارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدَّم عليه السلام إلى باب الخيمة، فقال: ناولوني علياً ابني الطفل حتى أودَّعه فناولوه الصبي، فجعل يقبله، وهو يقول: ويلٌ لهؤلاء القوم إذا كان جدُّك محمد المصطفى خصمهم، والصبي في حجره، إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهمٍ فذبحه في حجر الحسين، فتلقى الحسين دمه حتى امتلأت كفه، ثم رمى به إلى السماء، ثم قال: هوَّن علي ما نزل بي أنه بعين الله، فلم يسقط من ذلك الدم قطرةٌ إلى الأرض.^(٢)

ومن جنایاته في كربلاء بحسب بعض المصادر أنَّه شارك مع مجموعة من الجيش في قتل العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وإن كان أكثر المؤرِّخين يرون أنَّ قاتل أبي الفضل العباس حكيم بن نخيل ومرافقوه، ولعلَّ حرملة كان واحداً منهم، وله نصيبٌ في هذه الجريمة، وفي النهاية كان هلاكه على يد المختار سنة (٦٥هـ).^(٣)

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٤.

(٢) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٤٦.

(٣) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٠١.

٩. خولي بن يزيد الأصبحي

على غرار سائر زعماء الكوفة كان له سهمٌ في فجائع كربلاء، ولم يرد له ذكرٌ قبل حادثة عاشوراء كما لم يضبط اسمه في المصادر الرجالية، لذا فيمكن القول بضررٍ قاطع أنه لم يكن من أصحاب الفتيا، ولم يمتلك أدنى معرفة بنقل الحديث والسيرة، بل والمسائل العسكرية والسياسية.

وقد ارتكب عدّة جرائم في كربلاء، منها قتل عثمان بن علي بن أبي طالب عليه السلام لما خرج وأُمّه أُمّ البنين بنت حزام بن خالد، وهو يقول:

«إني أنا عثمان ذو المفاجر شيخ علي ذو الفعال الظاهر
وابن عمّ للنبي الطاهر أخي حسين خيرة الأخيار
وسيد الكبار والأصاغر بعد الرسول والوصي الناصر

فرماه خولي بن يزيد على جبينه فسقط عن فرسه، وحزّ رأسه رجلٌ من بني أبان بن حازم»^(١).

ثمّ برز بعده جعفر بن علي وأُمّه أُمّ البنين، وهو يقول:
«إني أنا جعفر ذو المعالي ابن علي الخير ذو النوال
حسبي بعمّي شرفاً وخالي أحمي حسيناً ذي الندي المفضال
ثمّ قاتل فرماه خولي فأصاب شقيقته أو عينه»^(٢).

حمل رأس سيّد الشهداء عليه السلام إلى الكوفة

كان خولي ممّن حمل على خيام الإمام الحسين عليه السلام قبل استشهاده، وقد دعا عليه

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٨.

الإمام عليه السلام^(١)، وقد نسبت إليه بعض الروايات حَزَّ الرأس المبارك للإمام عليه السلام^(٢)، إلا أنَّ القول المعْتَبَر هو نسبة ذلك إلى شمر بن ذي الجوشن أو سنان^(٣).

ورفع خولي الرأس المبارك على الرمح، وتوجّه إلى الكوفة عصر عاشوراء حتى يصل إلى عبيد الله بن زياد قبل الآخرين، ويحصل على جائزته، فأقبل به ليلاً فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى به منزله فوضعه تحت إجانة في منزله، وكان في منزله امرأة يُقال لها: النوار بنت مالك الحضرمي، فقالت له: ما الخبر؟ قال: جئت بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار، فقالت: ويلك! جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن بنت رسول الله؟! والله، لا يجمع رأسي ورأسك شيء أبداً، قالت: فقممت من فراشي فخرجت إلى الدار، فدعا الأسدية فأدخلها إليه، وجلست أنظر، فوالله، مازلت أنظر إلى نورٍ يسطع مثل العمود من السماء إلى الإجانة، ورأيت طيراً بيضاء ترفرف حولها^(٤).

وفي اليوم الحادي عشر من محرم سلّم خولي الرأس المقدّس إلى عبيد الله، وأخيراً أُلقي القبض على خولي عام (٦٤ هـ) من قبل المختار، وقُتل شرّ قتلة.

خلاصة ما تقدّم

إنّ استعراض سيرة وخصوصيات قتلة الإمام الحسين عليه السلام ابتداءً من يزيد وانتهاؤه بعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وآخرين، تدلّ على عدم تأهّلهم للاجتهاد والفتيا. وعلى فرض تأهّل البعض منهم، فإنّ ذلك لا يدلّ على حصول قناعة لديهم بقتال

(١) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٧١.

(٢) أنظر: الإريلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٢٦٢.

(٣) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٣٣ - ٣٣٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٣٠٠. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٧٢، وج ٣، ص ٦٢٨.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

الإمام الحسين عليه السلام، ويرشدك إلى ذلك سير الأحداث السياسية، ومواقف عمر بن سعد وشبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن وآخرين قبل واقعة كربلاء، فكان هدفهم من وراء ذلك الظفر بالمال والجاه، حتى أن البعض ذهب إلى أن مجرد تصور قتال الإمام عليه السلام أمرٌ محال، إلا أنهم انجروا وراء ذلك، ولم يلتفتوا إلى عمق الجريمة إلا بعد فوات الأوان، ولات حين مناص.

وبصورة عامة، انقسم أتباع يزيد في كربلاء إلى حزينين:

فالحزب الأول: يتشكّل من عمر بن سعد، وشبث بن ربعي، ومروان بن الحكم، وشريح القاضي، وآخرين، ورغم أنهم لم يتمتعوا بمكانة علمية ودينية رفيعة بشهادة التاريخ، كانت لدى بعضهم خلفيات دينية واجتماعية قبل أن تكون لديهم خلفيات عسكرية، كداعية للدين وقائد اجتماعي ..

هذا الحزب على فرض إحرازه شروط الاجتهاد في المسائل الدينية العلمية والعملية، إلا أنه كان يرفض قتال الإمام الحسين عليه السلام، ومع ذلك وبسبب الضغوط النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وأهم من كلّ ذلك حبه للعالم والمقام دفعه إلى جعل عقائده الدينية وراء ظهره، وباع دينه بديناه.

أما الحزب الآخر: فيتشكّل من شمر بن ذي الجوشن، وخولي بن يزيد، وحرمله بن كاهل، والحسين بن نمير، وأمثالهم، حيث لم يحرزوا الشروط العلمية والعملية للاجتهاد، ولم يمتلكوا إيماناً راسخاً، ومواقف مبدئية، بل كانوا شذاذ آفاق، همج راع، متمرسون على القتل والتنكيل والغدر، ينعمون مع كلّ ناعق، ويتحينون الفرص لصيد شهيّ يملأ جيوبهم، وبالفعل وجدوا تلك الفرصة سانحة في كربلاء، فأفرطوا في القتل، حتى لامهم وتبرأ منهم يزيد وبعض أفراد حكومته.

وبناءً على ذلك، فادّعاء تصادم نمطين من الاجتهاد في مجال الخلافة الإسلامية

استناداً إلى حديث النبي ﷺ في ضرورة الحفاظ على الوحدة الإسلامية والخلافة الدينية والاحتراز عن الخروج عليها، مجرد وهم لا أساس له من الصحة، لا تاريخياً ولا علمياً. إن استعراض سيرة مناوئي ثورة كربلاء دلّ على أنهم لم يحرزوا الشروط اللازمة للاجتهاد والفتوى للتأهل لإبداء الرأي والفتوى بشأن قتل الحسين عليه السلام، بل على العكس ذهبوا إلى الاعتقاد بخروج من قاتل الحسين عليه السلام عن الدين والدخول في نار جهنم.

شاهدان آخران

رغم أنّ التأمل في سيرة وتقلّبات منقّذي فاجعة كربلاء يرشدنا إلى بطلان ادّعاء أتباع يزيد في اعتماد قتلة الحسين عليه السلام على التأويل، ومن أجل إلقاء المزيد من الأضواء على ذلك، واستكمال المعطيات التاريخية نستعرض شاهدين آخرين:

١. الأحداث والاعترافات بعد عاشوراء

لا شك أنّ امتثال التكليف الشرعي لا يستتبع الندم فحسب، بل يستحقّ الشكر ويُرضي الوجدان، وفي الواقع فإنّ معرفة التكليف من خلال الاستنباط والاجتهاد يعدّ خطوةً للقرب الإلهي والوجداني ونيل السعادة.

شبهة بناء المسجد

لعلّ إقدام بعض قتلة الحسين عليه السلام على بناء مسجد في الكوفة كشبت بن ربيعي، أو إعادة بنائه تبرّكاً لقتل الحسين عليه السلام يمكن أن يُتخذ شاهداً للمدافعين عن يزيد؛ ذلك لأنّ شبت قد بنى مسجداً في الكوفة في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، وبعد قتل الحسين عليه السلام أعاد بناءه.

ولعلّ عمله هذا يفسّر بأنّ شبت ممّن يهتمّ بالأمر المعنوية والالتزام الديني، وأنّ مشاركته في كربلاء كانت من هذا المنطلق، ونتيجةً لاعتقاده وقناعاته هذه فقد جدّد بناء مسجده كتعبير عن شكره لقتل الحسين عليه السلام، والقيام بالواجب الإلهي ودفع أخطار

جسيمة كانت تهدد خلافة يزيد.

الإجابة

لا بدّ من القول عند الإجابة عن هذه الشبهة أنّ المزاج الروحي والنفسي لشبث على أعتاب حادثة كربلاء يُوحى إلى عدم امتلاكه يقيناً بخطّ يزيد وابن زياد، بل لم يمتلك أدنى شك في بطلانها وأحقّية نهضة الحسين عليه السلام، من هنا ومع كلّ الإكراه والترغيب الذي مُرس في حقّه لإرساله إلى كربلاء لم يكن متزناً، ولم يكن يعتقد بقتال الحسين عليه السلام، هذه الخصوصية قد تجلّت للعيان في مواطن مختلفة، وأدركها جنود عمر بن سعد.

والمسجد الذي أعاد شبث بناءه بعد حادثة كربلاء - على فرض صحّة الخبر - قد يدلّ على تأنيب ضميره وعذاب وجدانه من جهة، وخداع الناس ونفاقه الباطني من جهة أخرى، هذا المسجد قد تمّ بناؤه أثناء انتقال مركز الخلافة من المدينة إلى الكوفة في عهد خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام، الذي منع المسلمين من الصلاة فيه، وقد ورد عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام نهى بالكوفة عن الصلاة في خمسة مساجد: مسجد الأشعث بن قيس، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد سمالك بن مخزومة، ومسجد شبث بن ربعي، ومسجد التيم»^{(١) (٢)}.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٤٩٠.

(٢) لا يُقال: هذه المساجد قد أحدثت بعد أمير المؤمنين عليه السلام، كما يُشعر به خبر عيسى عن سالم عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «جُدّت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً لقتل الحسين عليه السلام: مسجد الأشعث، ومسجد جرير، ومسجد سمالك، ومسجد شبث بن ربعي»، من أنّ بناءها إنّما يكون فرحاً بقتل الحسين عليه السلام، فكيف يستقيم نهي عن الصلاة فيها؟ لأنّ نقول: تجديدها وترميمها إنّما كان فرحاً بقتله، كما يدلّ عليه قوله في الخبر المتقدّم؛ فتكون قديمة موجودة في عصر أمير المؤمنين عليه السلام، ويُمكن أن يُقال: إنّ نهي عن الصلاة فيها بعد ما أحدثت، فيكون هذا من جملة إخباره عليه السلام بالأُمور الغيبية، وأمثال هذا قد صدرت عنه كثيراً. (المترجم)

يدلّ استعراض سيرة أصحاب تلك المساجد الخمسة على تبنيهم النفاق، وأنّ أهدافهم من وراء بنائها هو القضاء على الإسلام، وطمس قيمه العالية بسلاح الدين وآلياته، كالمساجد وغيرها، وإذا اعتبرنا بناء المساجد علامة فارقة على الاختلاف الفكري والاجتهادي، فهذا يعود إلى الثنائية العقدية التي كانت سائدة قبل حادثة عاشوراء، فقد ذهب تيار إلى الإيمان بالإسلام كدين إلهي منقذ في مقابل تيار آخر دعا إلى استغلاله للوصول إلى مآربه الشخصية، والدينية، والقومية، والطائفية.

ندم رموز الجريمة في كربلاء

إنّ ندم منفذي جريمة كربلاء من الأمور الجديرة بالمطالعة، فقد ورد ندم يزيد وأتباعه على ما ارتكبوه من جرائم في كربلاء صريحاً في التاريخ، ولم ينكر ذلك أحد وقد اعترف بذلك أتباع يزيد، ولكن النكته الجديرة بالاهتمام هي أنّ الذين عجزوا عن تبرير جرائم حزب يزيد حاولوا إلقاء هذه الفكرة، وهي أنّ يزيد وبعض عمّاله لا سهم لهم في تلك الجرائم، ولم يكونوا راضين بها، وإنّما أقدم عليها مجموعة من الجناة العتاة الذين لا ينصاعون لأحد، ولا يأتمرون بأمر.

ومن له أدنى إلمام بالتاريخ، يعلم بوضوح أنّ أسلوب التنصّل من تهمة قتل الحسين (عليه السلام)، وإلقاء تبعاته على الآخرين هو أسلوب متّبع معروف بين أصحاب السياسة، وقد اتّبع يزيد هذا الأسلوب وكيف لا، وهو ابن معاوية وحفيد أبي سفيان اللذان اشتهرا بالمكر والخداع، فقد أظهر أسفه وندمه خشيةً من الرأي العام، وعلى فرض صدق هذا الندم، فإنّ هذا شاهد صدق لما ندّعيه، وهو أنّ ما قام به لو كان بداعي أداء التكليف لما استتبع ذلك الندم.

ومهما يكن من أمر، فسوف نستعرض في الفصل الرابع سهم يزيد في تلك الحادثة المروّعة، استناداً إلى الوثائق والشواهد التاريخية المعتبرة لدى أهل السنة، وهنا سوف

نسر د بنحوٍ موجز كلمات تدلّ على ندم أعوان يزيد ممّا اقترفوه، لكي يتّضح أنّ أعداء الإمام الحسين عليه السلام لم ينطلقوا من خلفية إسلامية وأسس دينية، بل انطلقوا من مآرب دنيوية مع انكشاف أحقية الحسين عليه السلام لديهم كانكشاف الشمس في رابعة النهار.

ندم يزيد

بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ولما دخل أهل بيت الإمام عليه السلام ومعهم تلك الرؤوس الزاهرة إلى مجلس يزيد - استناداً إلى نقل أهل السنة - الذي سرّ بقتلهم أولاً وحسنت بذلك منزلة عبيد الله عنده، وأساء إلى رأس الإمام عليه السلام، وصار ينكته بعضاً، ولما بدأت الحقائق المتعلقة بالشهداء والسبايا تتكشف لأهل الشام وغيرهم، وصارت سياسة يزيد وعمّاله على المحك، ندم يزيد على قتل الحسين عليه السلام، وأظهر ذلك قائلاً: «أقسمت بالله، لو أنّ بين ابن زياد وبين حسين قرابة ما أقدم عليه، ولكن فرّقت بينه وبينه سمية»^(١).

وكان يقول: «ما كان عليّ لو احتملت الأذى وأنزلته معي في داري، وحكمته فيما يريد، وإن كان عليّ في ذلك وكف ووهن في سلطاني، حفظاً لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورعاية لحقه وقرابته، لعن الله ابن مرجانة فإنّه أخرجّه واضطره، وقد كان سأله أن يخلي سبيله ويرجع فلم يفعل، أو يضع يده في يدي أو يلحق بشعر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل، فأبى ذلك وردّه عليه وقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة، فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً، ما لي ولا بن مرجانة لعنه الله وغضب عليه»^(٢).

(١) ابن سعد، محمد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٨٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٦٥.

وعندما أحضرت الرؤوس برفقة الإمام علي بن الحسين عليه السلام والسبايا أمام يزيد توجه بخطابه إلى زين العابدين عليه السلام قائلاً: «لعن الله ابن مرجانة، أما والله، لو أني صاحبه ما سألتني خصلةً إلا أعطيتها إياه، ولدفعت الختف عنه بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيته»^(١).

وهنا يحاول رد الأمر إلى الله، وكأن يزيد كان مسيراً بإرادة إلهية مباشرة، وهذا مذهب استحدثه معاوية وشجع عليه، طالما أن من شأنه تثبيت حكمه ودولته، وإخضاع الناس لما زعم أن الله قرره وقدره.

يروى أن يزيد دمعت عيناه لما حمل إليه رأس الحسين، وقال لحامله: لقد كنت أَرْضَى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن مرجانة، أما والله، لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين، أما والله يا حسين، لو أنا صاحبك ما قتلتك. ثم دعا بعلي بن الحسين ونسائه، فأدخلوه عليه وعنده أشراف الشام، فقال لعلي: أبوك الذي قطع رحمي وجعل حقّي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيته.

ثم أمر بإنزالهم في داره، وأمر لهم بما يصلحهم، وكان لا يتغذى ولا يتعشى إلا عليّ معه، ثم أمر النعمان بن بشير أن يجّهزهم بما يصلحهم، ويسيرهم إلى المدينة مع أناس صالحين، ولما أرادوا الخروج دعا علياً فودّعه وقال له: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحبه ما سألتني خصلةً إلا أعطيتها إياه، ولدفعت عنه الختف بكل ما استطعت، ولكن الله قضى ما رأيته، فكاتبني وأنه إلى كلّ حاجة تكون لك^(٢).

ويروي ابن قتيبة أنه لما أدخلوا عليه رأس الحسين وأهله، بكى حتى كادت نفسه تفيض، وبكى معه أهل الشام حتى علّت أصواتهم^(٣).

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ص ٣٣٩.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٥٢-٣٥٤.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ٢، ص ١٣.

عذاب وجدان أسرة زياد

ابن زياد وبعدهما أدرك فداحة جرمه، فإنه حاول تلافي أوامر مماثلة بغزو مكة صدرت إليه من يزيد والتملص منها، وقد قال لبعض مقرّبيه: لا أجمعها للفاسق أبداً، أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأغزو البيت^(١).

كما حاول أن يستعيد الرسالة التي أصدر أوامره فيها لابن سعد بقتل الحسين عليه السلام أو أن ينزل على حكمه، قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعد قتله الحسين: «يا عمر، أين الكتاب الذي كتبت به إليك في قتل الحسين؟ قال: مضيت لأمرك وضاع الكتاب، قال: لتجيئن به، قال: ضاع، قال: والله لتجيئن به، قال: ترك والله، يُقرأ على عجائز قريش اعتذاراً إليهن بالمدينة، أما والله، لقد نصحتك في حسين نصيحةً لو نصحتها أبي سعد بن أبي وقاص كنت قد أدّيت حقه.

قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لوددت أنه ليس من بني زياد رجلٌ إلّا وفي أنفه خزامة إلى يوم القيامة، وأنّ حسيناً لم يُقتل، فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله»^(٢).

وقد كانت مرجانة تقول لابنها عبيد الله: «قتلت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لا ترى الجنة»^(٣).

وروى الطبري أنّها قالت لعبيد الله حين قتل الحسين عليه السلام: «ويلك ماذا صنعت، وماذا ركبت»^(٤).

وذكر ابن سعد في الطبقات: «قالت مرجانة لابنها عبيد الله بن زياد: يا خبيث، قتلت

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٧١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٤٢.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٨. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٥٦٨.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٥٣.

ابن رسول الله، لا ترى الجنة أبداً^(١).

وما نحسب أن أماً تواجه ابنها بما واجهت به مرجانة عبيد الله لو لم تكن جريمتها بتلك الخطورة التي ألحقت أضراراً بالأمة، لا الحسين عليه السلام وصحبه فقط.

من الواضح أن عبيد الله لم ينبس ببنت شفة، هول ما قام به وأعوانه في كربلاء من جرائم يندى لها جبين الإنسانية؛ ذلك لأنه لو انطلق من تأويل شرعي لما كان لتلك التقريعات والإهانات من مبرر، ولو كان لعبيد الله وعمر بن سعد تأويل لتبرير ما قاما به لكسرا حاجز السكوت بهدف تلميع صورتها أمام جمهور المسلمين.

لا شك أن تصريح يزيد ينم عن بغض الناس وعداوتهم له بما استعظموه من قتله الحسين عليه السلام، هو الذي دعاه للتبرؤ من ابن زياد، واستنزال اللعنات عليه، ولم يكن ليفعل ذلك بدافع الكياسة أو الشعور بالذنب، وقد دلت أعماله اللاحقة أن تلك المشاعر ما كانت لتساوره في أي وقت من الأوقات.

ولا شك أن دوافع سائر القتلة للتبرؤ من الجريمة لم تكن تختلف عن دوافع يزيد، فقد علموا أنهم سيواجهون نقمة جماهيرية واسعة، قد تنال منهم شخصياً، وقد تقف عائقاً أمام طموحاتهم، كما حدث ذلك بالفعل، إذ رفضت الكوفة والبصرة ولاية ابن زياد عليها، بعد أن استحضر أهلها موقفه وما فعله بالحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء^(٢).

عمر بن سعد واعترافه ببيع دينه

نقلت الوثائق التاريخية المعتمدة لدى أهل السنة اعترافات عمر بن سعد قبل وقوع

(١) ابن سعد، محمد، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ص ٨٨.

(٢) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٦٤-٣٧٥.

جريمته، لما أرسل الحسين عليه السلام إليه في كربلاء بُريراً، فقال برير: «يا عمر بن سعد، أترك أهل بيت النبوة يموتون عطشاً وحلت بينهم وبين الفرات أن يشربوه، وتزعم أنك تعرف الله ورسوله؟

قال: فأطرق عمر بن سعد ساعةً إلى الأرض ثم رفع رأسه، وقال: إني والله، أعلمه يا بُرير... أنشئ عليّ أن أترك ولاية الري فتصير لغيري؟ ما أجد نفسي تحبيني إلى ذلك أبداً، ثم أنشأ يقول:

دعاني عبيد الله من دون قومه	إلى خطّةٍ فيها خرجت لحيني
فوالله لا أدري وإني لواقفٌ	على خطر بعظم علي وسيني
أأترك ملك الري والري رغبةٌ	أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها	حجابٌ وملك الري قرة عين

فرجع برير بن خضير إلى الحسين فقال: يا بن بنت رسول الله، إنَّ عمر بن سعد قد رضي أن يقتلك بملك الري»^(١).

سنان بن أنس وجزاء قتله الحسين عليه السلام

إنَّ من الاعترافات المروعة هي ما ذكرها سنان بن أنس، حينما قدم خيمة ابن سعد بعد أن حرّضه جماعة على ذلك قائلين: «قتلت حسين بن علي وابن فاطمة ابنة رسول الله (صلى الله عليه وسلّم)، قتلت أعظم العرب خطراً، جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم، فأت أمراءك فاطلب ثوابك منهم، وإنهم لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً.

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٧٢.

فأقبل على فرسه وكانت به لوثة، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد، ثم نادى بأعلى صوته:

أوقر ركابي فضةً وذهباً إنّي قتلـت الفارس المحجّبا

قتلت خير الناس أمّاً وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فقال عمر بن سعد: أشهد أنّك لمجنون ما صححت قط، أدخلوه علي، فلمّا أدخل حذفه بالقضيب، ثمّ قال: يا مجنون، أتتكلم بهذا الكلام؟! أما والله، لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك^(١).

وقد رُوي أنّ ابن زياد قد حرم ابن سعد الجائزة التي وعده بها، وهي ولاية الري، فكان يردّد بعد ذلك «ما رجع أحدٌ إلى أهله بشرٍ ممّا رجعت به، أطعت الظالم الفاجر ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة»^(٢).

وقيل: إنّ سنان دخل على عبيدالله بن زياد بعد يوم عاشوراء بيومين، وهو يرتجز بقوله، فقال له ابن زياد: فإن كان خير الناس أمّاً وأباً فلمّ قتلته؟ وأمر فُضربت عنقه^(٣).

ابن خلدون ومخالفته لابن العربي

ذهب ابن العربي واستناداً إلى رواية عن النبي ﷺ أنّه قال: «مَنْ أراد أن يفرّق أمر هذه الأُمّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً مَنْ كان»^(٤)، إلى أنّ الحسين عليه السلام جاء ليفرّق كلمة المسلمين بعد اجتماعها، وليخلع مَنْ بايعه الناس واجتمعوا عليه، وأنّ يزيد -

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٣٣٥.

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢١١.

(٣) انظر: النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب: ص ٢٠ - ٤٦١. ابن عبد ربه الأندلسي،

أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج ٥، ص ١٢٧. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ١٤١.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٤، ص ٣٤١. ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٣٢.

بزعمه - قد عمل بمفاد تلك الرواية، وبهذا النحو فهو معذور بقتله الحسين عليه السلام وما قام به جاء مطابقاً للشريعة والدين، كما أضاف أنّ الحسين عليه السلام في الواقع قُتل بسيف جدّه^(١). ولعمري فإنّ هذا الرأي أسخف رأي صدر عن عالم كبير، ممّا حدا بابن خلدون رغم كونه من علماء البلاط ومفكّري الدولة إلى تفنيده واعتباره مجانباً للحقيقة لاتعضده الوقائع التاريخية، قائلاً: «وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا، فقال في كتابه الذي سَمّاه بالعواصم من القواصم ما معناه: إنّ الحسين قُتل بشرع جدّه. وهو غلطٌ حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومَن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء»^(٢).

ومن الواضح أنّ العدالة شرطٌ أساسيٌّ للإمامة، ومن ثمّ العلم والفقه وسائر الشروط اللازمة لتولّي خلافة المسلمين، وبدونها تفقد سائر الشروط اعتبارها. ولشناعة رأي ابن العربي^(٣)، لم يكن ابن خلدون الوحيد الذي تعرّض إلى نقده، بل ثمة عالم آخر هو حسين محمد يوسف في كتابه (سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي) قائلاً: «ولقد ذهب القاضي أبو بكر إلى أبعد من ذلك في تبريره لموقف المحاربين لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جدّه المهيمن على الرسل. ذلك لأنّ لجدّ الحسين صلى الله عليه وآله من الأحاديث الصريحة ما يكفي لبيان أنّ معاداة الحسين عليه السلام معاداة لله

(١) المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ج ١، ص ٢٦٥.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدّمة ابن خلدون: ج ١، ص ١٧٤.

(٣) إنّ الدوافع التي تقف وراء رأي ابن العربي وأضرابه ليست دينية بحتة، فمعظمهم من أهل الشام كابن تيمية، أو من الأندلس الأموية كابن حزم وابن العربي، ولا يخلو رأيهم من باعث العصبية الإقليمية، أو مشايعة الحكام الأمويين، ولقد صيغت آراء هذه الفرقة أساساً كردّ فعل للمذهب الشيعة، فمعارضة عقائد الشيعة هي وحدها تحذوهم إلى اتّخاذ موقفهم، حتى أسرفوا على أنفسهم في هذه المعارضة التي لم يكن يحذوها البحث عن الحقيقة، أو تحرّي رأي الدين فيما يعتقدون من آراء بقدر ما كانوا يقصدون من تخطئة الشيعة في كلّ عقائدهم، وتكفيرهم في كلّ ما ذهبوا إليه. أنظر: صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية: ص ٣٣٨. (الترجم).

ولرسوله، ومحاربتة محاربة لله ورسوله، وكفى بذلك إثماً في الدنيا وخزياً في الآخرة.
من ذلك قوله (صلوات الله عليه): لا يحب أهل البيت إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق.

وفيه حكمٌ صريحٌ بالنفاق على كل من اشترك في قتال الحسين عليه السلام، وأي بغضٍ له أشد من حصاره ومنعه من الانصراف في أي جهة، حرصاً منهم على قتاله وقتله، ومن ذلك قوله عليه السلام: أنا حربٌ لمن حاربكم، وسلمٌ لمن سالمكم.

وقد كانت نهاية المعتدين على سيد شباب أهل الجنة أقطع دليل على شدة غضب الله ورسوله عليهم، ومحاربتهم لهم، حتى لم يبق أحدٌ إلا وأصابه من نكال الله تعالى ونقمته ما أصابه^(١).

وقال في معرض رده على ابن العربي لما قال: «وما خرج إليه أحدٌ إلا بتأويل، هذا القول يوهم أن الذين قاتلوا سيد شباب أهل الجنة وقتلوه وداسوا جسده الشريف بسنابك الخيل كانوا من أهل العلم الذين بلغوا مرتبة الاجتهاد، حتى استطاعوا أن يتأولوا أحاديث سيد المرسلين التأويل الصحيح، وأن يجدوا فيها ما يبيح لهم مقاتلة ابن بنته وقتله، والثابت أن الجيش الذي أعدّه لمقاتلة الحسين عليه السلام كان أكثر أفراداً من الرعاع الأجلاف، ليس فيهم صحابيٌّ جليل، ولا تابعيٌّ فقيه في دينه، وقد كان كبير القوم - عبيد الله بن زياد - أبعد من أن يُوصف بأنه من أهل العلم والدين، وإنما كان جباراً جهولاً، لا دين له ولا أخلاق.

فإذا كان هذا هو شأن أمير القوم فكيف بمن دونه من قادة الجيش وأفراده؟! وهم الذين ما خرجوا لقتال الحسين عليه السلام عن تأويل أو فقه، وإنما خرجوا رهبةً من طغيان ابن زياد، أو رغبةً فيما عنده من أمور الدنيا، وعلى رأس هؤلاء عمر بن سعد قائد الجيش الذي خرج خوفاً من بطش ابن زياد، وطمعاً في ولاية الري التي وعده بها، ويليهِ شمر بن ذي

(١) يوسف، حسين محمد، سيد شباب أهل الجنة: ص ٤٢٥.

الجوشن، الذي كان أشدّ القوم تحمّساً في التحريض على قتل الحسين عليه السلام، والذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله أنّه الكلب الأبقع الذي يلغ في دماء أهل البيت، ثمّ سنان بن أنس الذي احتزّ رأس الحسين عليه السلام وذهب به إلى ابن زياد يطالب بالأجر.

وهكذا نجد أنّ البارزين من قتلة الحسين عليه السلام كانوا جميعاً من الرعاع الأجلاف، فكيف بمنّ دونهم! والكثير منهم كانوا ممنّ كاتبوه يدعونه بالخروج ثمّ انقلبوا عليه وحاربوه، ومثل هؤلاء أبعد الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأشدّهم جهلاً بحديثه، ومع ذلك فإنّ القاضي ابن العربي ذهب بعيداً في حسن ظنّه بهم، فاعتبرهم جميعاً من أهل التأويل الراسخين في العلم^(١).

ورغم ذلك فما زال يتبنّى هذا الرأي في العصر الراهن زمرة من الكتّاب منهم محمد عزة دروزة، لما قال: «إنّه ليس هناك ما يبرّر نسبة قتل الحسين إلى يزيد، فهو لم يأمر بقتاله فضلاً عن قتله، وكلّ ما أمر به أن يُحاط به ولا يُقاتل إلّا إذا قاتل... فإذا كان الحسين أبى أن يستسلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون، وقاوم بالقوة، فمقابلته وقاتله صار من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغاً»^(٢).

٢. غياب التأويل

اتّضح ممّا سبق غياب شروط التأويل لدى منفّذي جريمة قتل الحسين عليه السلام، وهو دليل آخر على ردّ الرأي القائل بوجود نمطين من التفكير في ساحة كربلاء، بعد استعراض مفهوم الاجتهاد والتأويل والشروط العلمية والعملية لأهل الاجتهاد والفتيا لدى أهل السنّة، والاطلاع على سيرة مرتكبي تلك الجريمة الذين لم يمتلكوا أدنى مقوّمات الاجتهاد.

(١) يوسف، حسين محمد، سيّد شباب أهل الجنة: ص ٤٢٤.

(٢) دروزة، محمد عزة، تاريخ الجنس العربي: ج ٨، ص ٣٨٣-٣٨٤.

وسوف نتطرق هنا إلى موضوع في غاية الأهمية وهو هل أن استشهاد الحسين عليه السلام موضوع قابل للتأويل، ذلك لأن الاجتهاد وفق رؤية علماء أهل السنة يجري في مقام لم يرد فيه نص صريح، أمّا في صورة وجود نص صريح فلا اجتهاد، وبتعبير أهل المنطق سالبة بانتفاء الموضوع، بل هو حرام؛ لأنه اجتهاد في مقابل النص.

وقد بادر أحد محققي أهل السنة إلى طرح سؤال وهو: في أي موطن يكون فيه الاجتهاد حراماً؟ ثم تصدّى للإجابة عنه، وذكر موطنين له، وهما:

الأول: الاجتهاد في مقابل النص، وهذا النوع من الاجتهاد هو إقدام المجتهد على إجراء الاجتهاد في واقعة ورد فيها نص صريح، وبالتالي فالحكم المستنبط خلاف مؤدّى النص.

الثاني: اجتهاد من كان فاقداً لأهلية الاجتهاد والتأويل، وهنا قد يقوده اجتهاده إلى الضلال والانحراف، وهذا النوع من الاجتهاد ينطوي تحت القاعدة الشرعية: كل ما دعا إلى الحرام فهو حرام.

الإمام الحسين عليه السلام من وجهة نظر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

مع أن مكانة الحسين عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله كالشمس في رابعة النهار لا تخفى على أحد، خاصة من له أدنى إلمام بتاريخ الإسلام وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أن هناك من أذنب يزيد من شكك في علاقة رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسين عليه السلام دفاعاً عن يزيد، منهم ابن تيمية، حيث لم يتوان في الدفاع عن يزيد وتبرير ما قام به في كربلاء، وأنه صادر عن مجوز شرعي، ويأتي بالأدلة على أن ما قام به الحسين عليه السلام كان خلافاً لما أمر به النبي صلى الله عليه وآله، حيث قال: «ومما يناسب هذا ما ثبت في الصحيح من حديث سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله. أنه كان يأخذه والحسن، ويقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما.

ففي هذا الحديث جمعه بين الحسن وأُسامة، وإخباره بأنّه يحبّهما، ودعاؤه الله أن يحبّهما وحبّه صلّى الله عليه وآله لهذين مستفيض عنه في أحاديث صحيحة، كما في الصحيحين من حديث شعبة عن عدي بن ثابت، قال: سمعت البراء بن عازب، قال: رأيت النبي صلّى الله عليه وآله والحسن بن علي على عاتقه، وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه... وهذان اللذان جمع بينهما في محبته ودعا الله لهما بالمحبة، وكان يعرف حبه لكل واحدٍ منهما منفرداً لم يكن رأيهما القتال في تلك الحروب، بل أُسامة قعد عن القتال يوم صفّين لم يقاتل مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، وكذلك الحسن كان دائماً يشير على أبيه وأخيه بترك القتال، ولما صار الأمر إليه ترك القتال، وأصلح الله به بين الطائفتين المقتلتين»^(١).

وعلى هذا وأمثاله من التوجيهات استقام عماد محبّي يزيد القدماء والجدد، مع إجراء بعض التعديلات الجزئية على العبارات والألفاظ، وإن لم يصرّحوا بالنتيجة بهذا الشكل، ولسنا هنا بصدد نقل جزئيات كلامهم، وبغضّ النظر عن عدم استفادة هذه الروايات وبعدها عن الصّحة والوثاقة، فإنّه يتبادر إلى الذهن - حول ما نقلناه عن ابن تيمية - أسئلةٌ ثلاثة:

١- أيّ مقطع من الحديث استفاد منه ابن تيمية في جواز قتل الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء وشرعية مواقف يزيد؟

٢- هل يلتزم ابن تيمية وأعوانه بجميع لوازم استدلالهم بهذا الحديث على جواز قتل الحسين عليه السلام وصحبه؟ التي منها:

أ- إنّ محبة النبي صلّى الله عليه وآله لا تعمّ مَنْ لم يفصح عنه الحديث من أهل البيت، وبالتالي يعتبر هذا مجوّزاً ليزيد وأمثاله لقتلهم والتنكيل بهم.

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة: ج ٤، ص ٥٣٥.

ب - إذا ورد حديث عن النبي ﷺ في محبة الحسين عليه السلام، وأيده علماء السنة بلحاظ السند، فهل فيه دلالة على سخطه عليه السلام على الحسن عليه السلام وصلحه؟ وعليه فإن قتل معاوية للحسن عليه السلام جاء وفقاً لما ورد عن رسول الله ﷺ المروي في الصحاح الست موثقاً.

ج - الحديث المذكور لا يمكن الجمع بينه وبين آيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية، فكيف يرجح الحديث المذكور حين وقوع التعارض؟ وقد ورد في أممات المصادر التفسيرية والروائية والتاريخية لأهل السنة أن آية التطهير والمباهلة وسائر الآيات المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام تشمل الحسين عليه السلام أيضاً، كما وردت أحاديث لا حصر لها على لسان النبي ﷺ في مقام الحسين عليه السلام وفضله، مثلما وردت في حق الحسن عليه السلام، ونعته بأوصاف متنوعة نظير: سيّد شباب أهل الجنة، وريحانة النبي ﷺ، ومن الأسباط، وفضلاً عن ذلك فقد وردت روايات تتنبأ باستشهاده وتذمّ قتلته، فقد أوصى النبي ﷺ صراحةً بالوقوف في صف الحسين عليه السلام والعمل على نصرته.

روى أنس بن الحارث عن أبيه الحارث بن نبيه، قال: «سمعت رسول الله ﷺ - والحسين في حجره - يقول: «إنّ ابني هذا يُقتل في أرض يُقال لها: العراق، فمن شهد ذلك منكم فلينصره»، قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء، فقتل بها مع الحسين»^(١).

ومع كثرة الأحاديث الدالة على حبّ الحسين عليه السلام والتحذير من بغضه وأذاه، هل بمقدور ابن تيمية وأتباعه تأويل جواز قتل الحسين عليه السلام وأصحابه، وقطع الماء عليهم، وأسر أهل بيته، وقطع رؤوسهم، والطواف بها في الأمصار، ورؤس أجسادهم الطاهرة بسنابك الخيول، وترك الجثث في العراء دون دفن؟

د - يُوحى منطق ابن تيمية بانحصار سخط النبي ﷺ على شخص الحسين عليه السلام، أو

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج ١، ص ٦٨.

فكره وسيرته، وسكوت النبي صلى الله عليه وآله عما اقترفه الآخرون، وبالخصوص بنو أمية ومعاوية ويزيد من جرائم.

٣- ينبغي الاستفسار من ابن تيمية، هل ورد عن النبي صلى الله عليه وآله حديثٌ أو رواية معتبرة في حق الحسين عليه السلام يُشَمُّ منها عدم الرضا المضمّر في الحديث المتقدم كي يقوم النبي صلى الله عليه وآله على ضوء ذلك بترك ذكر الحسين عليه السلام والإتيان بأسامة والحسن عليه السلام وشمولهما بالعناية والمحبة دون الحسين عليه السلام أو الإتيان بالحسن عليه السلام وحده؟

لا شك أنّ مفاد ما ذكره ابن تيمية وأتباعه من جهة، وابن العربي وآخرون من جهة أخرى أشبه بإخفاء الشمس بإصبعين، ومع أدنى تأمل في المصادر المختلفة لأهل السنة نصل إلى هذه النتيجة، وهي: أنّ مؤيدي يزيد غير مقتنعين ولا معتقدين بأي مذهب من المذاهب الإسلامية، وليس لديهم أدنى اطلاع عن تاريخ الإسلام والحديث، والنظريات الموجودة فيها، وأرجح الاحتمال الأخير، وهو عدم اطلاعهم، وأقول: على فرض عدم ورود حديث عن النبي صلى الله عليه وآله في مدح الحسين عليه السلام وبيان مقامه ومكانته الرفيعة، وعدم ورود حديث في ذم بني أمية أعداء الله والدين وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، إلّا أنّ ملامح الشخصية العظيمة للحسين عليه السلام الواردة في مصادر أهل السنة كفيلة بكشف النقاب عن وجه الحقيقة، فقد سار الإمام الحسين عليه السلام كزعيم مسؤول وملتزم لينقذ الأمة من جور يزيد وطغمته، وليسحب بذلك بساط الشرعية عن دولة الظلم الأموية. لقد أثر الحسين عليه السلام أن يقوم بما لم يقم به أحدٌ غيره؛ لأنّه لم يكن مثل الآخرين، وكان وعيه وشعوره بالمسؤولية استثنائياً، لم يكن يقل عن وعي وشعور من سبقوه ممّن حملوا لواء الإمامة، مكملين دور الرسول القائد صلى الله عليه وآله بين أبناء الأمة، وكانت معرفته بالإسلام ويقينه به أكبر من أيّ شيء آخر يمكن أن يجعله يستجيب لدعوة يزيد لمبايعته، ووضع يده في يده.

فضائل الإمام الحسين عليه السلام في الصحاح الست

هناك أحاديث كثيرة وردت في الصحاح الست بشأن فضائل الحسين عليه السلام وأخيه الحسن عليه السلام على لسان النبي صلى الله عليه وآله، والتي تدلّ على مكانتهما الرفيعة لدى النبي صلى الله عليه وآله، ومن جملة الأبواب الواردة في تلك الأحاديث هو باب تسميتهما من قبل النبي صلى الله عليه وآله باسم أبناء هارون شبر وشبير، وباب قراءة النبي صلى الله عليه وآله الأذان في أذانها، وعقّ عن كلّ منهما بكبش، وأمر بحلق شعرهما والتصدق بوزنه فضة، وختنهما لسبعة أيّام من مولدهما.

وقد عني النبي صلى الله عليه وآله ببيان فضلهما، وأوصى بحبّهما وإعزازهما، حتى أنّه اعتبر حبّهما من حبّه، وبغضهما من بغضه:

١- رُوِيَ عن أبي هريرة أنّه قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرّة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله، وإنّك تحبّهما؟ فقال: مَنْ أَحَبَّهما فقد أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهما فقد أَبْغَضَنِي»^(١).

٢- عن يعلى بن مرّة قال: قال رسول الله: «حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله مَنْ أَحَبَّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط»^(٢).

٣- عن أبي أيوب الأنصاري، قال: «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن والحسين يلعبان بين يديه وفي حجره، فقلت: أتحبّهما؟ قال: وكيف لا أحبّهما وهما ریحانتاي من الدنيا أشمّهما»^(٣).

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٢، ص ٤٤٠.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٦٥٨.

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٤، ص ١٥٥. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٣٠.

٤- أخرج أحمد بن حنبل بسنده: أنَّ النبي أخذ بيد الحسن والحسين وقال: «مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

٥- عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة»^(٢).

ولا شك أنَّ النبي صلى الله عليه وآله في كلِّ هذه الصور الكريمة من المحبة والحنان والإعزاز والتكريم لحفيديه الصغيرين لم يكن مدفوعاً بعاطفة خاصّة فحسب، وإنَّما كان مأموراً بوحي من ربِّه كي يُعلِّم المسلمين ما يجب عليهم نحو أبنائهم عامّة، ونحو أهل البيت والحسين خاصّة، من صدق المحبة، وخفض الجناح، ومعرفة حقِّهم، واستشعار كلِّ الإجلال والتوقير لهم.

وإذا كان هذا هو مقام الحسن والحسين من الله ورسوله ومكانتهما، فلا عجب إذا حرص صلى الله عليه وآله على التحذير من مغبة معاداتهما أو مشاققتها؛ لأنَّ معاداتهما معادة لله ورسوله، ومشاققتها مشاققة لله ورسوله.

ومهما يكن من أمر فلم تفلح التبريرات الواهية لابن تيمية وأتباعه في إثبات براءة يزيد فحسب، بل إنَّها أثارت الشكوك حول عقائد السنة والجماعة، حين قام بتوجيه جرائم يزيد بأيِّ ثمن ولو على حساب المسلَّات التاريخية والرجالية.

ومع وجود تلك الروايات، فهل يبقى إبهام بشأن موقف رسول الله صلى الله عليه وآله الداعم للحسين عليه السلام وحركته؟ أليس تحذير النبي صلى الله عليه وآله من بني أمية ولعنهم دليلاً على كفرهم وفجورهم وانحرافهم عن الإسلام؟ فليس هناك جهلٌ حتى يأتي الدور للاجتهاد، ولا

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ١، ص ٧٧.

(٢) المصدر السابق: ج ٣، ص ٦٢. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه: ج ١، ص ٤٤، ح ١١٨. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢١، ح ٣٨٥٦.

شكّ حتى نسعى لتحصيل العلم والاجتهاد، بل واقعة كربلاء خارجة عن ميدان الاجتهاد، والاجتهاد فيها سيكون في مقابل النص، وهو إن صدر ممّن تتوفّر فيهم شروط الاجتهاد والقدرة عليه كان خلاف الشرع ومن المحرّمات.

وعليه يصبح الصراع بين نمطين من التفكير في ساحة كربلاء مجرد وهم، ويصبح تأويل واجتهادُ أمراء جند يزيد أشبه بالهزل منه بادّعاء تاريخي وعلمي.

الفصل الثالث
فلسفة ثورة كربلاء
في المنظور السني

فلسفة ثورة كربلاء في المنظور السني

إنَّ من المباحث المطروحة في أوساط أهل السنة حول النهضة الحسينية هي فلسفة هذه الثورة التاريخية الكبرى، وقد استعرض علماء أهل السنة الأبعاد المختلفة لثورة أبي الأحرار، والهدف الرئيس لقيامها، ومدى مشروعيتها من جهة، والعقلانية التي تمتعت بها من جهةٍ أخرى، وعبروا عن مواقفهم حيالها.

ومع أخذ الأبعاد المختلفة المطروحة حول دوافع ثورة كربلاء وأهدافها والمسائل المتعلقة بها، تطفو هناك موضوعات عديدة جديرة بالبحث ومعرفة نظريات العلماء السنة فيها، ويتأتَّى ذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

- هل سارت ثورة كربلاء وفق فلسفة واضحة أو اكتنفها الغموض؟
- إن كان لها فلسفة واضحة ومعينة، فهل هذه الفلسفة الواضحة تختصّ بالحسين عليه السلام، أو يمكن تعميمها إلى الآخرين، ويمكنهم فهمها وتلزمهم بالتكليف؟
- هل لتلك الثورة فلسفة تعبدية بحتة، أو تجاوزتها إلى أبعاد عقلانية؟
- ما مدى مستوى نجاح هذه الثورة في الظفر بأهدافها وفلسفة وجودها؟
- إنَّ تتبُّع المواقف المختلفة لأهل السنة حول فلسفة ثورة كربلاء له أهمية قصوى للإجابة عن تلك الاستفسارات، ويمكن على ضوء ذلك فهم وجهات نظرهم في هذا الصدد، وكشف مجموعة المعارف والاعتقادات التي يمتلكونها حول تلك الحادثة، وإيضاد الطريق بوجه الانحرافات، وهذا لا يتيسَّر إلَّا في ظلِّ نقد الآراء غير الصائبة لبلورة الصحيح منها.

١. النظرة المصلحية

لقد بُذِل النصح للإمام عليه السلام بالعدول عن حركته منذ خروجه من المدينة، وبلغت أوجها عند حضور الإمام عليه السلام في مكة، واستمرّ طوال سيره إلى كربلاء، فبعد اطلاع النصحاء على مخالفة الإمام عليه السلام لمبايعة يزيد وخروجه من المدينة، أصرّوا عليه بأنّ الظروف ليست سانحة للإطاحة بحكم بني أمية الجائر وإقامة نظام إسلامي، وأنّ أهل الكوفة لا يعوّل عليهم؛ لأنّهم أهل غدرٍ وخيانة.

ومن الذين بذلوا النصح للإمام عليه السلام هو عبد الله بن مطيع، فهو بعد أن علم بقصده، قال: «جُعِلت فداك، أين تريد؟ قال: أمّا الآن فإنّي أريد مكة، وأمّا بعدها فإنّي أستخير الله، قال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فإذا أنت أتيت مكة فإنّك أن تقرب الكوفة، فإنّها بلدة مشؤومة، بها قُتل أبوك، وخُذِل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، ألزم الحرم، فإنّك سيّد العرب لا يعدل بك - والله - أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كلّ جانب، لا تفارق الحرم فداك عمّي وخالي، فوالله، لئن هلكت لنسترقنّ بعدك»^(١).

روى الطبري أنّ عبد الله بن جعفر لما علم بخروج الحسين عليه السلام من مكة أرسل إليه كتاباً مع ابنه عون ومحمد، يقول فيه: «إنّي أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فإنّي مشفقٌ عليك من الوجه الذي توجّه له أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إن هلك اليوم طفئ نور الأرض، فإنّك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإنّي في أثر الكتاب»^(٢).

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٥١.

(٢) المصدر السابق: ج ٤، ص ٢٩١.

رُوي أنّ أبا سعيد الخدري جاء إلى الحسين عليه السلام وقال له: «يا أبا عبد الله، إنّي لكم ناصح، وإنّي عليكم مشفق، وقد بلغني أنّه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج، فإنّي سمعت أباك يقول بالكوفة: والله، لقد مللتهم وأبغضتهم، وملّوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز منهم فاز بالسهم الأخيب، والله، ما لهم نيات، ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف»^(١).

هذه الكلمات تؤكد بوضوح على نقطتين:

الأولى: تدلّ الأوضاع العامة خاصّةً أوضاع الكوفة وأهلها وما آل إليه أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام أنّ أرضية الثورة غير متوفرة فيها، وهذا ما يدعو إلى عدم الركون إلى وعود أهل الكوفة ونصرتهم.

الثانية: إنّ ظروف الحجاز كانت أفضل من الكوفة، حيث كان اللجوء إلى مكة يوفرّ الغطاء اللازم للحفاظ على النفس، فإذا كان الإمام عليه السلام يفتش عن مكان آمن، فالكعبة كانت أفضل تلك الأماكن على الإطلاق.

وقد ظنّ من بذل النصح للإمام عليه السلام أنّه بصدد الظفر بالحكم والإطاحة بيزيد، من هذا الباب تطرّقوا إلى عدد وعديد أهل الكوفة ومعاناة الإمام علي عليه السلام والحسن عليه السلام منهم، ومقدار ثبات وقدرة أهل الكوفة أمام أهل الشام وشوكة يزيد، كما حذروا الإمام عليه السلام من مغبة أي إقدام؛ لأنّه سيؤدّي إلى الفشل لا محالة؛ هذا الانطباع نقله ابن العربي حينما استعرض نصائح ابن عمر وابن عباس للإمام عليه السلام قائلاً: «ولو أنّ عظيمها وابن عظيمها وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته أو ضيعته أو إبله، ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحقّ، وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت إليهم، وحضره ما أنذره به النبي صلى الله عليه وآله وما قال في أخيه، ورأى أنّها قد خرجت عن أخيه ومعه جيوش الأرض وكبار

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ١٧٤.

الخلق يطلبونه، فكيف ترجع إليه بأوباش الكوفة، وكبار الصحابة ينهونه ويتأون عنه؟! وما أدرى في هذا إلا التسليم لقضاء الله والحزن على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بقية الدهر، ولولا معرفة أشياخ الصحابة وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن أهل البيت وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها ما أسلموه أبداً^(١).

وقد أثار الشكوك حول شرعية هذه الثورة، واستشهد على ذلك بعدم تعاون الصحابة عندما سرد وجهات نظرهم المخالفة للثورة، وذهب إلى أن منشأ ثورة كربلاء هو طلب الحكم وبسط النفوذ، وساد عنده هذا الاعتقاد بأن الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والقبلية لا تساعد، وقد أدرك ذلك كبار الصحابة ووصفوها للإمام عليه السلام.

ومع أن عبد الرحمن بن خلدون قد ارتضى شرعية ثورة كربلاء، وانتقد موقف ابن العربي بشأن الثورة الحسينية وأنه مقتول بسيف جده، إلا أنه اتخذ موقفاً مشابهاً، مصرحاً بأن الشوكة كانت لبني أمية خاصة يزيد دون الحسين عليه السلام، لما قال: «وأما الحسين، فإنه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره بعثت شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره، فرأى الحسين أن الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه لا سيما من له القدرة على ذلك، وظنها من نفسه بأهليته وشوكته، فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادة، وأما الشوكة فغلط - يرحمه الله - فيها؛ لأن عصبية مضر كانت في قريش، وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه»^(٢).

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٤٥.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون: ج ١، ص ٤١٥.

ورغم تأكيد ابن خلدون على شرعية ثورة كربلاء وفضائل الحسين عليه السلام من جهة، وإتيان يزيد المنكرات من جهةٍ أخرى، إلّا أنّه كان يرى أنّ الظروف السائدة آنذاك لا تساعد، وأنّ هذه الثورة محكومٌ عليها بالفشل، وهو بتحليله هذا وإن خالف رأي ابن تيمية وابن العربي في أنّ ثورة الحسين عليه السلام لم تكن للظفر بالسلطة والحكم، بل إنّ غياب الوعي لدى عامّة الناس، ورواج العصبيّة القبلية من قبل جهاز يزيد كان العامل الأساس لإخفاق هذه الثورة، وعلى هذا الأساس فإنّ لثورة الحسين عليه السلام - حسب رأي ابن خلدون - فلسفة واحدة هي الإطاحة بيزيد اعتماداً على شيعة الكوفة، والظفر بالخلافة، وقد آل أمرها إلى ما آل نتيجة عدم توفّر الإمكانيات اللازمة والظروف المناسبة، إلى جانب شيوع العصبيّة القبلية.

ويعتقد جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ) أنّ خروج الحسين عليه السلام لنيل الخلافة هو عماد فلسفة ثورة كربلاء التي ما كان لها أن تنطلق إلّا اعتماداً على وفاء أهل الكوفة وإطاعتهم ولكنها انتهت إلى فاجعة قلما شهدها التاريخ، قائلاً: «وأما الحسين، فكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية وهو يأبى، فلما بُوع يزيد أقام على ما هو عليه مهموماً، يزعم الإقامة مرّة ويريد المسير إليهم أخرى، فأشار عليه ابن الزبير بالخروج، وكان ابن عباس يقول له: لا تفعل، وقال له ابن عمر: لا تخرج، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خيرّه الله بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة، وإنّك بضعة منه ولا تنالها - يعني الدنيا - واعتنقه وبكى وودعه، فكان ابن عمر يقول: غلبنا حسين بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة.

وكلمه في ذلك أيضاً جابر بن عبد الله وأبو سعيد وأبو واقد الليثي وغيرهم، فلم يطع أحداً منهم، وصمم على المسير إلى العراق، فقال له ابن عباس: والله، إنّّي لأظنّك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان، فلم يقبل منه، فبكى ابن عباس.

وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم، فخرج من مكة إلى العراق في عشر ذي الحجة ومعه طائفة من آل بيته رجالاً ونساء وصبياناً، فكتب يزيد إلى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد يأمره بقتاله، فوجه إليه جيشاً أربعة آلاف، عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فخذله أهل الكوفة كما هو شأنهم مع أبيه من قبله، فلما أرهقه السلاح عرض عليهم الاستسلام أو الرجوع أو المضي إلى يزيد فيضّع يده في يده فأبوا إلا قتله، فقتل وجيء برأسه في طست حتى وُضع بين يدي ابن زياد، لعن الله قاتله وابن زياد معه ويزيد أيضاً، وكان قتله بكرلاء يوم عاشوراء، وفي قتله قصّة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون»^(١).

ومما سبق يتضح أنّ السيوطي أبرز دور النصائح التي أسداها الصحابة كابن عمر وابن عباس بلزوم رجوعه، كما أبرز اعتماد الحسين عليه السلام على أهل الكوفة، وكان يرى أنّ فلسفة ثورة كربلاء هي الاستيلاء على مقاليد الحكم.

وسار على هذا النهج محبّ الدين الخطيب المصري، الذي كانت له حاشية على كتاب (العواصم من القواصم)، فهو بعد نقله ضراعات كبار الصحابة للحسين عليه السلام بلزوم رجوعه قال: «فلم يفد شئ من هذه الجهود في تحويل الحسين عن هذا السفر الذي كان مشؤوماً عليه وعلى الإسلام وعلى الأُمّة الإسلامية إلى هذا اليوم وإلى قيام الساعة، وكل هذا بجناية شيعته الذين حرّضوه بجهل وغرور ورغبة في الفتنة والفرقة والشر ثم خذلوه بجبن ونذالة وخيانة وغدر»^(٢).

أمّا الشيخ الخضري فإنّه عقّب على حادث قتل الحسين عليه السلام، قائلاً: «وعلى الجملة أنّ الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جرّ على الأُمّة وبال الفرقة والاختلاف،

(١) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: هامش ص ٢٣٧.

وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا، وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران في القلوب، فيشتدّ تباعدها، وغاية ما في الأمر أن الرجل طلب أمراً لم يتهياً له، ولم يعد له عدته، فحبل بينه وبين ما يشتهي، وقُتل دونَه، وقبل ذلك قُتل أبوه، فلم يجد من أقلام الكاتبين من يشع أمر قتله، ويزيدون نار العداوة تأجيحاً، والحسين قد خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر عنه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار الخلاف حتى يكون في الخروج مصلحة للأمة»^(١).

مناقشة وتحليل

تراوحت هذه النظرة بين ادّعاء طلب الخلافة أتباعاً للدين والسنة النبوية، وبين الاستيلاء على مقاليد الحكم بأيّ ثمن ولو على خلاف السنة، وقد ذهب ابن خلدون والسيوطي إلى أن المهمة الشرعية للإمام عليه السلام هي نفخ روح الثورة ضدّ بني أمية، وإعادة الخلافة إلى جادة الصواب، وأنّ قرار الإمام عليه السلام لم يكن محبداً شرعاً فحسب، بل لا يرد عليه أيّة خدشة، وعلى خلاف ذلك ذهب ابن العربي وأتباعه إلى أنّ الهدف من ثورة كربلاء هو الاستيلاء على مقاليد الحكم، حيث أبرز دور النصائح التي قدّمت له من قبل ابن عمر وآخرين، ووجد في عدم الإصغاء لها دليلاً على حبّ السلطة والجاه، وبذلك أثار شكوكاً حول شرعية تلك الحادثة العظيمة في التاريخ، وعن هذا الطريق أبدى أسفه للإمام الحسين عليه السلام.

دوافع هذه النظرة

تتضح أبعاد هذه النظرة من خلال دراسة الجوانب المختلفة والمتعدّدة لأتباع هذه النظرة بدقّة، ومواقفهم وآرائهم بخصوص نهضة كربلاء، وإجراءات الإمام

(١) الخضري، محمد، تاريخ الأمم الإسلامية: ج ٢، ص ٢٣٥.

الحسين عليه السلام من جهة، ونظرتهم لمسألة الخلافة ويزيد والأمويين من جهة أخرى، وعلى الرغم من أن هذه الأبعاد قد تقدّم الحديث عنها ونقدها بنحو تفصيلي، إلا أنه تلزم الإشارة إليها ولو بنحو موجز في المقام لما يقتضيه الموضوع:

١- إنَّ يزيد بن معاوية هو خليفة المسلمين، ولا يجوز مخالفته شرعاً، ومقام الخلافة تسمح له بالوقوف بوجه كلِّ مَنْ أراد الخروج عليه، وأنَّ ما قام به يزيد في كربلاء جائزٌ شرعاً.

٢- اعتمدت ثورة الحسين عليه السلام على أهل الكوفة المعروفين بالغدر والخديعة، وقد بذل كبار الصحابة النصيحة للإمام عليه السلام، إلا أنه رفض حتى وقع ما تنبأ به الصحابة، عندئذٍ أدرك الإمام عليه السلام مغزى النصائح التي قدّمت له.

٣- لم يلتفت الإمام الحسين عليه السلام إلى تجربة أمير المؤمنين عليه السلام مع أهل الكوفة وما لاقاه الإمام الحسن عليه السلام منهم حينما قبل دعوة أهل الكوفة عبر رسلهم وكتبهم، ولم يعتبر من الماضي.

مناقشة هذه النظرة

إنَّ النقطة الأولى تشكك بشرعية قيام الإمام عليه السلام ونهضته، وقد تقدّم نقدها في مبحث تحت عنوان: (شرعية خلافة يزيد) وتمّ من خلال الاعتماد على الوثائق التاريخية إثبات النقاط التالية:

١- لم يكن يزيد حائزاً على الشروط الأساسية للخلافة، كالعدالة والفقاهة المعتبرة وأقرّ أهل السنة بهذا المعنى، وطبقاً للوثائق التاريخية والحديثية والفقهية فإنَّ يزيد لم يكن فاسقاً فحسب، بل كان كافراً، ولم يملك أدنى معرفة بالتعاليم الإسلامية اللازمة وغير اللازمة للخلافة، من هنا فأغلب علماء أهل السنة أفتوا بجواز لعنه وكفره، واقترافه موبقات عظيمة، فلا يجوز نقل الحديث عنه.

٢ - انتقال الحكم من معاوية إلى يزيد خلافاً للسيرة الرائجة عند أهل السنة، في وقت أبدى معظم الناس كراهتهم له، ذلك أن البيعة يزيد تمت بتهديد وخداع، وقد ذهب معظم أئمة المذاهب الإسلامية إلى أن البيعة المأخوذة عن مكر وخداع لا قيمة قانونية لها، كما لا تترتب عليها آثار شرعية، هذا إلى جانب أن تنبؤات النبي ﷺ بشأن بني أمية بوجه عام، ويزيد وأعوانه بوجه خاص، ومكانة الحسين بن علي عليه السلام ومنزلته لدى رسول الله ﷺ وضرورة نصرته، لا يبقى معها أي شك في سلب شرعية خلافة يزيد وضرورة الإطاحة به من منظار الشارع.

٣- كما تقدّم في ثورة كربلاء ومقولة الاجتهاد، فإنّه لم يكن بين أمراء يزيد وجنده من يُعتبر من أصحاب الاجتهاد، وعلى فرض وجود القابلية لدى بعضهم، فلم اعتبروا - بشهادة التاريخ - مواقف الحسين عليه السلام على حقّ، وأظهروا الندم جراء قتل الإمام عليه السلام؟ ومما يجدر ذكره أنّ من بذل النصح للإمام عليه السلام لم يشكّ بمشروعية كربلاء قط، إلّا عبد الله بن عمر، فإنّه تلقّى حركة الإمام عليه السلام في سبيل الدنيا ونيل الجاه وفقاً لبعض التقارير المجعولة، وبالطبع فإنّ هذا الموقف منه ينسجم مع موقفه من يزيد وردّ فعله السلبي حيال بيعته له، وأخيراً بايع يزيد بفعل سياسة الترهيب والترغيب التي مُورست في حقّه، وهو القائل عندما طُلب منه مبايعة يزيد: «بائع من يلعب بالقروء والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق، ما حجّتنا عند الله؟!»^(١).

و«لما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد، فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد، قال ابن عمر: هذا أراد، إنّ ديني - إذن - علي لرخيص. وامتنع»^(٢).

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤١. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٢٦٩.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٥١-٣٥٢.

هذه الكلمات تدلّ بوضوح على نقطتين:

الأولى: موقف ابن عمر من الناحية الشرعية المناوئ ليزيد، حيث يعتبر يزيد طاغوتاً ومواجهته مشروعة.

الثانية: مخالفته لخروج الحسين عليه السلام وموافقته ليزيد فيما بعد، فإنّ هذا الموقف منه يدلّ على تسويات تمّت وراء الكواليس بفضل الهدايا والصّلات، وافتقاره لأيّة قيمة دينية واجتهادية.

٤- إنّ اتّهام الحسين عليه السلام بطلب الجاه والسلطة لا يتّفق والصورة التي عكسها أهل السنة عنه عليه السلام، فقد ذكروا في مروياتهم أنّه عليه السلام كان يصليّ ألف ركعة في اليوم^(١). وقد وصفه ابن الزبير بقوله: «أما والله، لقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أما والله، ما كان يستبدل بالقرآن الغناء والملاهي، ولا بالبكاء من خشية الله اللغو والحذاء، ولا بالصيام شرب المدام وأكل الحرام، ولا بالجلوس في حلق الذكر طلب الصيد»^(٢).

وفضلاً عن ذلك، فإنّ ما توهّمه الخضريّ ينقضه ما ثبت من أنّ الحسين عليه السلام خرج من مكة برفقة رجالٍ لا يتجاوز عددهم الثمانين، ومثل هذا العدد لا يكفي للخروج على مدينة، فكيف بدولةٍ مترامية الأطراف، كما أنّه لم يحاول أن يستكثر من الأعوان، فحينما بلغه مقتل مسلم بن عقيل أعلن صراحةً لمنّ معه، قال لهم: خذلتنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف من غير حرج، وليس عليه منّا ذمام. فتنفّرق عنه الناس يميناً وشمالاً حتى بقي فيمنّ معه من مكة.

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٣١. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٤١.

إنَّ الحسين بن علي عليه السلام منزّه عن تلك التّهم، لا لمكانته القريبة من رسول الله صلّى الله عليه وآله فحسب، بل لتنبؤات النبي صلّى الله عليه وآله بشأن حادثة عاشوراء ودعوة المسلمين إلى نصرته^(١).

نظرة عقلانية لفلسفة عاشوراء

من جملة متبَيّات تلك النظرة هي افتقار ثورة كربلاء للعقلانية اللازمة، وعدم إدراك الظروف الاجتماعية والسياسية والقبلية للمسلمين، لا سيما أهل الكوفة، وغياب الإخلاص في صفوفهم تجاه مبادئ الثورة.

إنَّ أتباع هذه النظرة أشاروا إلى أنَّ الإمام عليه السلام لم يولِ اهتماماً لنصائح الصحابة، ولم يأخذ العِبَر ممَّا آل إليه أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام.

لا شكَّ أنَّ المنازعة على الخلافة أمرٌ بعيد عن الصواب؛ ذلك لأنَّ التأمّل في كلمات الحسين عليه السلام وردود فعله تجاه تلك النصائح، وخطبه التي ألقاها منذ ابتداء سيره من مكة إلى كربلاء، تدلُّ على أنَّ قائد ثورة عاشوراء قد نظر إلى القضايا بوعيٍّ أشمل، ومعرفةٍ أعمق من معرفة الناصحين له، وعلى هذا الأساس شرع بحركته التاريخية الخالدة، من هنا فهذه النظرة مجانبة للواقع^(٢).

(١) الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى عن مناقب ذوي القربى: ص ١٤٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١٧.

(٢) وفي هذا الصدد قال حسين محمد يوسف في كتابه سيّد شباب أهل الجنة: ص ٤١٨: «إنَّ القول بخروج الحسين كان بقصد المنازعة على الخلافة بعيد عن الحقيقة الواقعة، ومع أنَّ أهمَّ كتب السير والتاريخ قد تضمّنت من الأنباء الصادقة والروايات الصحيحة ما ينفيه تماماً ويهدمه من أساسه، فقد تناقله كثير من الكتاب والمؤرّخين، ولعلَّ الدافع إلى انتشار هذه الأسطورة مع عدم واقعيّتها هو أنّه ليس فيها ما يستدعي الغرابة والإنكار، أو ما يغضّ من كرامة الحسين ومقامه، فهو بلا شكَّ كان جديراً بالخلافة، ولا مجال للمقارنة بينه وبين الصحابة في ذلك الحين، فكيف بمقارنته بمن لم يحظَ بشرف صحبة سيّد الخلق صلّى الله عليه وآله، بل كيف بمقارنته بيزيد نفسه؟ ومن ثمَّ فلو أنَّ سيّد شباب أهل الجنة كان حقّاً يسعى إلى الخلافة، فهو بذلك إنّما كان يسعى إلى مصلحةٍ عامةٍ ولا شكَّ فيها، كما أنَّ خروجه على يزيد إنّما كان خروجاً في سبيل الله تعالى، له ما يبرّره من الأسباب، وما يدعمه من الدوافع. (المترجم).

١- «لم يَغْتَرِ الحسين بأهل الكوفة، وذلك:

أولاً: كان على علمٍ تامٍّ بطبيعتهم، وسبق أن حذّر أخاه محمد بن الحنفية من الانخداع بهم، فلم يكن خروجه إليهم لثقتهم فيهم أو اعتماده عليهم في إخراج الأمر من يزيد، وإنما كان اضطراراً تفادياً للخطر الذي يتهدّده، وحرصاً على حرمة البيت الحرام أن تُهدر قدسيّتها.

ثانياً: إنّ الحسين لم يُفاجأ بعد وصوله كربلاء بنقض أهل الكوفة لعهدهم وانحيازهم إلى ابن زياد، فقد بلغه كلّ ذلك وهو في منتصف الطريق، وكان على علمٍ به قبل وصوله بأيام، فقد أخبر به مَنْ معه وأذن لهم بالانصراف عنه دون حرج، واستمرّ بعد ذلك في طريقه، وليس معه سوى الحفنة التي صحبتته من مكة، فدَلَّ ذلك أنّه لم يخرج اعتماداً على أهل الكوفة، أو اغتراراً بوعودهم^(١). وكان عليه السلام يقول لناصحيه: «يا عبد الله، إنّهُ ليس يخفى عليّ ما رأيْت، ولكن الله لا يُغلب على أمره»^(٢).

ولهذا السبب لم ينس عليه السلام بنت شفة عن انتصار حركته، وعن توزيع المناصب، وتجهيز جيش، ولم يتجاهل سطوة يزيد، ولم يخطو خطوات نحو بذل الوعود للناس، بل كان يقول: «أما والله، إنّني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قُتِلنا أم ظفرنا»^(٣).

فلو كان هدفه الانتصار العسكري من خلال الاعتماد على أهل الكوفة والاستيلاء على زمام الأمور، لكان بمجرد سماعه نبأ استشهاد مسلم بن عقيل والتغير المفاجئ لمواقف أهل الكوفة والذي يصبّ في صالح يزيد وعبيد الله بن زياد، لكان كلّ ذلك يضعف إرادة الإمام عليه السلام وعزيمته على المضي في نهضته الإصلاحية، بينما نجد أنّ هذا

(١) يوسف، حسين محمد، سيّد شباب أهل الجنة: ص ٤٣٢.

(٢) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٣٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٦.

الخبر لم يُوهن عزمه على التصدي للظلم اليزيدي فحسب، بل مضى بإرادة صلبة، وواصل مسيره نحو العراق. وعليه؛ إنّ الزعم بأنّ الحسين عليه السلام استهدف من خروجه تقويض دعائم حكم يزيد هو زعمٌ فاسد، مصدره الجهل بمجريات الأمور أو غشاوة حالت دون رؤية الحقيقة والنور.

٢- إلى جانب كلّ ذلك، كان للحسين عليه السلام نظرةٌ ثاقبة وفهم عميق للأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في المجتمع، وأدّل على ذلك هو أنّ الوليد بن عقبة والي المدينة بعث إلى الحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير بعد هلاك معاوية، «فقال عبد الله بن الزبير للحسين: ظنّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها، فقال حسين: قد ظننت أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر»^(١).

٣- إنّ تكهّنات الإمام عليه السلام بعزم بني أمية على قتله - وخلافاً لوجهات النظر الأخرى - تدلّ على وعيه العميق بالمستقبل، ونظراته الفاحصة لقضايا المجتمع ومسائله السياسية، كما دلّت وقائع التاريخ على أنّ قضية قتل الحسين عليه السلام لم تكن متوقّعة حتى لدى بعض أمراء جند يزيد حتى آخر اللحظات، ولكنّ الإمام عليه السلام قد توقّع ذلك منذ البداية، من خلال التأمّل في أهداف وبرامج بني أمية، وهذا الأمر وخلافاً لتوقّعات الآخرين جاء وفقاً لتكهّنات الإمام الحسين عليه السلام.

٢- المهمة الشخصية والخاصة

ذهب بعض علماء السنة والجماعة إلى أنّ الظروف ليست سانحة لمثل هذه الحركة بعد نقلهم لمواقف الصحابة - مثل: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن العباس - الداعية إلى

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ص ٢٥١.

ثني الإمام عليه السلام عن سيره نحو العراق وتحذيره من مغبة القيام بوجه يزيد، ثم وصلوا إلى قناعة هي أن السبط الشهيد عليه السلام كان قد أسندت إليه مهمة خاصة مع الأخذ بنظر الاعتبار شخصيته العلمية والاجتماعية والدينية المرموقة، وإطلاعه الواسع بمجريات الأمور، لا سيما وضع أهل الكوفة، وقد أُلهم ذلك من رؤيا رآها عن النبي صلى الله عليه وآله يأمره فيها بالخروج إلى العراق، فقد كتب إلى عبد الله بن جعفر يقول:

«أما بعد، فإن كتابك ورد عليّ فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أنّي رأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، فخبّرني بأمر وأنا ماضٍ له، لي كان أو عليّ، والله، يا بن عمي، لو كنتُ في جحر هامةٍ من هوام الأرض لاستخرجوني ويقتلونني، والله يا بن عمي، ليعتدّن عليّ كما اعتدت اليهود على السبت»^(١).

ويذهب أصحاب هذه النظرة إلى أنّ لثورة الحسين بن علي عليه السلام منطقتها الخاص، ومن هذا الباب قام بها، رغم افتقارها إلى التبرير أو المنطق الذي يمكن على ضوءه الدفاع عنها، ومَن ذهب إلى ذلك محمد عزة دروزة^(٢)، وإبراهيم علي شعوط^(٣).

دوافع هذه النظرة

انطلقت هذه النظرة من حديث ورد فيه أنّ الحسين عليه السلام قال: «إنّي رأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي فخبّرني بأمر وأنا ماضٍ له، لي كان أو عليّ»^(٤)، ومثله أنّ الحسين عليه السلام قال لأخيه محمد بن الحنفية: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين، اخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً، فقال محمد بن الحنفية: إنّ الله وإنّا إليه

(١) ابن أعمش الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٧٤.

(٢) أنظر: ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: هامش ص ٢٢٦.

(٣) أنظر: شعوط، إبراهيم علي، أباطيل يجب أن تُمحي من التاريخ: ص ٢٤٨.

(٤) ابن أعمش الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٧٤.

راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال لي: إن الله قد شاء أن يراهنّ سبايا^(١).

مناقشة هذه النظرة

لا تخلو هذه النظرة من إشكالات، ولا يمكن أن تكشف عن فلسفة ثورة كربلاء، ولا أن تكون معياراً لتقييم تلك الثورة ومعرفة أبعادها؛ وذلك:

أولاً: ثمة استفسارات عديدة تحوم حول ثورة كربلاء والنهضة التاريخية لأبي الأحرار الحسين بن علي عليه السلام دون إجابة، ويمكن الإشارة إلى الاستفسارات التالية، وهي إذا كانت فلسفة الثورة الحسينية ورؤيا الإمام الحسين عليه السلام هي ما أشارت إليه تلك النظرة:

- فلماذا لم يمكث الإمام عليه السلام في المدينة ولم يرتضِ قتله وأسر عياله فيها؟

- لماذا لم يقيم في مكة مدة أطول ويرضى بقتله وأسر عياله فيها؟

- لماذا سار إلى الكوفة؟ وكيف يمكن تبرير سيره نحوها بدعوة من أهلها؟

ثانياً: إنّ الروايات المذكورة لم ترد في المصادر المتقدمة والمعتبرة لدى أهل السنة، ولا أثر لها في روايات الطبري عن أبي مخنف الأزدي، ولم ترد في مصادر مثل الفتوح لابن أعمش الكوفي، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، والإرشاد، ومقتل الخوارزمي، ولهذا السبب لا يمكن الركون إلى اعتبارها، وفي صورة وجود مثل هذه الأخبار في المصادر التاريخية والحديثية، فإنّها لا تصمد أمام كلمات الحسين عليه السلام وخطبه وكتبه التي أوضح فيها معالم ثورته وأسباب حركته التاريخية الكبرى.

ثالثاً: إضافةً إلى خطب الحسين عليه السلام وكتبه التي وردت في مصادر أهل السنة، والتي

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٦٠.

أوضح فيها فلسفة ثورته، فإنَّ ثَمَّةَ كلماتٍ أخرى وردت على لسانه، تلخّص فلسفة حركته نحو الشهادة، وأنَّه تكليفٌ خاصٌّ موجّه له لا تنسجم مع تلك الكلمات، أليس الخضوع للجبر واختصاص هذه المهمة به يسلب نموذجيتها وكونها أسوة يُحتذى بها؟! رابعاً: إنَّ قبول تعلّق إرادة الله باستشهاد الحسين عليه السلام وأسر عياله لا يخالف الفلسفة السياسية والدينية والاجتماعية لثورة كربلاء، ويمكن عرض تلك الإرادة كجزء من الفلسفة المذكورة في إطار الظروف الدينية والسياسية والاجتماعية، وفي الواقع فإنَّ الأبعاد المختلفة لفلسفة تلك النهضة يمكن لها وضع تفسير منطقي وهادف للتقدير الإلهي، ومن خلال ضمِّ سائر الوثائق التاريخية والمأثورة عن الإمام عليه السلام إليها تتضح بشكلٍ أفضل أبعاد الفلسفة الشمولية لنهضة عاشوراء.

٣. رفض مبايعة يزيد وابن زياد

لم يتحرّر بعض علماء أهل السنة الدقّة حين الحديث عن فلسفة ثورة كربلاء ممّا حصروا نطاقها في ردود الفعل حيال رفض مبايعة يزيد والزول على حكم عبيد الله، على الرغم من عدم ابتعادهم عن جاذبة الصواب حينما تحدّثوا عن شخصية الإمام الحسين عليه السلام، وخصوصيات يزيد وسجلّه الأسود وعدم أهليته للخلافة، ولا يخلو كلامهم في هذا السياق من إبهام.

إنَّ النكتة التي ينبغي أن لا تتعد عن الأذهان أنَّ هؤلاء عقدوا اختزال فلسفة ثورة كربلاء في رفض المبايعة ليزيد بصورة مباشرة أو غير مباشرة بندم يزيد وحزنه وإحسانه لأُسارى كربلاء، مستهدفين من وراء ذلك الإشارة إلى عدم رضی يزيد بما جرى في كربلاء، وأنَّ العداوة للحسين عليه السلام لم تبلغ الحدّ الذي جرى عليه في كربلاء، وبالطبع فقد كرّسوا طلب الحسين عليه السلام بالأمان والصلح دعماً لوجهة نظرهم.

كما ذهبوا إلى الاعتقاد بأنَّ الحسين عليه السلام حمل دعوة أهل الكوفة محمّل الجدد، وركن

إليها لما سار إلى الكوفة، بيد أنه بعد استشهاد مسلم بن عقيل سفيره وابن عمّه في الكوفة طرأ تغيير في موقفه من خلال:

- العودة إلى المدينة.

- اللجوء إلى ثغر من ثغور المسلمين.

- مبايعة يزيد لا النزول على حكم ابن زياد.

وقد فرض ابن زياد على الإمام عليه السلام الحرب التي لا مفرّ منها إلا بالتسليم، إلا أنّ الإمام عليه السلام لم يرضخ لهذا الذلّ، ورفض مدّيد البيعة والتسليم لابن زياد.

هذا إلى جانب أنّ حفنةً من أهل السنة نُوّهت بالقرابة التي أشار إليها يزيد بين بني هاشم وبني أميّة، عبر نقل تقارير لا أصل لها من بعض المصادر، ورد فيها حسن معاملة يزيد للأسرى، وحزنه على الحسين عليه السلام، واعتبرت ذلك دليلاً آخر على ذلك الزعم، وهو أنّ فلسفة عاشوراء تلخّصت في رفض الإمام عليه السلام مبايعة ابن زياد، وتشدّد موقف ابن زياد.

من هنا فقد دعا يزيد على ابن زياد، وفي الواقع فإنّ الحسين عليه السلام إذا كان قد بايع ابن زياد أو اكتفى ابن زياد ببيعة الإمام عليه السلام ليزيد دونه لما حدثت فاجعة كربلاء، ولما شهد يوم عاشوراء عام (٦١هـ) تلك الحماسة الخالدة^(١).

مناقشة وتحليل

تبتني هذه النظرة على ثلاثة عناصر، هي:

الاعتماد على أهل الكوفة، مبايعة الحسين عليه السلام ليزيد، وعدم رضى يزيد بقتل

(١) أنظر: ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٤١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المستظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٥، ص ٢٤٢. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٦٠.

الحسين عليه السلام وإبداء حزنه في هذا الصدد وحسن معاملته مع أسرى فاجعة كربلاء. ويُستخلص من التأمل في المصادر التاريخية زيف تلك العناصر الثلاثة، وبالتالي تقويض دعائم هذه النظرة وتعريضها من أية قيمة علمية.

الأول: كما تقدّم فإنّ الإمام عليه السلام أدرك من غيره بأهل الكوفة وغدرهم، كيف وقد بلغ نقضهم للعهود من الشهرة بمكان لم يكن خفياً، وعليه فمن البعيد أن تبني فلسفة ثورة كربلاء على أكتاف أهل الكوفة ودعوتهم.

الثاني: إنّ الاقتراح المزعوم بقبول الإمام الحسين عليه السلام مبايعة يزيد قد أبطله معظم المؤرّخين، فقد نقل الطبري عن عبد الرحمن بن جندب عن عقبة بن سميان، قال: «صحبت حسيناً، فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا في الطريق ولا بالعراق ولا في عسكره إلى يوم مقتله إلّا وقد سمعتها، ألا والله، ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنّه قال: دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس»^(١).

وهذا الأمر أدّى بأبي بكر بن العربي ومحمد عزة دروزة إلى الاعتراف بهذه الحقيقة، وهي أنّه من الثابت أنّ الحسين عليه السلام رفض مبايعة يزيد ولم يساوم على هذا الموقف البتة.

الثالث: إنّ حزن يزيد وندمه لم يكن سوى تظاهر وخداع، وقد صرّح مؤرّخو أهل السنة أنّ يزيد أخذ ينكت الرأس الشريف بقضيب في يده، وكاد أن يبيع بنات الإمام عليه السلام ويهدينّ، إلّا أنّه في ظلّ ما قام به الأسرى خاصّة الإمام السجاد عليه السلام وعمّته السيدة زينب عليها السلام انتبه أهل الشام من غفلتهم، وتبدّل المشهد إلى غضب عارم ضدّ يزيد

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٤.

وطغمته، وأرغم على التظاهر بالحزن والألم والندم^(١).

٤. الثأر لدم مسلم بن عقيل

من الانحرافات التي وجدت طريقها إلى بعض المصادر التاريخية لأهل السنة، هي طلب بني عقيل الثأر لمسلم بن عقيل بموافقة الحسين بن علي عليه السلام، فقد أورد الطبري في بعض مما نقله من الحوادث والأخبار المتعلقة بسفر الإمام عليه السلام إلى العراق: «قال بكير بن المثعب: لم أخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، فرأيتهما يجران بأرجلهما في السوق... فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما، فردد ذلك مراراً... فوثب عند ذلك بنو عقيل بن أبي طالب وقالوا: لا والله، لا نبرح حتى ندرك ثأرنا أو ندوق ما ذاق أخونا. فنظر الحسين وقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء. قال الراوي: فعلمنا أنه قد عزم له رأي على المسير»^(٢).

دراسة ومناقشة هذه النظرة

هذه النظرة وبحسب معتقدات علماء السنة أوهن من أن تجذب نحوها الأنظار، وأن يركن إلى أخبارها؛ ذلك لأنها تبتني على أخذ الثأر والحقد الشخصي، وأن الإمام عليه السلام نزل عند رغبة بني عقيل مُطلقاً نداء الانتقام، في الوقت الذي لم تتوفر فيه الظروف المناسبة لأخذ الثأر؛ وذلك:

أولاً: ورد في المصادر الأولى لأهل السنة - وكما تقدّم - أن الحسين عليه السلام من أهل بيت النبوة الذي قال عنهم ربُّ العزة والجلالة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٥٧، وص ٤٦٢، وص ٤٦٤. السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ١٨٥.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٩٧-٣٩٨.

عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُهُ تَطْهِيرًا^(١)، كما وردت أحاديث نبوية في أنّ الحسين عليه السلام سبط من الأسباط، وسيد شباب أهل الجنة، وأنه بضعة مني، ومن أحبّ حسيناً فقد أحبّني، لذلك فهل من المعقول أن تكون ثورته واستشهاده وأسر ذويه بداعي الانتقام وأخذ الثأر؟!

ثانياً: لم تصرّح المصادر التي بين أيدينا بتردد الحسين عليه السلام أو وهنه أبان سيره نحو الكوفة، كي يكون استشهاد مسلم بن عقيل سبباً للمضي بعزم واستئناف المسير، بل كانت له أهداف واضحة وعزيمة راسخة منذ بداية مسيره إلى الكوفة، ولم يبد أي شك أو تردد أبداً لا في مكة ولا عند وصوله كربلاء وحتى عاشوراء، بل كان راسخ العزيمة ثابت الشكيمة.

ثالثاً: إنّ نسبة أخذ الثأر للحسين بن علي عليه السلام إضافة إلى ما يعتريها من شبهة عقدية ودينية فإنّها تتضمن شبهة عقلية، وهي غياب الشروط المناسبة لأخذ الثأر والانتقام؛ ذلك لأنّ وصول نبأ استشهاد مسلم بن عقيل قد كشف النقاب عن عدم وفاء أهل الكوفة وغدرهم وخيانتهم، ممّا أدّى إلى حصول اطمئنان لدى عامّة الناس بتراجع نسبة النجاح في هذه الثورة، ومع وجود هذا الاطمئنان حول الظروف غير السانحة والتنبؤ بفشلها، فكيف يمكن في ظلّ تلك الظروف القاهرة الحديث عن أخذ الثأر؟ وهل لأخذ الثأر في تلك الظروف مفهوماً سوى الانتحار؟ وهل يمكن تصور صدور مثل هذا الموقف من جانب قائد خبير وبصير كالحسين عليه السلام، مع ما يتمتع به من مكانة مرموقة؟

رابعاً: إنّ هذه النظرة لا تتفق مع مواقف الإمام عليه السلام وأقواله وخطبه في مواطن

عديدة؛ ذلك لأنه كشف في تلك الخطب والأقوال أهداف وفلسفة نهضة عاشوراء للجميع وللتاريخ، ولم يشر فيها قط إلى الثأر لدم مسلم بن عقيل. وإذا كان الانتقام لدم مسلم بن عقيل عاملاً أساسياً أو أحد عوامل ثورة كربلاء، فلا بد من جعله في أولويات أهداف الثورة التي نادى بها الإمام عليه السلام، وإعلان ذلك على لسانه أو لسان أحد أصحابه في يوم عاشوراء وضبطه في التاريخ.

٥. الإبهام وغموض الفلسفة

على الرغم من أن بعض علماء أهل السنة قد صرّحوا باكتناف فلسفة ثورة عاشوراء الغموض، أو خلوها من أية مصلحة دينية ودنيوية، إلا أنهم عادوا وطرحوا - مباشرة أو إيماءً - فلسفتها، وأنها انطلقت تلبيةً لدعوة أهل الكوفة بهدف استنهاض همهم للإطاحة بأركان الجور والتعسف المتمثلة بيزيد وطغمته، والاستيلاء على مقاليد الحكم.

وفي النتيجة، تنكشف فلسفة ثورته عليه السلام من معظم الكلمات والخطب التي ألقاها الإمام عليه السلام وأصحابه، التي ذكرتها أمّهات مصادر أهل السنة كتاريخ الطبري، وتاريخ اليعقوبي، وآثار المسعودي، وابن أعثم الكوفي، وأبي فرج الأصبهاني، وابن الجوزي، والخوارزمي، وسائر المصادر، ومن ادّعى الإبهام والغموض فيها فهذا ينم عن عدم وعيه أو جهله المطبق بتلك الحادثة.

٦. تحقيق العدالة الاجتماعية

من الآراء المطروحة حول فلسفة ثورة كربلاء في أوساط أهل السنة لا سيما المثقفين منهم، هو أن ثورة عاشوراء قامت ضدّ طبقة ثرية وظالمة، بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية وتحقيق مصالح الطبقة المعدومة.

وقد أبدى المجدّدون من أهل السنة - خاصّةً في القرن الأخير - تحليلاً لهذه الواقعة

المهمة، انطلاقاً من تأثرهم بالأفكار الشيوعية والاشتراكية، حيث قاموا بتحليلها إلى مواجهة بين طبقة حاكمة وأخرى محكومة، وطبقة متمولة وأخرى معدومة، وطبقة ظلمة وأخرى مظلومة، قبل أن ينظروا إليها نظرة دينية، استناداً إلى المباني الإسلامية، وأنها حركة ناضلت من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية، وقد كتب أحد المحققين في هذا الصدد، يقول: «وجد في أوساط أهل السنة من الكتّاب الجدد، الذين وضعوا صورة مقبولة قابلة للتأمل عن نهضة أبي الأحرار، والاعتقاد السائد بينهم أنّ حركة الحسين عليه السلام ليست حادثة مقطعية صغيرة، بل إنّ عاشوراء هي مواجهة الطبقات المحرومة والمظلومة ضد الطبقات الثرية والظالمة، فتلك الثورة هي في الواقع نضال طبقي تدعو إلى تحرير المحرومين من جور طبقة مستثمرة رأسمالية»^(١).

وقد مال إلى هذا الاتجاه محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وطه حسين، ومحمد كامل البناء، وخالد محمد خالد، وسيد علي جلال الحسيني، ومحمد الغزالي، وآخرون، ونظروا إلى هذه الثورة من البوابة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية، واعتبار ثورة كربلاء حركة الفقراء ضدّ الأثرياء، أو حركة الطبقة السفلى ضدّ الطبقة العليا.

مناقشة وتحليل

من الطبيعي أنّ التفسير المادّي والاقتصادي البحت للنهضة الحسينية بعيدٌ عن الإنصاف، ولا ينسجم مع أهداف النهضة والواقع التاريخي والاجتماعي السائد آنذاك؛ ذلك لأنّ:

أ- قيادة هذه الثورة تأبى أن تُلَطَّخ أهدافها النبيلة بقضايا مادية واقتصادية، بل كان الحسين عليه السلام مثلاً أعلى في الزهد والطهارة والتقوى، على الرغم من أنّ العدالة

(١) الإمام الخميني رحمته الله وثقافة عاشوراء: ص ١٤٩.

الاجتماعية والاقتصادية كانت تشكّل أحد أهدافه الرئيسة، لكن ليس بمقدورها أن تكون حافزاً لثورته، ولم تكن الكوفة أكثر فقراً واستضعافاً من سائر المدن، كالبصرة ومكة وخراسان وسيستان ومصر، من هنا فهذه النظرة تفتقر إلى سندٍ تاريخي.

ب - إنّ الموافقين لهذا الرأي لم يأخذوا في الحسبان رسائل الإمام عليه السلام وأصحابه وخطبهم وكتبهم، حيث لم ترد فيها أية إشارة إلى موضوع النضال الطبقي والاقتصادي، وعليه فلا تعضد هذا الرأي الوثائق والأسانيد التاريخية، ممّا يحطّ من قيمته العلمية.

ج - ومع كلّ ذلك، لا يمكن إبعاد مسألة العدالة عن فلسفة نهضة كربلاء، وربّما تكون من جملة القيم التي نادى الإمام عليه السلام بإحيائها فيما لو تحقّقت الأهداف العليا والمنشودة لتلك النهضة، بما في ذلك سيادة العدالة الاجتماعية، والتخلّص من برائن نظام قضيية الظالم.

فلسفة ثورة كربلاء من منظور الإمام الحسين عليه السلام

يمكن استخلاص أهداف عديدة، وفلسفة شمولية لهذه الثورة التاريخية الكبرى، كفيلةٌ بتجاوز الشبهات والاستفسارات المتعلقة بها، من خلال دراسة كلمات الحسين عليه السلام في مصادر أهل السنة.

تعدّ ثورة كربلاء من أهمّ الظواهر الاجتماعية، ولها أبعاد مختلفة كسائر الظواهر الاجتماعية؛ إذ تنطوي على فلسفة شمولية، وبالتأكيد فإنّ تجاهل هذه الشمولية والتركيز على بعدٍ واحد، يعدّ أكبر عائق يحول دون فهم فلسفة تلك الثورة، هذا إلى جانب أنّ الاقتصار على الشمولية وملاحظة مختلف جوانبها لا يكشف تمام الحقيقة، بل الأهمّ من ذلك هو إعطاء السهم المناسب لكلّ حسب استحقاقه.

وعلى أية حال، فقد كشف الحسين عليه السلام النقاب عن فلسفة خروجه في كلماته،

والبعد الذي أكد عليه من بين سائر الأبعاد هو أداء التكليف الإلهي والواجب الديني، وقد صرح بذلك عند جوابه لعبد الله بن جعفر، حيث قال: «وأمرت بأمر وأنا ماضٍ له»^(١)، وعندما صادف عسكر الحر بن يزيد في مسيره من مكة إلى الكوفة وحمله على تغيير وجهة سيره، خاطب أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعلٍ ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيري»^(٢).

ثم إنّه عليه السلام في أثناء سيره قام بذي حسم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها، واستمرت جدّاً، فلم يبقَ منها إلّا صباغة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً»^(٣).

وقد بيّن الحسين عليه السلام في الخطبة الأولى أسباب مختلفة لثورته، كما عدّ مشكلات مجتمعه المتعاضمة ومعضلاتها المتفاقمة، وفي الواقع فقد فرض عليه الواجب الإلهي والتكليف الديني مجابهة:

- الحاكم الظالم.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٩٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٠٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٠٥.

- تفشي الحرام والبدعة.
- نقض العهود والمواثيق الإلهية.
- الجور والتعسف ضد الناس.
- إِمَاطة السنّة.
- وتطرق في خطبته الأخرى إلى:
- ترك العمل بالحقّ.
- ترك التناهي عن الباطل.
- والواجب يحتم على كلّ مؤمن الجهاد والاستعداد للتضحية؛ ذلك لأنّ الحياة مع الظالمين ليست إلّا ذلًّا، والموت في سبيل مكافحة الباطل ليس إلّا سعادة.
- وقد صرّح الإمام (عليه السلام) - كما تقدّم - بأهداف نهضته في كلماته، ولم ترد فيها إشارة إلى دعوة أهل الكوفة، إنّما ذكرت حين خطاب عسكر يزيد، وبعد أن شاهد نقض العهد قال: «قد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم ببيعتمكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تمتم علي ببيعتمكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من اغترّب بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصبيكم ضيّعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم»^(١).

والحاصل يمكن من خلال دراسة كلمات وخطب الحسين (عليه السلام) قائد هذه الثورة التاريخية العظيمة تشطير فلسفتها إلى شطرين:

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ص ٣٠٤.

أسباب رئيسة متمثلة في عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأسباب تعجيل.

أ. الأسباب الرئيسية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

كان أهمّ أهداف وفلسفة عاشوراء هو إجراء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمنكر المتمثل في النظام السياسي الفاسد لا بدّ من تقويضه، باعتباره من أهمّ أولويات وأهداف تلك النهضة، وبالتأكيد لم يكن تحقيق ذلك بمستبعد، خاصّةً فيما لو تكاثف أهل الكوفة على هذا الهدف، بيد أنّ نقضهم العهد لم يغيّر من سلّم الأولويات شيئاً، فقد استهدف الإمام عليه السلام الواجهة الدينية لذلك النظام الفاسد وشعار خلافته لرسول الله صلى الله عليه وآله، من خلال توضيحته وأصحابه، وتيسّر له إيصال رسالته إلى المسلمين عامّة، وهي عدم جدارة يزيد لتولّي مسند الخلافة، وأنّ التبعية له تبعية للشيطان، والاجتناب عن طاعته طاعة للرحمن، وقد خطى الإمام عليه السلام الخطوة الأولى نحو الإطاحة بالنظام اليزيدي والخلافة الأموية، وتحّدّى من خلال نهضته الحماسية الواعية الخلفيات العقائدية والشرعية ليزيد والخوف والجهل والانزهاض المتفشّي بين الناس.

١ - إقامة نظام الحقّ

من الطبيعي أنّ الإمام عليه السلام كان يملك برنامجاً بعد الإطاحة بالنظام الأموي، وكان قد طرح إقامة خلافة أهل البيت عليهم السلام على أنقاض الحكم الأموي، حيث كان يقول: «ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء، المدّعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان»^(١).

فكان برنامج الحكمي المقترح المتجسّد بخصوصيات أهل البيت عليهم السلام بديلاً للنظام

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ص ٣٠٣.

الأموي التعسفي، أي أنّ وضع الولي العادل بدل السلطان الجائر كان على رأس الأولويات والبرامج والسياسات.

٢ - إحياء الدين وقيمه

كان الحسين عليه السلام بصدد إحياء الدين عبر إجراء الأحكام الإلهية، ودحر خط الشيطان والسياسات المنبثقة منه، وحاول إرساء دعائم ثورته على تلك الأهداف في مقابل نظام بني أمية، والميل نحو الشيطان والإعراض عن الرحمن.

٣ - تحقيق الإصلاح

لقد تفشّى الفساد في النظام الأموي، والدائرين في فلكه مظهرين له، ممّا جعل الإمام عليه السلام ينادي أثر ذلك بالإصلاح الذي يعدّ ركيزة أساسية في فلسفة ثورته، كي يسود النظام شؤون المجتمع، ويبتعد عن الفساد الاقتصادي والسياسي والثقافي.

٤ - الالتزام بالمواثيق الإلهية

إنّ الله سبحانه بعث الأنبياء - خاصّةً رسول الله صلى الله عليه وآله - ليأخذ على البشر المواثيق والعهود، والعمل بعهود الله والالتزام بالتوحيد الإلهي، ونفي الشرك، وإجراء العدالة، والاجتناب عن الظلم والجور والتعسف والتمييز.

٥ - إحياء السنة النبوية

كان للنبي صلى الله عليه وآله سيرة وسنة واضحة في قيادة الأمة الإسلامية وتبليغ الدين، لكن للأسف اعتراها النسيان تدريجاً بعد وفاته، حتى بلغ الأمر في عهد يزيد أنّه لا نشاهد أي أثر لتلك السنة في الحاكم الإسلامي أو ولاته، والمسلمون آنذاك أيضاً قد ابتعدوا عنها وعن قيمها، وفي هذا الخضم بذل الإمام عليه السلام الجهد لإحياء تلك السنة، وتطبيق سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله كعنصر من عناصر فلسفة ثورته، كيف لا وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وخليفته في الدين والعلم.

٦ - إجراء الحدود

عُطِّلَت الحدود الإلهية أبان حكم يزيد، ممّا حدا بالإمام عليه السلام إلى جعل إجراء الحدود الإلهية من أهداف ثورته، وفقاً للنصّ القرآني الصريح ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(١)، إذ لا يستقرّ الأمن إلّا في ظلّه.

٧ - العدالة الاجتماعية

كان الحسين عليه السلام يعتقد أنّ التفضيل في الفيء، والتميز في بيت المال من النقاط السوداء والمنكرة في الحكم الأموي ويزيد، من هنا فقد نادى نهضة عاشوراء بتحقيق العدالة، ورفض النظام الاستعماري الطبقي الفاسد، ومقت العبودية والتميز العنصري، وعلى ضوء هذه المسؤولية الكبرى ناهض الحسين عليه السلام جور الأمويين، وناجز مخططاتهم الهادفة إلى استعباد الأمة وإذلالها ونهب ثرواتها.

٨ - نشر ثقافة الشهادة

كان من خصوصيات حكم يزيد تحليل الحرام وتحريم الحلال من جهة، وبث روح الانهزام بين الناس في ظلّ نظام ظالم قمعي وسلطان جائر من جهة أخرى، وقد أصرّ الإمام عليه السلام حتى آخر لحظة من حياته على ردّ المفاسد والمنكرات، ونشر ثقافة الشهادة بهدف مكافحتها، وقام أسرى آل محمد عليهم السلام بمواصلة نشر وتبليغ تلك الثقافة وتكريسها على أحسن ما يرام، ولم تكن مبايعة يزيد تنسجم مع تلك الأهداف؛ لذا كانت الإطاحة به أو الاستشهاد في هذا السبيل من جملة أهمّ أهداف الإمام عليه السلام.

(١) البقرة: آية ١٧٩.

ب- أسباب التعجيل

- ١ - كان طلب يزيد من عامله الوليد بن عقبة أخذ البيعة من الحسين عليه السلام عنوةً من أسباب تعجيل الثورة واختزال زمن وقوعها.
- ٢ - كانت دعوة أهل الكوفة للحسين عليه السلام من الأسباب التي عجّلت في تلك الثورة، ولم تكن هذه الدعوة الأولى من نوعها، فقد دعوه إلى الخروج إليهم زمن معاوية، وكان عليه السلام يأبى، ولو كانت تلك الدعوة من الأسباب المصيرية لأعلنت الثورة منذ ذاك الحين، ولما بويع يزيد عزم الإمام عليه السلام على المسير إليهم، وجعل الكوفة مسرحاً لثورته، وقد لعبت تلك الدعوة دوراً مؤثراً في تعجيل وقائع الثورة.

الفصل الرابع
يزيد بن معاوية وفاجعة كربلاء
إدانة أوبراءة

يزيد بن معاوية وفاجعة كربلاء

إدانة أو براءة

من الموضوعات المطروحة في أوساط أهل السنة هي إدانة أو براءة يزيد بن معاوية في مسألة شهادة الحسين عليه السلام وفاجعة كربلاء، وقد بذلت ثلّة من أهل السنة الجهد وبأساليب مختلفة من أجل تنصيع صورة يزيد وإثبات فقاوته وعدالته وديانته، وقد دعاها هذا الأمر إلى إنكار أي دور ليزيد في شهادة الحسين عليه السلام وأصحابه.

أول تشكيك

لعلّ أول من تردّد من أهل السنة إزاء دور يزيد في شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه هو أبو حامد محمد الغزالي، حيث اتخذ موقفاً صريحاً إزاء لعن يزيد، قائلاً: «فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنّه قاتل الحسين أو أمر به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يقال: إنّ قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة»^(١).

وقد وردت كلمات تصرّح ببراءة يزيد من دم الحسين عليه السلام: «يُروى أنّ يزيد دمعت عيناه لما حمل إليه رأس الحسين، وقال لحامله: أما والله، لو أنّي صاحبه لعفوت عنه، فرحم

(١) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ج ٣، ص ١٣٥.

الله الحسين، أما والله، يا حسين، لو أنا صاحبك ما قتلتك... وذكر الطبري أنه لما دخل على ابن زياد عشاءً آل الحسين أمر لهم بمنزل، وأجرى عليهم رزقاً، وأمر لهم بنفقة وكسوة، ثم سائرهم إلى يزيد»^(١).

كما التزم محمد عزة دروزة ببراءة يزيد حينما قال: «إنه ليس هناك ما يبرر نسبة قتل الحسين إلى يزيد، فهو لم يأمر بقتاله فضلاً عن قتله، وكل ما أمر به أن يُحاط به ولا يُقاتل إلا إذا قاتل، ومثل هذا القول يصح بالنسبة لعبيد الله بن زياد، فكل ما أمر به أن يُحاط به ولا يُقاتل إلا إذا قاتل، وأن يُؤتى به إليه ليضع يده في يده، أو يبايع يزيد صاحب البيعة الشرعية، بل إن هذا ليصح قوله بالنسبة لأمرأ القوات التي جرى بينها وبين الحسين وجماعته قتال، فإنهم ظلوا ملتزمين ما أمروا به، بل كانوا يرغبون أشد الرغبة في أن يعاقبهم الله من الابتلاء بقتاله فضلاً عن قتله، ويبدلون جهدهم في إقناعه بالتزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد، فإذا كان الحسين أبى أن يستسلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون، وقاوم بالقوة، فمقابلته و قتاله صار من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغاً»^(٢).

الإجابة عن هذه الشبهة

يمكن الإجابة عن شبهة براءة يزيد وعبيد الله بن زياد من جريمة كربلاء من زاويتين:

الزاوية الأولى: هل ليزيد اليد الطولى في قتل الإمام الحسين عليه السلام؟
الزاوية الثانية: كيفية معاملة يزيد وأمرأ جنده مع عيال الحسين عليه السلام في الكوفة والشام، وإليك التفصيل:

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: هامش ص ٢٤١.

(٢) دروزة، محمد عزة، تاريخ الجنس العربي: ج ٨، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

الأولى: يتّضح من خلال مراجعة التاريخ وكلمات علماء أهل السنة، أنّ إدانة يزيد بفاجعة كربلاء ممّا لا غبار عليه، وقد بلغت تفاصيل حوادث كربلاء من التواتر بمكان لا يجاريه قبول الغزالي بتواتر قتل ابن ملجم الإمام علي عليه السلام وقتل أبي لؤلؤة عمر^(١). إنّ المصادر التاريخية - وكما تقدّم - لا يساورها أي تردّد حيال ارتكاب يزيد جريمة قتل الحسين عليه السلام وأصحابه، وقد كتب اليعقوبي عن هلاك معاوية واعتلاء يزيد العرش، يقول: «كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - وهو عامل المدينة -: إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث لي برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، والسلام»^(٢).

وقد نقل حوار الحسين عليه السلام مع الوليد والي يزيد على المدينة، وردّ فعل مروان بن الحكم الذي يمكن أن نستوحي منه نصّ كتاب يزيد، وهو أمره الصريح بقتل الحسين عليه السلام فيما إذا امتنع عن البيعة، لما قال مروان للوليد: «احبس الرجل فلا يخرج من عندك، حتى يبايع أو تضرب عنقه»^(٣).

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)

وقد نقل الطبري حوادث استشهاد الحسين عليه السلام ومجيء يزيد للحكم بنحو لا يبقى معه شكّ في ارتكاب يزيد لتلك الجريمة، وإليك مقاطع من كلماته، والتي تعبّر عن وجهات نظره في هذا الشأن:

(١) أنظر: الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ج ٣، ص ١٣٥.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤١.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٣١٧.

١- ما فهمه مروان والوليد من كتاب يزيد

نقل الطبري أنه لما مات معاوية واعتلى يزيد الحكم، أعلن يزيد إلى الولاة موت معاوية وبداية حكمه، وأمرهم بأخذ البيعة، وفي هذا الخضم كتب إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة كتاباً جاء فيه: «فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام»^(١).

هذا الكتاب رغم أنه لم يذكر صراحة قتل الإمام الحسين عليه السلام، إلا أنه يدل على جواز قتل كل من خالف بيعة يزيد، وهذا ما فهمه مروان بن الحكم أحد المقرّبين من يزيد، من هنا بعد أن رفض الإمام عليه السلام مبايعة يزيد قال مروان للوليد: «والله، لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتل بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب عند ذلك الحسين، فقال: يا بن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟! كذبت والله وأثمت... فقال مروان للوليد: عصيتني، لا والله لا يمكّنك من مثلها من نفسه أبداً، قال الوليد: وبخ غيرك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله، ما أحب أن لي ما طلعت الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وأني قتلت حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً إن قال: لا أبايع؟! والله، إنّي لا أظنّ امرأً يُحاسب بدم الحسين لحفيف الميزان عند الله يوم القيامة»^(٢).

٢- عزل الوليد بن عتبة

بعد أن وصل إلى مسامع يزيد أن الوليد لم يمثل ما أشار عليه مروان بن الحكم من أخذ البيعة من الحسين عليه السلام عنوة أو قتله، عزله ونصب محله عمر بن سعيد، وهذا دليل

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٣٨.

(٢) المصدر السابق: ج ٤، ص ٢٥١-٢٥٢.

آخر على إرادة يزيد قتل الحسين بن علي عليه السلام^(١).

٣- الطبري ونقله تصريح الحسين عليه السلام

و لقد نقل الطبري في موضع آخر ما صرح به الحسين عليه السلام عندما سأله بعض المسلمين، حيث أشار إلى أن يزيد لا يرضى إلا بقتله، وإن الخطربات يهدده حتى إذا مَدَّ يد البيعة ليزيد، مثلما فعل أبوه معاوية عندما أبرم معاهدة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام، إلا أن هذا لم يُثن معاوية عن كيد الدسائس له حتى دس له السم وقتله^(٢).

٤- موارد أخرى

وقد نقل الطبري موارد أخرى تدل على أن يزيد استهدف من وراء التصدي للخلافة تصفية الحسين عليه السلام، ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى كتاب المدح والإطراء الذي بعثه إلى ابن زياد بمناسبة قتله مسلم بن عقيل، كما أنه حذّره من الحسين عليه السلام، وأمره بالتباعد سياسة صارمة تجاهه، مخوّلاً إيّاه صلاحيات واسعة^(٣).

وقد أشارت معظم النصائح - التي أسداها الصحابة إليه أمثال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر - إلى تعرّضه للقتل هو وأبنائه فيما لو أصرّ على رفض مبايعة يزيد، ومن هذا الباب حاولوا ثنيه عن المضي في مسيره^(٤).

٥- قتلة الحسين عليه السلام وتنفيذ أوامر يزيد

نقل الطبري أن جند الكوفة والشام كانوا رهن إشارة يزيد، ولا هدف لهم سوى

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠١

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٥، ص ٣٤٣.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ج ٥، ص ٣٨٠ - ٣٨١.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ج ٥، ص ٣٨٣.

المضي وفق إرادته، وأنَّ أمراء جنده بذلوا الطاعة له بهدف الوصول إلى مآربهم الدنيوية. فإذا لم يكن يزيد قد أصدر أوامره بقتل الحسين عليه السلام، لما ملك عمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وخولي وآخرين الجرأة على تنفيذ تلك الجريمة، وقد تردّد البعض في تنفيذ أوامر يزيد رغم أوامره الصريحة، ذلك أنَّهم وجدوا أنفسهم في مقابل الحقِّ وإرادة الله سبحانه، وغلبتهم الحيرة في اختيار الحقِّ أو الباطل والدنيا أو الآخرة، فاختاروا الدنيا ويزيد على الآخرة والحسين عليه السلام، وبعد دخول أسراء كربلاء على ابن زياد في دار الإمارة في الكوفة، قام بالإطراء على جنده لما قاموا به من نصرة يزيد، ثمَّ وعدهم بالمزيد من الهبات والعطايا عند الحضور في مجلس يزيد^(١).

٦- فرح يزيد وسروره بقتل الحسين عليه السلام

لقد وقع الطبري في تهافت واضح لما نقل تظاهر يزيد بالندم أمام الرأي العام من جهة، ولما نقل فرح يزيد بقتله الحسين عليه السلام من جهةٍ أخرى^(٢). وكان ردُّ فعله عنيفاً على أبياتٍ أشدها يحیی بن الحكم، والتي نسب فيها جريمة كربلاء إلى ابن زياد، وأصبح بصدد تبرير قتله للحسين عليه السلام وأصحابه في مجلس ضمَّ أشرف الشام، وإليك نصُّ ما

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٥٨.

(٢) قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ص ٢٦٠: «فرح يزيد فرحاً عظيماً لما قتل الحسين عليه السلام، واستدعى ابن زياد، وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة، وقرب مجلسه ورفع منزلته، وأدخله على نسائه وجعله نديمه، وسكر ليلةً، وقال للمغني: غنّ، ثمَّ قال يزيد بديهاً:

ثمَّ مل فاسقٍ مثلها ابن زياد

اسقني شربةً تروي فؤادي

ولتسديد مغممي وجهادي

صاحب السرِّ والأمانة عندي

ومبيد الأعداء والحساد».

قاتل الخارجي أعني حسينا

ذكره الطبري: «لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد وفيها رأس الحسين، قال يزيد: يفلّقن هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلماً فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم - وكان جالساً مع يزيد -: لهامٌ بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل سمية أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل ف ضرب يزيد في صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت، ثمّ دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله، ثمّ دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه، فأدخلوا عليه والناس ينظرون، فقال يزيد لعلي بن الحسين: أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقّي ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت»^(١).

علي بن الحسين المسعودي (المتوفى ٣٤٥هـ)

نقل المسعودي الذي يعدّ من كبار المؤرّخين، والذي ظلّت بصماته واضحة على من جاء بعده من المؤرّخين أمثال عبد الرحمن بن خلدون في مقدّمته المعروفة، فقد نقل أنواع المنكرات التي اقترفها يزيد واختياره ابن زياد لأداء مهام خاصّة، من جملتها قتل الحسين عليه السلام، كما أورد فرح يزيد بقتل الحسين عليه السلام قائلاً: «بعث ابن زياد إلى يزيد رأس الحسين، فوضع الرأس بين يديه فأقبل ينكت القضيّب في فيه، ويقول:

نفلق هاماً من رجالٍ أحبّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلماً

فقال له أبو برزة: ارفع قضيبك، فطالما - والله - رأيت رسول الله ﷺ يضع فمه على فمه

يلثمه»^(٢).

(١) سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ج ٤، ص ٣٥٢.

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج ٣، ص ٦١.

أحمد بن أعثم الكوفي (المتوفى ٣١٤هـ)

نقل هذا المؤرخ كتاب يزيد إلى الوليد بن عتبة: «أما بعد، فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزبير، فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبداً ما دام حياً، وليكن مع جوابك إليّ رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعتة الخيل، ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر والنعمة واحدة، والسلام.

فلما ورد الكتاب على الوليد بن عتبة وقرأه تعاضم ذلك، وقال: لا والله، لا يراني الله قاتل الحسين بن علي، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذاقها»^(١).

كما نقل ابن أعثم دخول سبايا أهل البيت إلى مجلس يزيد بمزيد من التفصيل، قائلاً: «ثم أتى بالرأس حتى وُضع بين يدي يزيد بن معاوية في طشتٍ من ذهب، فجعل ينظر إليه... ثم دعا بقضيب خيزران، فجعل ينكت به ثنايا الحسين وهو يقول: لقد كان أبو عبد الله حسن المنطق. فأقبل إليه أبو برزة الأسلمي، فقال له: يا يزيد، ويحك! أنتنكت بقضيبك ثنايا الحسين وثغره؟! أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه، ويقول: أنتم سيّد شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكم ولعنه وأعدّ له نار جهنم وساءت مصيراً، أما إنك يا يزيد، لتجيء يوم القيامة وعبيد الله بن زياد شفيعك، ويجيء هذا ومحمد صلى الله عليه وآله شفيعه. قال: فغضب يزيد وأمر بإخراجه، فأخرج سحياً. وجعل يزيد يتمثل بأبيات عبد الله بن الزبيري، وهو يقول:

ليت أشياخي بيذر شهدوا وقعة الخزرج من وقع الأسل

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٨.

لأهلوا واسـتهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تسل
حين ألقت بقناة بر كهـا واستحر القتل في عبد الأشل
فجزيناهم بيـدر مثلهـا وأقمنا مثل بدر فاعتدل^(١).
ثمّ زاد فيه هذا البيت من نفسه، فقال:
لست من عتبة إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٢).

عز الدين بن الأثير (٥٥٥. ٦٣٠هـ)

أشار في موارد متعدّدة إلى إدانة يزيد في فاجعة كربلاء، وصرّح مثل سائر المؤرّخين بقتل الحسين عليه السلام على يد يزيد، كما صرّح في موارد عديدة أنّ معاوية كان قد هدّد الحسين عليه السلام بالقتل إذا لم يبايع يزيد، وأخيراً نفّذ يزيد ذلك في كربلاء عام (٦١هـ)، وقد أورد ابن الأثير: «أنّ معاوية دخل على عائشة، وقد بلغها أنّه ذكر الحسين وأصحابه، فقال: لأقتلنهم إن لم يبايعوا. فشكاهم إليها فوعظته، وقالت له: بلغني أنّك تتهدّدهم

(١) وقد نقل الآلوسي في تفسيره: أنّه لما ورد نساء الحسين وأطفاله والرؤوس على الرماح، وقد أشرفوا على ثنية جيرون، فلما رآهم يزيد نعب غراب، قال يزيد:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فلقد قضيت من النبي ديوني

بمعنى أنّه قتل بمنّ قتله رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر كجدّه عتبة وخاله ولد عتبة، وهذا كفرٌ صريح، وإلى هذا أشار ابن عباس في كتاب بعثته إلى يزيد حيث قال: يا يزيد، إنّ من أعظم الشّاة حملك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأطفاله وحرمة من العراق إلى الشام أسارى مجلوين مسلوين، ترى الناس قد رتك علينا، وأنّك قد قهرتنا واستوليت على آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي ظنك أنّك أخذت بثأر أهلك الكفرة الفجرة يوم بدر، وأظهرت الانتقام الذي كنت تخفيه، والأضغان التي تكمن في قلبك كمنون النار في الزناد.. فالويل لك من ديان يوم الدين. أنظر: الآلوسي، محمود بن عبد الله، تفسير روح المعاني: ج ٢٦، ص ٧٢. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٦١.

(المترجم).

(٢) ابن أعمش الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٠.

بالقتل، فقال معاوية: هم أعزّ من ذلك، ولكنّي بايعت ليزيد وبايعه غيرهم، أفترين أن أنقض بيعه قد تمت»^(١).

وقد نقل كتابي يزيد إلى الوليد بن عتبة والي المدينة، أخبره في الكتاب الأوّل بموت معاوية، ودعاه في الثاني إلى أخذ البيعة له من الحسين بن علي عليه السلام، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بكلّ حزمٍ وشدة، ثمّ نقل استشارة الوليد لمروان بن الحكم، بعد أن أعرض عنه وصرمه بسبب عزله وتعيين الوليد محلّه حيث قال له مروان: «لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبسه فإن بايع وإلاّ ضربت عنقه»^(٢)، ثمّ أورد رأي الوليد الذي نقله الطبري وآخرون، كما نقل لقاء الإمام عليه السلام بالفرزدق حيث قال: «لما انتهى الحسين إلى الصفاح لقيه الفرزدق الشاعر، فقال له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحبّ، فقال له الحسين: بين لي خبر الناس خلفك، قال: الخبير سألت، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أميّة، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

فقال الحسين: صدقت، لله الأمر يفعل ما يشاء وكلّ يوم ربّنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يعتدّ من كان الحقّ نيّته، والتقوى سريره»^(٣).

كما أورد في موضع آخر فرح يزيد بقتل الحسين عليه السلام، ونكته بقضيبيّ ثنايا أبي عبد الله الحسين عليه السلام وثغره، وقد أدان بهذا التقرير يزيد لقتله الحسين عليه السلام^(٤)، وأورد جواب

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٠٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٨.

(٣) المصدر السابق: ص ١٥٠.

(٤) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٧٦-٥٧٧.

الوليد لمروان لما قال: «لا والله، لا يراني الله قاتل الحسين بن علي، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله ﷺ ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها»^(١).

شمس الدين الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ)

قام شمس الدين الذهبي ببيان حادثة قتل الحسين عليه السلام على يد يزيد، ثم أورد أخباراً عن رسول الله ﷺ تنبأ فيها باستشهاده، وكان منها ما روي: «عن أنس قال: استأذن ملكٌ على النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: يا أُمّ سلمة، احفظي علينا الباب، فجاء الحسين فاقترحم وجعل يتوَّب على النبي ﷺ ورسول الله يقبله، فقال الملك: أتجبه؟ قال: نعم، قال: إن أُمتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه، قال: نعم، فجاءه بسهولةٍ أو ترابٍ أحر. قال ثابت: كنّا نقول: إنها كربلاء»^(٢).

وقد وصف الذهبي يزيد بقوله: «كان ناصبياً، فظاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرة، فمقته الناس، ولم يُبارك في عمره»^(٣).

هذه النصوص التاريخية التي نقلناها عن مؤرخين معروفين لا تدع مجالاً للشك بإدانة يزيد في جريمة كربلاء، وأنّ شذاذ الآفاق من أهل الكوفة قد أقدموا على تلك الجريمة عن كرهٍ وجبرٍ؛ لأنّهم كانوا يبادق بيد بني أمية لتنفيذ إرادة يزيد، وعليه، فإنّ ما ذكره مروان بن الحكم لوالي المدينة جاء وفق رغبات يزيد في كتابه الذي بعثه إليه، إلّا أنّ الوالي تذرّع بحجج أخرى لعدم قتله الحسين عليه السلام.

(١) المصدر السابق: ج ٣، ص ٥٣٢.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٨٩.

(٣) المصدر السابق: ج ٤، ص ٣٨.

وقد تبع ابن خلدون - وكما تقدّم - الغزالي وابن العربي^(١) في بعض الموارد، إلّا أنّه لم يكن يرى رأيهما في براءة يزيد، بل ذهب إلى إدانته بهذه الجريمة، وعدّ ذلك من المسلّمات التاريخية، التي لا يتسرّب إليها الشك قائلًا: «ولا تقولنّ إنّ يزيد وإن كان فاسقاً ولم يحز هؤلاء الخروج عليه فأفعاله عندهم صحيحة، واعلم أنّه إنّما ينفذ من أعمال الفاسق ما كان مشروعاً، وقاتل البغاة من شرطه أن يكون مع الإمام العادل، وهو مفقود في مسألتنا، فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد، بل هي من فعلاته المؤكّدة لفسقه، والحسين فيها شهيدٌ مثاب، وهو على حقّ واجتهاد»^(٢).

وقد أشار جلال الدين السيوطي وهو من علماء ومؤرّخي أهل السنة إلى كتاب يزيد إلى واليه في العراق، وقال: «كتب يزيد إلى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد بقتاله، فوجّه إليه جيشاً أربعة آلاف، عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، فخذله أهل الكوفة كما هو شأنهم مع أبيه من قبله.. فقتل وجيء برأسه في طست حتى وضع بين يدي ابن زياد، لعن الله قاتله وابن زياد معه ويزيد أيضاً، وكان قتله بكر بلاء، وفي قتله قصّة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون»^(٣).

والحاصل: إنّ إلقاء نظرة خاطفة على النصوص التاريخية وكلمات علماء أهل السنة حول حادثة كربلاء تكشف لنا أنّ أغلب علماء أهل السنة لم يلعنوا يزيد فحسب وكفروه، بل اعتبروه قاتلاً للحسين عليه السلام وأصحابه في يوم عاشوراء عام (٦١هـ)، كما ذهب معظم الباحثين المعاصرين وحتى المخالفين للعن يزيد، إلى أنّ قتل الحسين عليه السلام

(١) حكى الشبراوي الشافعي عن ابن حجر المكي في شرح الهمزية: «إنّ كلاهما - الغزالي وابن العربي - قد بالغ في تحريم سبّه ولعنه، لكنّ كلاهما مردود؛ لأنّه مبنيّ على صحّة بيعة يزيد لسبقها، والذي عليه المحقّقون خلاف ما قاله». الشبراوي، عبد الله بن محمد، الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ١٧٧. (المترجم).

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدّمة ابن خلدون: ص ٢١٨.

(٣) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ٢٤٧.

صدر بأوامر مباشرة من يزيد نفسه، إلا أنهم قاموا بتبرير هذه الجريمة النكراء من جهات مختلفة بهدف إبعاد تهمة الكفر عنه.

الثانية: إنَّ معاملة يزيد وعبيد الله في الكوفة مع سبايا أهل البيت عليهم السلام يعدّ شاهداً آخر على ضلوعهما في قتل الحسين عليه السلام وفرحهما بذلك، وقد أوردت مصادر أهل السنة دخول السبايا إلى مجلس ابن زياد في الكوفة:

«لما وُضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد جعل طست، وجعل يضرب ثناياه بالقضيب، وكان عنده زيد بن أرقم، فقال له: ارفع قضيبك، فوالله، لظالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل ما بين هاتين الشفتين، ثم جعل زيد يبكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، لولا أنك شيخٌ قد خرفت لضربت عنقك، فنهض زيد، وهو يقول: أيها الناس، أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتُم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، والله، ليقتلنَّ أخياركم، وليستعبدنَّ شراركم، فبعداً لمن رضى بالذل والعار»^(١).

وقد تكرر ذلك في مجلس يزيد، وقد أثارت مواقف يزيد المشينة تجاه رأس الحسين عليه السلام وعياله تعجّب ابن الجوزي من منكري لعن يزيد، وقال: «ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين، وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر، وحمل الرؤوس إليه، إنّما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه، وحمل آل الرسول سبايا على أقتاب الجبال، وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها، وإنشاده أبيات ابن الزبيرى: (ليت أشياخي بديرٍ شهدوا...) وردّه الرأس إلى المدينة، وقد ظنَّ أنّه تغيّرت ريحه وما كان مقصوده إلاّ الفضيحة وإظهار رائحة الرأس، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟! أليس بإجماع المسلمين أنّ الخوارج والبغاة يُكفنون ويُصلّى عليهم ويدفنون؟! وكذا قول

(١) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٣١.

يزيد: لي أن أسبيكم، لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين قولاً يقنع لقائله وفاعله باللعنة، ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية وأضغان بدرية لاحترام الرأس لما وصل إليه ولم يضربه بالقضيب، وكفنه ودفنه وأحسن إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله ^(١).

كما أدان التفتازاني في شرح العقائد النسفية يزيد على قتله الحسين عليه السلام وقال: «اتَّفَقُوا على جواز اللعن على مَنْ قتل الحسين أو أمر به أو أجازه أو رضى به، قال: والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانته أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مما تواتر معناه، وإن كان تفصيله آحاداً، وقال أيضاً: نحن لا نتوقّف في شأنه، بل في كفره وإيمانه (لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه)» ^(٢).

وقال في موضع آخر: «إنّ ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ، والمذكور على ألسنة الثقات، يدلّ بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن الطريق الحقّ، وبلغ حدّ الظلم والفسق، وكان الباعث له الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرئاسة، والميل إلى اللذات والشهوات، إذ ليس كلّ صحابي معصوماً، ولا كلّ من لقي النبي صلى الله عليه وآله بالخير موسوماً، إلّا أن العلماء لحسن ظنّهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنّهم محفوظون عمّا يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين عن الزيغ والضلالة في حقّ كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار، والمبشرين بالثواب في دار القرار، وأمّا ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، إذ تكاد تشهد به الجماد والعجماء، ويكي له مَنْ

(١) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٦٠.

(٢) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب: ج ١، ص ٦٨.

في الأرض والسماء، وتنهّد منه الجبال وتنشق الصخور، ويبقى سوء عمله على كَرّ الشهور ومَرّ الدهور، فلعنة الله على مَنْ باشر أو رضى أو سعى، ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى، فإن قيل: فمن علماء المذهب مَنْ لم يُجَوِّز اللعن على يزيد مع علمهم بأنّه يستحقّ ما يربوا على ذلك ويزيد، قلنا: تحامياً عن أن يرتقي إلى الأعلى فالأعلى كما هو شعار الروافض على ما يروى في أدعيتهم ويجري في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إجماع العوام بالكلية طريقاً إلى الاقتصاد في الاعتقاد، وبحيث لا تزلّ الأقدام على السواء، ولا تضلّ الأفهام بالأهواء، وإلاّ فمَنْ يخفى عليه الجواز والاستحقاق، وكيف لا يقع عليهما الاتفاق»^(١).

يزيد وحسن معاملته للسبايا

وردت في بعض المصادر التاريخية أخبار دالة على حسن معاملة يزيد للسبايا، وغضبه على عبيدالله، وإن كانت هذه الأخبار غير مشهورة ومشكوكة، إلاّ أنّها استقبلت من قبل عدّة، حتى تُساء الاستفادة منها لتبرئة يزيد، ومنها ما نقله أبوبكر ابن العربي: «ثمّ أمر بإنزالهم في داره، وأمر لهم بما يصلحهم، وكان لا يتغدّى ولا يتعشى إلاّ عليّ معه، ثمّ أمر النعمان بن بشير أن يجهّزهم بما يصلحهم، ويسيرهم إلى المدينة مع أناسٍ صالحين»^(٢).

وقال عزة دروزة في هذا الصدد: «هذا يجعل الروايات الواردة في حسن معاملة عبيد الله بن زياد، ثمّ يزيد لابن الحسين الصغير وبناته ونسائه، واستيلاء يزيد لقتله وبكائه عليه، ومشاركة أهله نساءً ورجالاً في ذلك، أصحّ من تلك التي تذكر قسوتها وجفاءها إزاءهم، ولا سيما أنّه لم يكن هناك قتالٌ شديد يثير نقمةً وانفعالاً يمتدّ أثرهما إلى النساء والأطفال،

(١) التفتازاني، سعد الدين، شرح المقاصد: ج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٢) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: هامش ص ٢٤٠.

وكل ما وقع على غير إرادتهم بل وعلى مضض منهم»^(١).

الإجابة عن الشبهة

أ - أول إجابة لهذه الشبهة هي أنّ أخبار حسن معاملة يزيد لم ترد في جميع المصادر التاريخية، ولا يستبعد جعلها من قبل مؤرّخي البلاط الأموي مع الأخذ بنظر الاعتبار الحجم الهائل للأخبار الموضوعة والمجعولة التي تسربت إلى التراث الحديثي.

ب - هذه الأخبار لا تنسجم مع الأوامر الصريحة ليزيد بقتل الحسين عليه السلام وأصحابه، وقد ذهب بعض علماء أهل السنة كسبط ابن الجوزي والتفتازاني إلى أنّ الروايات الواردة في قتل يزيد للحسين عليه السلام، وإظهاره الفرح والسرور بلغت حدّ التواتر المعنوي فلا تصمد أمامها تلك الأخبار الضئيلة.

ج - مع صرف النظر عن الإشكالات السابقة، فإنّ الأخبار الدالة على حسن معاملة يزيد للسبائا تستبطن تهافتاً واضحاً يسقطها عن الاعتبار.

ويتلخّص هذا التهافت في أنّها تدلّ على حسن معاملة يزيد للسبائا من جهة، ولعنه واستيائه من ابن زياد من جهة أخرى، بينما استفاد منها محمد عزة دروزة لإثبات العلاقات الوطيدة التي تجمع بين يزيد وابن زياد وأمراء جنده، حتى بلغ الأمر أنّه أصدر لهم صكوك البراءة من تلك الجريمة، لما قال: «إنّه ليس هناك ما يبرّر نسبة قتل الحسين إلى يزيد، فهو لم يأمر بقتاله فضلاً عن قتله، وكلّ ما أمر به أن يُحاط به ولا يُقاتل إلّا إذا قاتل، ومثل هذا القول يصحّ بالنسبة لعبيد الله بن زياد، فكلّ ما أمر به أن يُحاط به ولا يُقاتل إلّا إذا قاتل، وأن يؤتمن به إليه ليضع يده في يده أو يبايع يزيد صاحب البيعة الشرعية، بل إنّ هذا ليصحّ قوله بالنسبة لأمراء القوات التي جرى بينها وبين الحسين وجماعته قتال،

(١) دروزة، محمد عزة، تاريخ الجنس العربي: ج٨، ص ٣٨٤.

فإنّهم ظلّوا ملتزمين ما أمروا به، بل كانوا يرغبوه أشدّ الرغبة في أن يعاقبهم الله من الابتلاء بقتاله فضلاً عن قتله، ويبدلون جهدهم في إقناعه بالنزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد، فإذا كان الحسين أبى أن يستسلم ليدخل فيها دخل فيه المسلمون، وقاوم بالقوة، فمقابلته وقتاله صار من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغاً^(١).

د - وأهمّ إجابة لتلك الشبهة هي أنّ الروايات المتواترة التي أشارت إلى سوء معاملة يزيد للسبائا تتعلق برود فعله الأولى التي صدرت بملء إرادته وبعيداً عن الضغوط الخارجية، إلّا أنّه لما استفاق أهل الشام من غفلتهم وخداعهم من قبل الإعلام الأموي المضلل بسبب أنشطة أهل البيت عليه السلام وبيان حقيقة كربلاء، انقلب الوضع على يزيد وجهازه الأموي، وازداد التذمّر والكراهية له في أوساط الرأي العام، وتمكّن أهل البيت عليه السلام في ظل الصبر والتبليغ الصادق من الإصحاح بالحقيقة، وكشف النقاب عن مؤامرات بني أميّة وأكاذيبهم، ممّا أثار فزع يزيد فتظاهر بالندم أمام أهل الشام للحيلولة دون غضبهم وثورتهم، منوهاً بقرابته للحسين عليه السلام من خلال العلاقات القبلية التي كانت تجمعهم في الجاهلية، وبدأ يذرف دموع التماسيح ملقياً مسؤوليّة تلك الجريمة على ابن زياد، الأمر الذي أدّى إلى تسرّعه في إرسال أهل البيت عليه السلام من الشام إلى المدينة، للحدّ من تلك الفضيحة والكراهية.

وفي هذا الصدد يقول ابن الأثير: «ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، وزاده ووصله وسرّه ما فعل، ثمّ لم يلبث إلّا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له، ولعنهم وسبّهم، فندم على قتل الحسين، وكان يقول: وما عليّ لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي في داري، وحكّمته فيما يريد وإن كان على في ذلك وهنّ في سلطاني، حفظاً

(١) دروزة، محمد عزة، تاريخ الجنس العربي: ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

لرسول الله صلى الله عليه وآله، ورعاية لحقه وقرابته، لعن الله ابن مرجانة، فإنه اضطره، وقد سأله أن يضع يده في يدي أو يلحق بثغر حتى يتوفاه الله فلم يجبه إلى ذلك فقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البر والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، مالي ولا بن مرجانة؟! لعنه الله وغضب عليه»^(١).

والنقطة الأخيرة هي أن ادعاء ابن العربي وأتباعه ببراءة يزيد من قتل الحسين عليه السلام وحز رأسه لا يجلب لهم نفعاً؛ حيث إن السبب الرئيس والدور المحوري لوقوع حادثة كربلاء وأمثالها يعود إلى أول من أصدر الأوامر مباشرة بذلك.

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٩٠.

الفصل الخامس
كرامات ومعطيات ثورة كربلاء
من المنظور السني

كرامات ومعطيات ثورة كربلاء من المنظور السني

من المباحث المهمّة المطروحة في المصادر التاريخية لأهل السنة حول ثورة كربلاء، لا سيما استشهاد الحسين عليه السلام وأنصاره هي تداعياتها وكراماتها، وقد بلغ حجم تلك المصادر التي نقلت تلك التداعيات والكرامات بمكان أنّه أصبح من الضروري إلقاء نظرة عليها ولو عابرة؛ ذلك أنّها تكشف لنا عن أحقيّة الإمام الحسين عليه السلام، وموقفه تجاه يزيد وطغمته، وعن عظمة الثورة وأهميّتها من منظار أهل السنة، وورقة أخرى على إدانة يزيد بما اقترفه من جريمة لا تُغتفر في كربلاء.

من الواضح أنّ المراد من هذه التداعيات هنا هي الآثار السياسية والاجتماعية والثقافية، والمراد من الكرامات الأمور العجيبة التي نقلها أهل السنة في مصادرهم، والتي ظهرت متزامنة مع حادثة عاشوراء أو بعدها، وترتبط باستشهاد الحسين عليه السلام وأصحابه.

أ. الكرامات

العقوبة السريعة لبعض المجرمين

من الطبيعي أنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام - استناداً للأحاديث النبوية، وجميع الفرق الإسلامية - مصيرهم النار، وقد ذهب معظم المسلمين إلى أنّ هؤلاء القتلة لا يُغفر لهم، وإلى جانب ذلك فقد رُوي في مصادر أهل السنة تعرّض البعض منهم إلى عقوبة دنيوية، وقد نقل الطبري الذي يعتبر أقدم وأوّل مصدر تاريخي لحادثة كربلاء عن أبي

مخنف قوله: إنّ إسحاق بن حياة الحضرمي وهو الذي سلب قميص الحسين أصيب بالبرص، وأحبش بن مرثد بن سلامة الحضرمي أحد العشرة الذين داسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره بعد مدة قصيرة قد أناه سهم غرب وهو واقف في قتال ففلق قلبه فمات^(١).

وعبد الله بن حوزة التميمي وقف أمام الحسين عليه السلام فقال: يا حسين أبشر بالنار، فدعا عليه الحسين عليه السلام قائلاً: اللهم حزه إلى النار. فاضطرب به فرسه في جدول فوقه فيه، وتعلقت رجله بالركاب ووقع رأسه في الأرض، ونفر الفرس فأخذه يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات^(٢).

سطوع النور ورفقة الطير

بعد أن سقط الحسين عليه السلام من ركابه على أرض كربلاء مثخناً بالجراح، تولى خولي بن يزيد مهمة حزّ الرأس المبارك للحسين عليه السلام بما يمتلكه من جرأة، إلا أنه ضعف وأرعد ولم يتمكن، فنزل محله شمر أو سنان بن أنس، وقام بتلك الجريمة النكراء.

«وبعث عمر برأس الحسين من يومه مع خولي بن يزيد إلى ابن زياد، فأقبل به ليلاً فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى به منزله فوضعه تحت إجانة في منزله، وكان في منزله امرأة يُقال لها: النوار بنت مالك الحضرمي، فقالت له: ما الخبر؟ قال: جئت بغنى الدهر، هذا رأس الحسين معك في الدار، فقالت: ويلك! جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن بنت رسول الله؟! والله لا يجمع رأسي ورأسك شيء أبداً. فقمت من فراشي فخرجت إلى الدار، فدعا الأسدية فأدخلها إليه، وجلست أنظر، فوالله، ما زلت أنظر إلى نورٍ يسطع

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٧ - ٣٤٨، وج ٥، ص ٤٥٤ - ٤٥٥. ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ١٣٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٤، ص ٣٢٧ - ٣٢٨. المصدر السابق: ج ٥، ص ٩٦ - ٩٧.

مثل العمود من السماء إلى الإحانة، ورأيت طيراً بيضاء ترفرف حولها»^(٢٠١).

صيرورة التراب دماً

رُوي أنّ النبي ﷺ أعطى أمّ سلمة تراباً من تربة الحسين عليه السلام حمله إليه جبرائيل، فقال النبي ﷺ لأمّ سلمة: إذا صار هذا التراب دماً فقد قُتل الحسين. فحفظت أمّ سلمة ذلك التراب في قارورة عندها، فلما قتل الحسين عليه السلام صار التراب دماً، فأعلمت الناس بقتله أيضاً^(٢٠٢).

وأخرج الترمذي عن سلمى قالت: دخلتُ على أمّ سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ - تعني في المنام - وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً^(٢٠٣).

وأخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس، قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام بنصف

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٨. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠٦.

(٢) قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ص ٢٣٧: «ولما أنفذ ابن زياد رأس الحسين إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى موثقين في الحبال.. وكلّما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدّوه له فوضعوه على رمح، وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل ثم يعيدوه إلى الصندوق ويرحلوا، فنزلوا بعض المنازل وفي ذلك المنزل دير فيه راهب، فأخرجوا الرأس على عادتهم ووضعوه على الرمح، وحرسه الحرس على عادته، وأسندوا الرمح إلى الدير، فلما كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس إلى عنان السماء، فأشرف على القوم، وقال: من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب ابن زياد، قال: وهذا رأس من؟ قالوا: رأس الحسين بن علي بن أبي طالب بن فاطمة بنت رسول الله، قال: نبيكم؟ قالوا: نعم، قال: بئس القوم أنتم، لو كان للمسيح ولد لأسكنناه أحداقنا، ثم قال: هل لكم في شيء؟ قالوا: وما هو؟ قال: عندي عشرة آلاف دينار تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة، وإذا رحلتم تأخذونه، قالوا: وما يضرّنا، فناولوه الرأس وناولهم الدنانير، فأخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه على فخذه وقعد يبكي الليل كله، فلما أسفر الصبح، قال: يا رأس، لا أملك إلا نفسي وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ جدّك محمداً رسول الله وأشهد الله أنّي مولاك وعبدك». (المترجم).

(٣) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٨٢.

(٤) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٣.

النهار أشعث أغبر معه قارورة فيها دم، فقلت: بأبي وأُمِّي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قُتل في ذلك اليوم^(١).

نياحة الجن

أخرج أبو نعيم في الدلائل عن أم سلمة قالت: سمعت الجن تبكي على حسين وتنوح عليه.

وأخرج ثعلب في أماليه عن أبي خباب الكلبي، قال: أتيت كربلاء، فقلت لرجل من أشرف العرب: أخبرني بما بلغني أنكم تسمعون نوح الجن، فقال: ما تلقى أحداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك، قلت: فأخبرني بما سمعت أنت، قال: سمعتهم يقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود

أبواه من عليا قریش وجدّه خير الجدود^(٢).

حكى الزهري عن أم سلمة قالت: ما سمعت نواح الجن إلا في الليلة التي قتل فيها الحسين، سمعت قائلاً يقول:

ألا يا عين فاختلفي بجهد ومَن يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهم المنايا إلى متجبرٍ في ثوب عبـد

قالت: فعلمت أنه قد قُتل الحسين^(٣).

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ١، ص ٢٤٢، وص ٢٨٣. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک:

ج ٤، ص ٣٩٨. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٣٢٣.

(٢) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ١٦٦.

(٣) أنظر: سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٤٢.

الآيات في السماء

قال السيوطي: ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيّام، والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء، وكسفت الشمس ذلك اليوم، واحمّرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة تُرى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله^(١).

وعن نضرة الأزديّة قالت: لما قُتل الحسين بن علي مطرت السماء دماً^(٢).

الآيات في الأرض

قال السيوطي: «إنّه لم يُقلب حجر بيت المقدس يومئذٍ إلّا وُجد تحته دمٌ عبيط، وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً، ونحروا ناقة في عسكرهم، فكانوا يرون في لحمها مثل النيران وطبخوها فصارت مثل العلقم، وتكلّم رجل في الحسين فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره»^(٣).

الرثاء الغيبي

من الموضوعات المهمّة في مصادر أهل السنة هي حوادث ما بعد عاشوراء، فقد نقلت روايات نياحة ورثاء من الغيب وفيها الأشعار كذلك، ولم يقع بين مصادرهما ولا رواياتهما اختلاف واضح، ومنها: ذكر هشام بن محمد قال: لما قتل الحسين سمع قاتلوه قائلاً يقول من السماء:

(١) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ١٦٦. الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ص ٢٦٨.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٢٧. المزني، يوسف، تهذيب الكمال: ج ٦، ص ٤٣٣.

(٣) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ١٦٦.

أَيُّهَا الْقَاتِلُونَ جَهْلًا حَسِينًا أَبْشُرُوا بِالْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ
كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيٍّ وَمُرْسَلٍ وَقَبِيلِ
قَدْ لَعَنْتُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ وَمُوسَى وَصَاحِبِ الْإِنْجِيلِ^(١)
كما نقل ابن عساكر نحو (٣٢) رواية عن الحوادث الكونية التي رافقت قتل الحسين عليه السلام والتي تدلّ على كراماته، منها:

- 0 كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار^(٢).
- 0 تسایل حيطان دار الإمارة دمًا^(٣).
- 0 لم يقلب حجر بيت المقدس إلّا أصبح تحته دم عبيط^(٤).
- 0 احمرّت آفاق السماء ستة أشهر^(٥).
- 0 الكواكب يضرب بعضها بعضًا^(٦).
- 0 مطرت السماء دمًا^(٧).
- 0 اسودّت السماء وظهرت الكواكب نهاراً وسقط التراب الأحمر^(٨).
- 0 مكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنّها علقه^(٩).

(١) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٤٢.
(٢) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٢٨.
(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢٩.
(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٣٠.
(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢٧.
(٦) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٢٧. الشبراوي، عبد الله بن محمد، الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ١٨٣.
(٧) أنظر: المصدران السابقان.
(٨) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ص ٢٢٦. الشبراوي، عبد الله بن محمد، الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ١٨٢.
(٩) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٢٦.

الرأس المقطوع وتلاوة القرآن

إنّ من النتائج العجيبة لشهادة الإمام الحسين عليه السلام هي تلاوة الرأس المرفوع على القناة القرآن^(١)، وعن المنهال بن عمرو قال: «أنا - والله - رأيت رأس الحسين بن علي حين حُمل وأنا بدمشق وبين يدي الرأس رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾». قال: فأنطق الله الرأس بلسانٍ ذرب، فقال: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحمل^(٢).

وعن الأعمش عن سلمة بن كهيل قال: «رأيت رأس الحسين بن علي على القناة وهو يقول: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾»^(٣).

ب. الآثار السياسية والاجتماعية

إنّ من الشبهات التي أثارها حفنة من أهل السنة التي كتبت دفاعاً عن يزيد ونظرت إلى ثورة كربلاء من منظور السلطة، هي الشك في جدواها وغياب النتائج المنشودة منها، وممن مال إلى ذلك ابن تيمية، حيث قال: «إنّه لم يكن في الخروج مصلحة، لا في دين ولا في دنيا، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد في بلده، فإنّ ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار سبباً لشرٍّ عظيم، وكان قتل الحسين ممّا أوجب الفتن»^(٤).

(١) قال الدميري تحت عنوان: (مَنْ تكلّم بعد الموت) من كتابه (حياة الحيوان): ج ١، ص ٨٠، ما نصّه: «وتكلّم بعد الموت أربعة: يحيى بن زكريا حين دُبح، وحبيب النجار حيث قال: ﴿بَلَّيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾»، وجعفر الطيار حيث قال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾، والحسين بن علي حيث قال: ﴿وَسِعَ الْعَرْشُ الْكَرِيمَ ظِلْمُوا أَيْ مُنْقَلَبٍ يَقْبَلُونَ﴾. (الترجم).

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٠، ص ٣٦٩.

(٣) البقرة: آية ١٣٧.

(٤) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٢، ص ١١٧.

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة: ج ٢، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

أما الشيخ الخضري فإنه عقب على حادثة كربلاء قائلاً: «وعلى الجملة، إنَّ الحسين أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا، الذي جرَّ على الأمة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا... وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة... وغاية ما في الأمر أنَّ الرجل طلب أمراً لم يتهيأ له، ولم يعد له عدته، فحبل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه.. والحسين قد خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر عنه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار الخلاف حتى يكون في الخروج مصلحة للأمة»^(١).

وحول هذه الشبهة لا بدَّ من القول إنَّه فيما يتعلَّق برصيدها الشرعي وأصولها العقلانية فقد تمتَّت الإجابة عنه فيما سبق، وقد صرَّح الكثير من علماء أهل السنة أنَّ يزيد فاجرٌ وفاسقٌ وكافرٌ، والجهاد ضده لازمٌ بل واجب، ومضى الحسين عليه السلام في ثورته امتثالاً لتكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستجابة للمهمَّة التي أوكلها إليه الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله، أمَّا رصيدها العقلاني والقيادي فإنَّ الإمام عليه السلام أخذ بنظر الاعتبار جميع الجهات، وكان على اطلاع تامٍّ بالأوضاع والظروف السائدة، وجاءت حساباته دقيقة بعيدة عن أدنى خطأ أو غفلة، وبالتالي وكما تقدَّمت الإشارة إليه، فإنَّ فلسفة هذه الثورة التي وردت على لسانه في مختلف المصادر التاريخية لأهل السنة كفيلة بالإجابة عن هذه الشبهة إجابة لا غبار عليها، ويمكن إيجاز منجزاتها في النقاط التالية:

١- إحياء الدين وتحدي حكومة يزيد

تولَّى يزيد الخلافة الدينية بعد معاوية التي أرادها أن تكون خلافة وحكومة إسلامية امتداداً لخلافة النبي صلَّى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين، إلَّا أنَّ الإمام عليه السلام لما رفض مبايعة يزيد وقام بنشر الوعي خلال مسيره من المدينة إلى مكة ومنها إلى كربلاء ويوم عاشوراء

(١) الخضري، محمد، تاريخ الأمم الإسلامية: ج ٢، ص ٢٣٥.

سحب بساط الشرعية عن حكمه، ويُنَّ أن الدين بعيد كلَّ البعد عن بدع يزيد ومنكراته، كما حذّر المسلمين من مغبة الخلط بين الإسلام الأصيل والإسلام الأموي المتمثل بيزيد وسلوكه وانحرافاته، لئلاَّ يتعدوا عن جادة الحق.

ومع استشهاد الحسين عليه السلام وأنصاره على يد يزيد وعماله انكشف صواب موقف الحسين عليه السلام أمام المسلمين، الذين صحوا من سبات الغفلة التي اعترتهم بفضل تضحياته عليه السلام الجسام، وأدركوا أن الدين لا تعكسه السياسة الأموية، بل ثمة تنافر بين هذين القطبين.

ثمّ دعا بعض إلى الثورة على الأمويين لأجل إضفاء الطابع الشرعي على السياسة، كثورة التوابين وقيام المختار وثورة زيد بن علي بن الحسين ويحيى بن زيد وآخرين، واستغلَّ بعض الظروف السانحة لبيان معارف الإسلام الأصيلية، وممارسة أنشطة ثقافية تستهدف نشر الحقائق في صفوف الناس، كأنشطة أبناء الإمام الحسين عليه السلام مثل الإمام زين العابدين عليه السلام، والإمام الباقر عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام، وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث بسطوا معارف الإسلام الأصيلية والسنة النبوية التي نادت بها ثورة كربلاء، وقد واجه يزيد نقمة شعبية عارمة مهّدت الأرضية للإطاحة بالحكم الأموي عام (١٣٢هـ) بعد أن سوّد هذا الحكم صفحات التاريخ بجرائمه التي يندى لها جبين الإنسانية.

٢- إحياء ثقافة الشهادة

إنَّ النصائح التي بذلت للإمام الحسين عليه السلام بهدف ثنيه عن المضي في مسيره، تدلُّ بوضوح على أجواء الرعب والخوف والاستبداد الأموي الذي كان سائداً في المجتمع آنذاك، وقد أدّى هذا الأمر إلى تراكم غبار النسيان على الشهادة في سبيل الله، لإحياء الدين والقيم الدينية، ومكافحة الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا

ما زالت الشهادة عالققة في أذهان المسلمين فإنّها ظلّت حكرّاً على جهاد الكفار دون جهاد الخليفة والسلطان الجائر، والحد من فساد المستفحل.

وفي تلك الأجواء قام الإمام الحسين عليه السلام بكسر حاجز الرعب والخوف وروح الانهزامية، وأثبت أنّ الدفاع عن الدين لا يستلزم المجازفة بالنفس فحسب، بل الاستعداد للشهادة ولقاء الله، إذ لا يتصور ممارسة الجهاد دون التعرّض للخطر، وعليه لا بدّ من التضحية بالغالي والنفيس والسبي، وبذلك أحيى الحسين عليه السلام سبيل الشهادة وثقافته.

وبالطبع، فإنّ تضحية الإمام الحسين عليه السلام أعطت قيمة لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيّنت مكانتها للملأ، وقد أثبت صواب خطّه عبر التضحية بنفسه وأصحابه وسبي عياله، من هنا فقد شهدنا بعد عاشوراء فتح باب الشهادة، وشيوع ثقافة التضحية والإيثار في صفوف المسلمين.

٣- التمهيد للإطاحة بالنظام الأموي

كان لثورة كربلاء مكسبان من الناحية السياسية، في غاية الأهمية، لا غبار عليهما، وقد ضبطا في المصادر التاريخية، ودلّت عليهما الأحداث والوقائع اللاحقة، بل اعترف بهما قادة الجهاز الأموي منذ بداية أحداث ثورة كربلاء، وهما: كراهية الناس ليزيد وحكومته الأموية، ومحبة أهل البيت عليهم السلام المتزايدة واتّضاح مظلوميتهم عند الناس.

أ- كراهية يزيد والأمويين

إنّ ندم يزيد من جريمته النكراء في كربلاء، أو التظاهر بذلك كما ورد في المصادر التاريخية، إنّما يدلّ على خوفه من نقمة المسلمين وغضبهم، وقد اعترف بذلك يزيد لما قال: «لعن الله ابن مرجانة، فإنّه اضطرّه.. فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البرّ والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، ما لي ولا ابن مرجانة، لعنه

الله وغضب عليه»^(١).

وما وقوع ثورات عديدة بعد ثورة عاشوراء (٦١هـ) إلا شاهد آخر على شيوع الكراهية ضد السلطة الأموية، ومن جملة تلك الثورات: ثورة الحرّة، وثورة التوابين، وثورة المختار، وحركة عبد الله بن الزبير الذي بسط نفوذه على أصقاع واسعة ودامت إمارته لسنوات، وثورة زيد بن علي، وثورة يحيى بن زيد، هذه الثورات ما كانت لتقوم لولا رفض المسلمين للأمويين وتسلّطهم.

ب- انتشار نفوذ أهل البيت (عليه السلام)

مع استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه في كربلاء التفت المسلمون إلى مظلومية أهل البيت (عليه السلام) أكثر من أي وقت مضى، ممّا زاد من حبّ المسلمين لأهل البيت (عليه السلام)، وقد استغلّ العباسيون هذا النفوذ الواسع بغية الوصول إلى مآربهم، وتمكّنوا بعد الإطاحة بالأمويين من اعتلاء سدة الحكم كقوة بديلة.

٤- تهيئة الأرضية العلمية والثقافية

لقد طرحت ثورة كربلاء واستشهاد قائدها ومقاتليه، والإعلام الواسع من قبل الركب الحسيني - لا سيما علي بن الحسين (عليه السلام) وزينب الكبرى (عليه السلام) في الكوفة والشام - موضوعات مختلفة في صفوف الناس، وأدّت إلى ظهور ثورات عديدة بعد عاشوراء وغياب الشرعية عن الحكم الأموي ممّا سهل في بلورة جهود علمية وثقافية على نطاق واسع على يد الإمام زين العابدين والباقر والصادق (عليه السلام)، حيث قاموا بنشر علوم آل محمد (صلى الله عليه وآله) على مختلف الصُّعد في ظلّ أجواء سادها الإقبال الواسع للمسلمين على أهل

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٩٠.

البيت عليه السلام، واضطراب الأوضاع السياسية نظراً لانشغال الأمويين بإخماد الثورات والحركات المسلحة.

إنَّ المكانة العلمية المرموقة للإمام السجاد عليه السلام - باعتباره أئمة التابعين - جعلته مرجعاً علمياً لا بديل له بين المسلمين، وقد ترك تأثيراً بالغاً لا على مستوى الثقافة العامة للمجتمع، من خلال الأساليب العلمية والثقافية، وتحكيم أصول مذهب أهل البيت عليهم السلام، وإغنائه والتعريف به فحسب، بل على المستوى السياسي أيضاً، ويتجلى ذلك في منع عمر بن عبد العزيز من بدعة سب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر التي ابتدئها معاوية، وسحب عنوان أمير المؤمنين عن يزيد.

لقد عانى المسلمون فصل الدين عن السياسة في ظل النظام الأموي، فالتجأوا إلى أهل البيت عليهم السلام بهدف التزوّد من ندير علومهم ومعرفة أحكام الشرع، وبذلك استعاد أئمة أهل البيت عليهم السلام دورهم الريادي ومكانتهم العلمية والدينية الرفيعة في المجتمع. ويؤيّد ذلك اعتراف كبار علماء أهل السنة أنفسهم بشأن المقام العلمي والديني للأئمة: السجاد والباقر والصادق عليهم السلام، والتأثير المباشر أو غير المباشر في أئمة سائر المذاهب الفقهية.

من هنا فالإنسانية تفتخر بالحسين عليه السلام وثورته، وتعتبره زعيماً لها بغض النظر عن جنسيته وقوميته ولغته ومذهبه، واليوم نشاهد من هذا المنطلق إقبال المجتمعات بمختلف الانتماءات نحو الحسين عليه السلام وملحمته، ابتداءً من غاندي زعيم الهند وقادتها، والمفكرين المسيح من لبنان وأوروبا وأميركا اللاتينية، وانتهاءً بالإمام الخميني رحمه الله، وقادة الثورة الإسلامية، وقوات التعبئة الذين ضحّوا دفاعاً عن تراب وطنهم ولتحرير العراق من النظام البعثي الجائر، وهكذا ظلَّ الإمام الحسين عليه السلام وثورته أسوة ومصدر إلهام للجميع.

لا شك أنّ أنواع المحن والمصائب التي حلّت بالإمام الحسين عليه السلام وأخته زينب عليها السلام هي في الواقع أسوة لا للمجاهدين فحسب، بل للمسلمين في حاضرهم وللاّ انسان المعاصر في واقعه.

وكان لإقامة ماتم أهل البيت عليه السلام وشهداء كربلاء دور مهم في إحياء الدين والقيم الإسلامية الأصيلة بين المسلمين، وكما قال الإمام الخميني عليه السلام: «إنّ محرم وصفر قد أحيا الإسلام».

هذه الجملة تحكي عن واقع تاريخي عميق، وحقيقة ثابتة، وهي أنّه يتعذّر تجاهل دور الحسين عليه السلام وعاشوراء في الحفاظ على الدين وقيمه والتأسي به، ويتّضح - مع أخذ تلك الآثار والتداعيات - زيف ادّعاء ابن تيمية وأتباعه من خلوه هذه الملحمة العظيمة من أيّة آثار إيجابية، وبالطبع فإنّ جهود ابن تيمية وازدواجيته في التحليل لدليل على أهميّة عاشوراء ونتائجه، فإذا لم تكن لعاشوراء تلك الثمرة لما كنّا نشهد هذا الاهتمام بتاريخ عاشوراء وتبرير جرائم يزيد، وجعل الأخبار ووضع الروايات.

٥- تقديم القدوة لهداية المجتمعات

إنّ أهمّ دور لثورة كربلاء هي كونها أسوة لشخصيات دينية واجتماعية وسياسية كبيرة، وهي دليل لثورات وحركات تحرّرية وإصلاحية تنشد العدالة، ذلك أنّ هذه الثورة تمتلك مقومات تاريخية نادرة لجهادٍ طويلٍ وشاقٍ وشمولي، وسوف نشير إلى بعض تلك المقومات:

أ- زعيمٌ واعٍ وصامد

كانت هذه الثورة تمتلك زعيماً واعياً مثل جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يكن الإمام عليه السلام يتحمّل شدائد الجهاد وحده، بل شاركه فيها أصغر جندي في ركبه، ونسائه وأبنائه وأقربائه الذين كانوا في الطليعة، وتعرّضوا لأنواع المحن

والسبي في سبيل ثورة كُتِبَ لها الفشل على الظاهر، لقد ضرب الحسين عليه السلام مثلاً رائعاً في الصمود والإباء والثبات قلّ نظيره؛ إذ رغم المصائب والكوارث التي ألمّت به، من نزوح عن الوطن، وعطش، ومصائب، ونقضٍ للوعود، والوحدة، وقلة الناصر، وكثرة العدو، وعطش أبنائه ونسائه، لم يظهر منه أي ضعف، ولم يصدر عنه أي يأس أو جزع أو تعجل في الموقف، ولم يغيّر موقفه أو يتنازل عن أهدافه وشعاراته.

وقد طرح في آخر رمق من حياته شعار الحرية والعبودية والإيمان عندما قال: «ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»^(١).

لك الله يا أبا عبد الله الحسين، أردت أن تبني دولة الإسلام على الكرامة والحرية والمساواة، وأرادوها دولة الكفر والجور والطغيان.

ب- أصحاب أوفياء

لقد صرّح الإمام عليه السلام أن أصحابه خير الأصحاب، بل أفضل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وكانوا مثلاً في العبادة والزهد، والشجاعة والثبات، والوفاء والرجولة، وهم خلافاً لأصحاب بدر وأحد وصفين والنهروان لم يخطر على مخيلتهم الانتصار أو البقاء على قيد الحياة، بل تسابقوا إلى المنيّة بقلوب مفعمة بحبّ الحسين عليه السلام، وازدادوا صلابَةً وثباتاً لأهدافهم المتمثلة في إحياء الدين والسنة النبوية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذلك انتشلوا الإسلام والإنسانية والحرية من براثن الشرك والظلم والانحراف، وكلّموا اقترَبوا من الشهادة ازداد إيمانهم وشجاعتهم دون خوف أو وجل أو ندم أو تردد، رغم أن الحسين عليه السلام قد رفع عنهم البيعة لما قال:

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٤٤.

«إني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم، فإنّ القوم إنّما يطلبونني»^(١).

وأبى أصحابه الأوفياء وأهل بيته البررة أن يفارقوه أو ييخلوا بأرواحهم عليه مع أنّه قد تجسّد لهم المصير، وأصبحوا واثقين به، والوجود بالنفس أقصى غاية الجود، وقالوا بلسان واحد: والله، لا نفارقك ولا نرضى بالعيش بعدك ولا بالدنيا بكلّ ما فيها بدلاً من الشهادة بين يديك، في ظلّ هذه الروحية العالية والصلابة والوفاء التحق الحر بن يزيد الرياحي وآخرون بمعسكر الحسين عليه السلام في آخر لحظة من يوم عاشوراء.

ج- أهل البيت عليهم السلام وشموخهم الرسالي

عادة ما تكون أسرة الشهيد أكثر صلابة وتحملاً للمعاناة، وقد أدّى سبايا أهل البيت عليهم السلام هذه المهمة على أفضل وجه، بل قد سجّلوا حضوراً منذ البداية في الساحات، وشاهدوا عن كثب بحرقة وعذاب قتل رجالهم والمثلة بهم، هذا إلى جانب معاناة السبي، والسفر الطويل، والخوف، ونقض عهد أهل الكوفة، وسوء المعاملة، والعطش، وقتل الأحبة والأبناء والإخوة وسائر الأقرباء، والأسر المذلّ.

وفي الواقع فإنّ السبي أكثر مرارة من الشهادة؛ ذلك أنّ الركب الحسيني لم يتحمّل ذلك في سبيل أهداف الثورة فحسب، بل إنّ لم يرفع اليد عن أهداف وآمال شهداء كربلاء، حتى تمكّن من تبديل أزمة السبي في ظلّ الثبات والاستقامة إلى فرصة ذهبية، واستفاد منها في تبليغ أهداف شهداء كربلاء، وكشف النقاب عن منكرات ومفاسد وجرائم يزيد وآل زياد، ونقل الثورة الحسينية ورسالتها من الصحراء الجرداء والنائية

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥٧.

لكربلاء إلى القبائل والمدن والقرى، وأخيراً إلى قصور الجور لابن زياد ويزيد، في مجلسٍ ضمَّ جموعاً غفيرة من الناس وزعماء النظام الأموي كدعاية سياسية على قدرة الأمويين وانتصارهم، والتأكيد على استتباب الأمن والثبات الذي يتمتع به النظام الأموي لا سيما يزيد، وعلى ضوء ما قام به سبايا كربلاء من تبديل نشوة يزيد بالانتصار إلى هزيمة وخيبة، تحول ذلك المجلس إلى مأتم لأهل البيت عليهم السلام وإدانة ليزيد وابن زياد، ممّا اضطرّه إلى إظهار الندم ولعن ابن زياد وعمر بن سعد وشمر، بهدف التنصّل من تلك الجريمة.

د- الأهداف والشعارات الخالدة

إنّ من جملة خصوصيات هذه الثورة أهدافها المثالية والإنسانية التي قوّضت صرح الحدود المادية الضيقة، وذهبت إلى أبعد من الشعارات الروحية المرفوعة في إطار مذهبٍ خاصّ، وحتى دينٍ خاصّ والتحمت بالإنسان والإنسانية، شعارات نظير الحرية والتحرّر، ومكافحة الفساد والجور، ذمّ الحياة المشوبة بالذل، ومناهضة التمييز الاقتصادي والعنصري والسياسي، وعدم الالتزام بالعهود والمواثيق، وتحمل المشاق بل الاستعداد للتضحية بالغالي والنفيس في سبيل تحقّق الأهداف الإنسانية والإلهية، وشعارات أخرى تختصّ بفلسفة وأهداف تلك النهضة العظيمة.

تقويض الوحدة أو تعزيزها

لم تبتّ ثورة الحسين عليه السلام بدور الفرقة - وخلافاً لابن العربي ومَن نسج على منواله كابن تيمية - في المجتمع الإسلامي فحسب، بل وهبت حياةً جديدة للمسلمين، وأعادت إليهم سابق عزّهم، وحال دون تعرّض الإسلام للانحرافات، والولوج في جادة التحريفات، وضرب لهم درساً في الحياة الدينية الحافلة بالعزة والحرية.

١- إذا كانت إشكالات ابن تيمية ومَن لفّ لفّه معياراً للبتّ في الحكم، فهذا يستلزم التشكيك ببعثة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل بعثة سائر الأنبياء عليهم السلام؛ ذلك أنّهم قوّضوا

عماد الوحدة والاتحاد في المجتمعات الخاضعة للنظم الفرعونية، والنظم الملحدة، وشيّدوا على أنقاضها نظاماً جديداً وثقافةً جديدة.

٢- رفض الحسين (عليه السلام) مبايعة يزيد معلناً الخروج عليه منذ البداية، بينما نجد زعماء المذاهب الإسلامية، كأبي حنيفة، وعبد الحميد بن جعفر، وابن عجلان، ومَن أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور مالك بن أنس، لما قيل له: إنَّ في أعناقنا بيعة للمنصور، فقال: إنَّما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين^(١).

ومن الواضح أنَّ فساد المنصور لا يُقاس بفساد يزيد، كما أنَّ نقض البيعة بعد انعقادها لا يُقاس برفض البيعة، وأهمُّ من كلِّ ذلك أنَّ مكانة المنصور لا تُجاري مكانة الحسين (عليه السلام)، فأين الثرى من الثريا.

ومع كلِّ هذا فقد أصرَّ ابن تيمية على اتِّهام ثورة الحسين (عليه السلام) بأنَّها أحدثت شرخاً في جدار الوحدة، هذه التهمة الرخيصة يمكن إلصاقها ببعثة الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً، بل بزعماء المذاهب التي ينتمي إليها، وهذا الإشكال سوف يفتح الباب على مصراعيه بوجه إشكالات لا حصر لها.

٣- لا بدَّ من التنويه بأنَّ الإسلام لا يمضي كلَّ وحدة واتِّفاق، وإنَّما تُكتسب الوحدة قيمتها إذا دارت حول حبل الله المتين، المتمثِّل في القرآن والعتره، والحال أنَّنا نجد أنَّ القرآن والعتره المتمثِّلة آنذاك بالحسين (عليه السلام) قد تعرَّضا للتهميش، ونالا سهماً عظيماً من الظلم في المجتمع الإسلامي، وقام الحسين (عليه السلام) لإحياء الدين وقيمه الذي هو عماد الوحدة والتكاتف ورصَّ الصفوف، وبذل التضحيات تلو التضحيات في هذا السبيل، وعلى ذلك يُتاح لنا القول وبُزرسٍ قاطع أنَّه (عليه السلام) ذهب ضحية لوحدة المسلمين، تلك الوحدة الحقيقية التي لا يُكتب لها البقاء إلَّا في ظلِّ سيادة القيم الدينية

(١) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ٢٦١.

ومحورية أهل البيت عليهم السلام.

وإذا كانت الوحدة سائدة في عهد معاوية ويزيد، فما معنى استشهاد صحابة كبار، كحجر بن عدي وأصحابه والإمام الحسن عليه السلام، وفرض ولاية يزيد بالقوة بفضل سياسة التهديد والترغيب التي مارسها معاوية؟ ألم يكن معاوية قد قوّض دعائم الوحدة حينما شنّ حرب صفين الضروس، وحمل السيف بوجه الخليفة الشرعي عليّ بن أبي طالب عليه السلام أسفرت عن قتل جمع غفير من المسلمين؟ ألم يكن معاوية قد شتّت وحدة الكلمة حينما جهّز جيشاً لمقاتلة الإمام الحسن عليه السلام أحد الخلفاء الراشدين، استناداً إلى الحديث النبوي، واعتماداً على كلمات كبار علماء أهل السنة؟ ألم يخلق في صفوفهم نفاقاً إلى يوم الدين^(١).

٤- سبق الحديث في الفصل الأوّل عن آليات الخلافة، وذكرنا أنّ معاوية أوجد نفاقاً أدياً بين المسلمين من خلال جعل الخلافة ميراثاً للأبناء، وأوّل من عرض هذه الفكرة هو المغيرة بن شعبة لما طرح ولاية العهد ليزيد، فاستحسنها معاوية، ولما خرج من عنده قال: «لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد صلى الله عليه وآله، وفتقت عليه فتقاً لا يرتق»^(٢).

وقد ذكرنا أنّ الحسن البصري وهو من كبار علماء أهل السنة قال في معاوية: «قد كانت في معاوية هنات لو لقي أهل الأرض ببعضها لكفاهم: وثوبه على هذا الأمر واقتطاعه من غير مشورة من المسلمين، وادّعاؤه زياداً، وقتله حجر بن عدي

(١) ومن سخریات القدر أنّ العام الذي ولي فيه معاوية الحكم سُمّي بعام الجماعة، وأيّ جماعة تلك التي طالما دقّ فيها معاوية أسفين التشتت، ولعمري، إنّ مغزى التكتّم على هذه الحقائق الساطعة هو أنّ معاوية بمنزلة حلقة الباب - على حدّ نقل ابن عساكر - من حركه اتهمناه على من فوقه. أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق: ج ٥٩، ص ٢١٠. (المترجم).

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

وأصحابه، وبتوليته مثل يزيد على الناس»^(١).

وعليه كان معاوية ويزيد - باعتراف التاريخ وشهادة كبار علماء أهل السنة - قد صدعا وحدة المسلمين، وبثاً بذور الفتنة والنفاق والاختلاف فيهم.

٥- كانت المعنويات من جملة الخصائص الفريدة لثورة كربلاء، وهي التي أبرزتها من بين سائر الثورات والحركات الدينية والإصلاحية، ولم ينسَ الحسين عليه السلام وأصحابه الأخلاق الدينية الرفيعة والصبر والتحمل في أحلك الظروف والمحن، بل إنهم أصروا على التحلي بها مهما كلف، ولا تكاد تعثر في كلماتهم على أثر للحرب النفسية أو الشعارات الجوفاء أو خداع الرعية أو وعود زائفة، ولم يبدأ الإمام عليه السلام الحرب، وحتى أنه لم ييخل بالماء والمتاع الذي كان هو وأصحابه في أمس الحاجة إليه، لفرسان الأعداء وخيولهم في تلك الصحراء الجرداء القاحلة، هذه صفحة مشرقة في تاريخ هذه الثورة ليس إلى نكرانها من سبيل.

ورغم كلّ التقلّبات والأحداث فإنّه لم يُشاهد ارتكاب مكروه قط من طرف الإمام عليه السلام وأصحابه أبان أحداث الثورة التي ظلّت وفيّة للدين والمفاهيم الإسلامية والقيم الأخلاقية الأصيلة، ولا تجد مبالغة أو خلاف الواقع في الشعارات المطروحة، بل رُفعت عن صدق وإخلاص، ولم يتشبّث بالمبالغة والإغراق، فما بالك بالكذب أو الحيلة من أجل التعريف بأنفسهم، وكان الحسين عليه السلام يعرّف نفسه بأنّه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يجهل الأعداء مكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا ضير في ذلك عند العرب.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٢٤٩. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٣٧.

الفصل السادس
علماء أهل السنة ولعن يزيد

علماء أهل السنة ولعن يزيد

من المسائل المطروحة قديماً لدى أهل السنة هي مسألة جواز لعن يزيد، وقد يتخذ هذا الأمر طابعاً عاطفياً احتراماً لرسول الله ﷺ، وحنناً على استشهاد نجله الحسين بن علي عليه السلام، وأصلاً عقائدياً يدل على طاعة الله سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾^(١). قيل: إن الإمام أحمد لما سأل ولده عبد الله عن لعن يزيد، قال: كيف لا يلعن من لعنه الله تعالى في كتابه، فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله (عز وجل) فلم أجد فيه لعن يزيد، فقال الإمام: إن الله تعالى يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد^(٢).

والرأي المشهور بين أهل السنة هو جواز بل ضرورة لعن يزيد، إلا أن ثمة من يخالف لعنه انطلاقاً من الحديث النبوي: «لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعاناً»^(٣)، بينما نجد بأن رسول الله ﷺ نفسه قد لعن قاتلي الحسين عليه السلام وأعدائه في حال حياته، وحفز

(١) محمد: آية ٢٢-٢٣.

(٢) أنظر: الألويسي، محمود بن عبد الله، تفسير روح المعاني: ج ٢٦، ص ٧٢.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٣، ص ٢٥٠، ح ٢٠٨٨.

المسلمين على نصرته، وحذر من مغبة طاعة بني أمية لا سيما يزيد.
ويتضح من أدلة الموافقين والمخالفين أن جواز لعن يزيد يمتني على كفره، وإلا فكونه فاسقاً ثابتٌ لدى الجميع، وهذا يعني أن جواز لعن يزيد عند الموافقين دليلٌ على كفره، أما المخالفين فإنهم لم يحكموا بكفره، وبالتالي لم يجوزوا لعنه؛ ذلك أن الجريمة التي ارتكبها يزيد في كربلاء، وتصفية أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله، واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن تغتفر، ومرتكبيها ليسوا بملحدين ولا كافرين، بل يستحقون العذاب الإلهي، ومن هنا فلا يجوز لعنهم.

اتجاهان متعارضان

يمكن في سياق استعراض وجهات نظر أهل السنة منذ البداية حتى الآن، استخلاص اتجاهين متعارضين من حادثة كربلاء، ودور يزيد في هذه الفاجعة: أحدهما عاطفي والآخر تحليلي.

وقد أطلق على هذين الاتجاهين تعبير آخر هو التوحي والتبري، والمراد من الأول هو إبداء الحزن والغم على استشهاد الحسين عليه السلام وأصحابه، ومدح شخصية الإمام عليه السلام العظيمة وتمجيده، والمراد من الثاني هو التبري من أعداء الإمام عليه السلام وذم القتل الذين ارتكبوا هذه الفاجعة وعلى رأسهم يزيد.

ولما كانت هذه الحادثة الكبرى على غرار سائر الحوادث الاجتماعية لا يمكن أن تنشأ عن فراغ، وأن الحسين عليه السلام لم يستشهد في المدينة ليلاً أو في مسيره إلى العراق أو في الحج، وبهذا اللحاظ فالتأثر العاطفي بهذا الموضوع لا يكون مؤشراً ومعرفاً لوجهة نظر ما، كما أن إظهار الحزن العميق لهذه الفاجعة لا تعكس الفكر الواقعي لأهل البحث والتحقيق، وفي الواقع فإن التأمل في أسباب فاجعة كربلاء يمكن أن يشكّل الحجر الأساس لنظريات أهل السنة في هذا الشأن، ويعكس الموقف الحقيقي لهم بصورة

دقيقة وشفافة.

لقد احتلّ البحث التحليلي لمقتل الحسين عليه السلام حيزاً كبيراً لدى أهل السنة، تعلّق منذ البداية ببحث لعن يزيد أو عدم جواز لعنه، ذلك أنّ البعض قد ذهب إلى كون يزيد مجرمًا وكافرًا وملعونًا، نظرًا لقتله الحسين عليه السلام، والبعض الآخر إلى عدم استحقاقه اللعن، حتى أنّه أثار تساؤلات بشأن هذه الحادثة، على الصعيد الديني والسياسي والاجتماعي.

ويستحصل من مطالعة آرائهم في هذا الشأن أنّ المخالفين والموافقين لعن يزيد جعلوا استشهاد الحسين عليه السلام محوراً أصلياً ومعيّاراً أوحد للموافقة والمخالفة، فمن رأى استحقاق يزيد للعن نظر إلى ما اقترفه من جريمة قتل الحسين عليه السلام، التي بلغت من القبح بمكان أنّها تدلّ على كفره واستهتاره بقيم الدين وعدم اغتفار جريمته، ومن لا يرى أنّ محور القبح هو شهادة الحسين عليه السلام المؤدّية إلى كفر يزيد، بل يعدّ توبته والصفح عنه أمراً ممكناً، أو أنّ يزيد لم تتلطّخ يديه بدم الحسين عليه السلام، ومن هنا لا يجوز لعنه.

وعلى أيّة حال، إنّ إبراز الحزن العميق على شهادة الحسين عليه السلام أو تعيين قتلته والأمر بهذه الجريمة توضّح اتّجاه بوصلة الآراء المختلفة لأهل السنة، هذه الواقعة الكبرى هي في الواقع ساحة صراع بين الحق والباطل، وبين التضحية والأنانية، وبين الحماسة والفاجعة، وبين الحب والبغض، وبين الأبيض والأسود، وبالتالي بين صعود الإنسان وسقوطه. وكما تقدّم فإنّ التعاطف ضروري لمعرفة بعض آراء أهل السنة في هذا الشأن، إلّا أنّها لا بدّ أن تستكمل بإظهار لعن الأمر بقتله ومنفذه. وهذا هو بيت القصيد لمعرفة موقف أهل السنة تجاه تلك الحادثة.

الاتّجاه العاطفي

ليس هناك اختلاف جذري بين أهل السنة حول هذا الاتّجاه؛ إذ إنّ معظم علماءهم قد غلب عليهم الحزن حيال تلك الجريمة المروعة، وعدّوا منفذها والأميرين بها في

النار^(١)، كتب عبد القاهر البغدادي:

«وقد عصم الله أهل السنة من أن يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكرًا، أو يطعنوا فيهم طعنًا، فلا يقولون.. في أزواج النبي وأصحابه وأولاده وأحفاده مثل الحسن والحسين والمشاهير من ذرياتهم.. ومن جرى منهم على السداد من غير تبديل ولا تغيير، إلا أحسن المقال»^(٢).

وقد أكد على هذه النقطة طاهر الأسفرائيني الشافعي، وهو من أعلام القرن الخامس الهجري، حيث عدّ موالاة آل النبي صلى الله عليه وآله واجبًا، ومن جملتهم الحسين بن علي، وأي أذى أو سوء معاملة يلحق بهم فهو حرام.

كما صرح ابن تيمية الذي اشتهر بمعاداته للتشيع وأهل البيت عليهم السلام عند جوابه لقائد مغولي دخل الشام بلعن من قتل الحسين عليه السلام نافياً وجود النواصب في الشام، قائلاً: «وأما من قتل الحسين أو أعان على قتله أو رضي بذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(٣)، وتحدث في مقطع آخر عن محبة أهل البيت عليهم السلام، وقال: «محبّتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه»^(٤).

وكتب ابن العربي ورغم اعتباره ثورة الحسين عليه السلام تحدياً لنظام يزيد الجائر، وأنّه قُتل بسيف جده، يقول:

(١) قيل لابن الجوزي وهو على كرسي الوعظ: كيف يُقال: يزيد قتل الحسين وهو بدمشق والحسين بالعراق؟ فقال:

سهمٌ أصاب وراميه بذئ سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماكا

أنظر: المناوي، محمد بن علي، فيض القدير: ج ١، ص ٢٠٤. (المترجم).

(٢) البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق: ص ٣٢١.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى: ج ٤، ص ٤٨٧.

(٤) المصدر السابق.

«يا أسفا على المصائب مرّة، ويا أسفا على مصيبة الحسين ألف مرّة، بوله يجري على صدر النبي ﷺ، ودمه يُراق على البوغاء ولا يُحقن، يا الله! ويا للمسلمين!»^(١).

وللغزالي رأي في تحليل شهادة الحسين عليه السلام وحادثة كربلاء، غريب من نوعه^(٢)، يجانب الصواب كثيراً، فقد صرح وقال:

«فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يُقال: إنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة؛ لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق.. فإن قيل: فهل يجوز أن يُقال: قاتل الحسين (لعنه الله) أو الأمر بقتله (لعنه الله)؟ قلنا: الصواب أن يُقال: قاتل الحسين إن مات قبل التوبة (لعنه الله)؛ لأنه يُحتمل أن يموت قبل التوبة»^(٣).

أمّا ابن كثير الذي كان ينظر إلى تلك الحادثة من منظور أعداء الشيعة، ويتحامل عليهم في مواطن عديدة، فقد كتب: «وأما بقية أهل الحسين ونسائه، فقد أركبهم على الرواحل من الهوارج، فلما مروا بمكان المعركة، ورأوا الحسين وأصحابه مطرحين هناك، بكته النساء وصرخن، وندبت زينب أباها الحسين وأهلها وقالت وهي تبكي: يا محمدا،

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٣٥.

(٢) ولسنا بحاجة إلى التدليل على وهن هذا الرأي، فقد كفانا الآلوسي صاحب تفسير روح المعاني مؤونة ذلك؛ إذ قال: «مَن يقول: إنَّ يزيد لم يعصِ بذلك ولا يجوز لعنه، وقائل هذا ينبغي أن ينظم في سلسلة أنصار يزيد، وأنا أقول: الذي يغلب على ظني أنَّ الخبيث لم يكن مصدّقاً بالرسالة للنبي ﷺ، وأنَّ مجموع ما فعله مع أهل حرم الله تعالى، وأهل حرم نبيه ﷺ، وعترته الطيبين الطاهرين، في الحياة وبعد المات، وما صدر منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قدر، ولا أظنَّ أنَّ أمره كان خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين.. ولو سلّم أنَّ الخبيث كان مسلماً فهو مسلّمٌ جَمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يُتصوّر أن يكون له مثل من الفاسقين، والظاهر أنَّه لم يُتَّب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه». الآلوسي، محمود بن عبد الله، تفسير روح المعاني: ج ٢٦، ص ٧٢. (المترجم).

(٣) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ج ٣، ص ١٣٥.

يا محمداه، صلّى عليك الله وملك السماء، هذا حسين بالعراه، مرمّل بالدماه، مقطّع الأعضاء، يا محمداه، وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا، قال: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق»^(١).

هذا غيْضٌ من فيض من الأحاديث الواردة في الصحاح والمسانيد، وكلمات علماء أهل السنة التي توحى بضرورة حبّ آل الله.

الاتّجاه التحليلي

من الواضح أنّ لشهادة الحسين عليه السلام إضافةً إلى بُعدها العاطفي أبعاداً أخرى تتلخّص في البعد الإصلاحي، ومناهضة كلّ وجوه المنكر، بما فيه سلطة يزيد بن معاوية، ومن أهمّ التحدّيات الفكرية التي تواجه أهل السنة هي أسباب وأهداف وتداعيات هذه الحادثة من جهة، ودور يزيد وأذناؤه في تلك الفاجعة من جهةٍ أخرى، وقد انقسموا إزاء تعيين قتلة الحسين عليه السلام وإمكانية الصفح عنهم ولعنهم إلى طوائف. وقد ألقى معظم علماء أهل السنة وزر هذه الجريمة على يزيد وعمّاله، وجوّزوا لعنه حتى أنّ البعض تجاوز ذلك إلى التصريح بكفر يزيد وخروجه عن ربة الإسلام. وفي المقابل فإنّ ثلّة منهم ساورتهم الشكوك حيال جواز لعن يزيد بزعم براءته من تلك الجريمة واجتهاده وتأويله، كما أثارت في الوقت نفسه عجاج الشك حول فلسفة ثورة كربلاء ورسالتها ومبادئها الفكرية والدينية.

أهل السنة والنظريات الثلاث المعروفة

إنّ القيام التاريخي للإمام الحسين بن علي عليه السلام أثار منذ البداية ردود فعل المسلمين بما فيهم أهل السنة، وقد سلّط مؤرّخوهم وفقهاؤهم ومحدّثوهم عدسات البحث

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢١٠.

صوبها، وكتبوا حولها تقارير مباشرة أو غير مباشرة، وقد أدّى ذلك وعلى مرّ العصور إلى بلورة وجهات نظر مختلفة، تراوحت بين الإقبال والإدبار.

ولعلّ أول مَنْ اهتَمَّ بنقل وجهات النظر تلك أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي (٦٦١ - ٧٢٨هـ)، حيث قام بتحليل وجهات النظر المذكورة حول ثورة كربلاء، وتصنيفها إلى ثلاث فرق، إذ قال:

افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق، طرفان ووسط، فأحد الطرفين قالوا: إنّه كان كافراً منافقاً، وإنّهُ سعى في قتل سبط رسول الله تشفياً من رسول الله ﷺ وانتقاماً منه، وأخذاً بثأر جدّه عتبة وأخي جدّه شيبه وخاله الوليد بن عتبة، وغيرهم ممّن قتلهم أصحاب النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر وغيرها، وقالوا: تلك أحقّادٌ بدرية وآثار جاهلية، وهذا القول سهلٌ على الرافضة الذين يكفّرون أبا بكر وعمر وعثمان، فتكفير يزيد أسهل بكثير.

والطرف الثاني يظنّون أنّه كان رجلاً صالحاً وإماماً عادلاً، وإنّهُ كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي ﷺ، وحمله على يديه وبرّك عليه، وربّما فضّله بعضهم على أبي بكر وعمر، وربّما جعله بعضهم نبياً، وهذا قول غالية العدوية والأكراد ونحوهم من الضّلال.

والقول الثالث: إنّه كان ملكاً من ملوك المسلمين له حسنات وسيئات، ولم يُولد إلّا في خلافة عثمان، ولم يكن كافراً ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين، وفعل ما فعل بأهل الحرّة ولم يكن صحابياً ولا من أولياء الله الصالحين، وهذا قول عامّة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة، ثمّ افترقوا ثلاث فرق: فرقة لعنته، وفرقة أحبّته، وفرقة لا تسبّه ولا تحبّه، وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد، وعليه المقتصدون من أصحابه

وغيرهم من جميع المسلمين^(١).

وقد عدّ ابن الجوزي الذي ينتمي إلى الموالين للعن يزيد، الغزالي في طليعة أنصار يزيد. وعلى أية حال، فقد ارتضى علماء القرون اللاحقة هذا التقسيم، منهم عبد الحي العكبري الدمشقي، وهو من علماء القرن الحادي عشر في كتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) حيث قال:

«والناس في يزيد ثلاث فرق: فرقة تحبه وتتولّاه، وفرقة تسبه وتلعنه، وفرقة متوسطة في ذلك، لا تتولّاه ولا تلعنه، وقال: هذه الفرقة هي المصيبة، ومذهبها هو اللاتق لمن يعرف سير الماضين، ويعلم قواعد الشريعة الطاهرة»^(٢).

تأمل في هذا التصنيف

تدلّ القرائن التاريخية على أنّ ابن تيمية قد حاد عن جادة الصواب في هذا الموضوع، على غرار سائر أفكاره حول الإسلام، عندما قسّم لعن يزيد بين أهل السنة إلى ثلاث فرق، وهذا التصنيف هو أقرب إلى ميوله وعقائده منه إلى الواقع الفكري القائم بين أهل السنة.

المنظرة السائدة لدى أهل السنة

تصدّى معظم أهل السنة ومن زوايا متعدّدة وبتعابير مختلفة إلى الدفاع عن نهضة كربلاء وأحقية الحسين بن علي عليه السلام، وذم يزيد بن معاوية ولعنه من جهات مختلفة، وفي الواقع فإنّهم ذهبوا إلى أنّ جريمة يزيد لا تُغتفر، ومن هذا الباب فكّفه مُحرز، وهذا ما يجعل سبه ولعنه مباحاً، ولا يقبل أيّ عذر في هذا الصدد.

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى: ج ٤، ص ٤٨٧.

(٢) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ص ٦٩ - ٧٠.

وقد قام بعضهم بلعن يزيد صراحةً ودون تورية، كما قام البعض الآخر بذكر الصفات الإنسانية والإسلامية البارزة للإمام الحسين عليه السلام، وبيان شهادته وأصحابه، وبذلك قد أمضوا لعن يزيد مواراة.

موافقون من أمراء بني أمية

تشهد المصادر التاريخية أنّ يزيد لم يطرد من قبل فقهاء أهل السنة الذين أنكروا حيازته للشروط اللازمة لتصديّ مقام الخلافة الإسلامية فحسب، بل إنّ بعض أبرز أمراء بني أمية تعاطوا مع هذه المسألة بإيجابية، ورفضوا شرعية خلافته وأحقّية موقفه أمام الحسين بن علي عليه السلام، وبهذا النحو أزيلت عقبةٌ كأداء بوجه لعنه وسبّه من منظور أتباعه، وهو خلافته الشرعية.

ولعلّ أشهرهم هو معاوية بن يزيد، الذي تمّ ترشيحه من قبل البلاط الأموي لتصديّ الخلافة بعد هلاك يزيد، صعد المنبر لما ولي العهد وخاطب الأمويين وأهل الشام بقوله:

«إنّ هذه الخلافة جبل الله، وإنّ جدّي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحقّ به منه علي بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثمّ قلّد أبي الأمر، وكان غير أهله، ونازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقصف عمره وانبت عقه وصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثمّ بكى وقال:

«إنّ من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبؤس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله، وأباح الخمر، وخرّب الكعبة، ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أذوق مرارتها، ولا أتقلّدها، فشأنكم في أمركم، والله، لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً وإن كانت شراً فكفى

ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها»^(١).

ولم يقتصر الأمر عليه بل إنَّ عمر بن عبد العزيز أحد خلفاء بني أمية الذي حظى بتأييد واسع من قبل فقهاء أهل السنة، أبرز امتعاضه لدى سماعه إطلاق عنوان أمير المؤمنين على يزيد بن معاوية، وهذا يدلُّ على الانحلال الخلقي ليزيد، وعدم إمكان التكتّم عليه، وبالتالي جواز لعنه.

قال نوفل بن أبي الفرات: «كنت عند عمر بن عبد العزيز، فذكر رجل يزيد، فقال: أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال له عمر: تقول يزيد أمير المؤمنين؟! وأمر به فُضرب عشرين سوطاً»^(٢).

ولم تساور الحسن البصري (٢١ - ١١٠هـ) وهو من جملة علماء أهل السنة المعروفين، الشكوك حيال فساد يزيد وجرائمه، بل إنَّه تجاوز ذلك إلى فساد معاوية بن أبي سفيان، وإنَّه ارتكب أربع موبقات.

قد كانت في معاوية هنات لو لقي أهل الأرض ببعضها لكفاهم: وثوبه على هذا الأمر واقتطاعه من غير مشورة من المسلمين، وادّعاؤه زياداً، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، وبتوليته مثل يزيد على الناس^(٣).

وكذلك تعرّض لمسألة البيعة ليزيد التي طرحها معاوية، والتي تعتبر من أهم أسباب شيوع الفساد في أوساط المسلمين، شاركه فيها المغيرة بن شعبة باعتباره أوّل من طرح الفكرة على معاوية، قال السيوطي:

(١) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، الصواعق المحرقة: ج ٢، ص ٦٤٢. القندوزي، سليمان بن إبراهيم، يابيع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ٣٦.

(٢) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ٢٤٥.

(٣) أنظر: سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٨٦.

قال الحسن البصري: «أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت، ونال من القراء فحكم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة، والمغيرة بن شعبة فإنه كان عامل معاوية على الكوفة، فكتب إليه معاوية: إذا قرأت كتابي فأقبل معزولاً، فأبطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك؟ قال: أمرت كنت أوطئه وأهيتته، قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك، قال: أو قد فعلت؟ قال: نعم، قال: ارجع إلى عملك، فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟ قال: وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة.

قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة»^(١).

تدل هذه الكلمات على أن الحسن البصري يعتقد أن فساد حكومة معاوية وولاية العهد ليزيد يعود إلى مخططات أبرمت خارج البيت الأموي من قبل عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، فلولاها لما حالف الأمويون النجاح في بلوغ مآربهم الفاسدة ورغباتهم الجانحة؛ إذ في ظل التحكيم نجا معاوية من ورطة الهلاك، وتمكّن من اعتلاء العرش عام (٤٠هـ) وفي عام (٦١هـ) وقعت فاجعة كربلاء، كما يعتقد أن الفساد سرى في أروقة الحكم الأموي، ممّا حدا بالإمام عليه السلام إلى مواجهة هذا الحكم الفاسد ومكافحة الفساد المستشري.

«عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: إن قوماً ينسبوننا إلى تولي يزيد، فقال: يا بني وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله؟! ولم لا يلعن من لعنه الله في كتابه؟! فقلت: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقال في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا

(١) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ١٦٤.

أَرْحَمَكُم * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿١﴾ فهل يكون فساد أعظم من القتل؟! ^(١).

فقهاء أهل السنة المتقدمين

من المعروف بين قدماء الفقهاء وزعماء المذاهب أن أحمد بن حنبل قد لعن يزيد بن معاوية نظراً لارتكابه جريمة كربلاء، تلك الجريمة التي لا تُغتفر، ولكن الواقع أن سائر زعماء أهل السنة يتفقون معه في ذلك، فهذا هو النعمان بن ثابت الكابلي المعروف بأبي حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ) وإمام المذهب الحنفي، كان من المناوئين لحكومة بني أمية، فقد عاش في زمن بني أمية وبني العباس، وكان علوي الهوى، ولم يكن يكتفم سخطه على بني أمية، وهو وإن لم يرفع لواء العصيان ضدهم إلا أنه جَوَّز ذلك، حيث قام بدعم وتأييد ثورة زيد بن علي زين العابدين عام (١٢١ هـ) ضد هشام بن عبد الملك معتبراً إياها ثورة شرعية ^(٢).

وأوضح دليل على هذا الموضوع تقرير السيوطي عن مخالفة أبي حنيفة والفقهاء المعروفين، كعبد الحميد بن جعفر وابن عجلان وآخرين لمنصور الدوانقي، مع أنهم قد عقدوا البيعة له.

لا شك أن معظم فقهاء أهل السنة قد ذهبوا إلى ضرورة اتباع الخليفة شرعاً وإطاعته، فيما إذا عُقدت البيعة له عن رضا ورغبة واختيار، وعلى هذا الأساس فقد رفع كل من أبي حنيفة، وعبد الحميد بن جعفر، وابن عجلان، وسائر فقهاء أهل السنة المعروفين آنذاك لواء العصيان على المنصور العباسي، رغم أخذ البيعة منهم عنوة،

(١) ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، الصواعق المحرقة: ص ٢٢٢.

(٢) أنظر: توكلي، محمد رؤوف، چهار إمام أهل سنت وجماعت (أئمة أهل السنة والجماعة الأربع): ص ٣٤.

وحينما قيل: «إنَّ في أعناقنا بيعة للمنصور»، قال مالك بن أنس: «ليس على مكروه يمين»^(١).

وأما أبو عثمان عمرو بن الجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥هـ) الذي صنّف آثاراً إسلامية وأدبية لا حصر لها ذاع على أثرها صيته في الآفاق، فقد انهال على يزيد باللعن رغم ميوله الشديدة لحكومات عصره، حيث كتب في رسالة بني أمية، يقول: «المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين، وحمله بنات رسول الله ﷺ سبايا، وقرعه ثانياً الحسين بالعود، وإخافته أهل المدينة، وهدم الكعبة، تدلّ على القسوة والغلظة والنصب، وسوء الرأي والحقد والبغضاء، والنفاق والخروج من الإيمان، فالفاسق ملعون، ومن نهى عن شتم الملعون ملعون»^(٢).

وقد أورد الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠هـ) عن النبي ﷺ حديثاً صحيحاً ذكر فيه وجوب حرمة الحسين عليه السلام وأهل بيته، ثم تطرّق إلى سجل يزيد وابن زياد الأسود في كربلاء والكوفة والشام، ونكّ يزيد بقضيبيّ ثانياً الحسين عليه السلام، وصنّف في هذا الصدد كتاب (مقتل الحسين بن علي عليه السلام)، حيث أورد فيه أحاديث لا حصر لها عن مكانة الحسين عليه السلام وشهادته، ممّا ينم عن موافقته على لعن يزيد وكفره، ذلك أنّ المخالفين كذبوا وقوع تلك الأحداث في كربلاء والكوفة والشام.

وصنّف القاضي أبو يعلى الحنبلي (٣٨٠ - ٤٥٨هـ) كتاباً ذكر فيه بيان من يستحقّ اللعن وذكر منهم يزيد، وقال في الكتاب المذكور:

«المتنع من جواز لعن يزيد، إمّا أن يكون غير عالم بذلك، أو منافقاً يريد أن يوهم

(١) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ٢٦١.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ (الرسالة الحادية عشرة في بني أمية): ص ٢٩٨.

بذلك، وربما استفزّ الجاهل، بقوله: المؤمن لا يكون لعناً^(١).

كما كتب الأجهوري ينقل عن أستاذه يقول:

«وقد اختار الإمام محمد بن عرفة والمحققون من أتباعه كفر الحجاج، ولا شك أنّ

جريمته كجريمة يزيد بل دونها^(٢).

ولم يقتصر الموافقون على كفر يزيد وجواز لعنه على مَنْ ذكرنا، بل هناك مَنْ جَوَّز اللعن كابن حزم الأندلسي وجلال الدين السيوطي، اللذين ذهبا إلى انتهاء أمد الخلافة الإسلامية بعد صلح الحسن عليه السلام وانتهاء حكمته، وقد نقل السيوطي: «أخرج ابن أبي شيبة في المصنّف عن سعيد بن جهمان، قال: قلت لسفينة: إنّ بني أمية يزعمون أنّ الخلافة فيهم، قال: كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك من أشدّ الملوك، وأوّل الملوك معاوية^(٣)».

وأورد حديثاً عن الإمام أحمد عن سعيد بن جهمان عن سفينة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة ثلاثون عاماً، ثم يكون من بعد ذلك الملك.

قال العلماء: ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وآله إلّا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن بن علي^(٤).

وقال أيضاً: وقتل الحسين وجيء برأسه في طست حتى وضع بين يدي ابن زياد، لعن الله قاتله وابن زياد معه ويزيد أيضاً، وكان قتله بكربلاء، وفي قتله قصّة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها، فإنّا لله وإنا إليه راجعون^(٥).

قال الشوكاني: «ولقد أفرط بعض أهل العلم.. فحكموا بأنّ الحسين السبط (رضي

(١) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٥٨.

(٢) الشبراوي، عبد الله بن محمد، الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ١٧٥.

(٣) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ٢٣٥.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٤.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٤٧.

الله عنه وأرضاه) باغٍ على الحمير السكير، الهاتك لحزمة الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية (لعنهم الله)، فياللعجب من مقالات تقشعرّ منها الجلود، ويتصدّع من سماعها كلّ جلمود^(١).

وقد أفرد ابن عساكر (المتوفى ٥٧١هـ) المؤرّخ والرجالي المعروف، وصاحب كتاب تاريخ مدينة دمشق، بحثاً خاصاً بالحسين (عليه السلام) في كتاب ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام الحسين (عليه السلام)، تطرّق فيه إلى يزيد وأشعاره التي أنشدها في المجلس:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

وأضاف: فإن صحّت عنه فهو كافراً بلا ريب^(٢).

وقد أورد حديثاً: «أنّ قتلة الحسين بن علي في النار، وإن كاد الله أن يسحت أهل الأرض منه بعذاب أليم»^(٣).

ويرى الفيلسوف المعروف ابن رشد المالكي (٥٢٠ - ٥٩٥هـ) أنّ بيعة معاوية ليزيد قد غيرت مجرى الحياة الإسلامية، وهدمت الحكم الصالح في الإسلام، قال:

«إنّ أحوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من الصلاح، فكأنّما وصف أفلاطون حكومتهم في جمهوريته الحكومة الجمهورية الصحيحة، التي يجب أن تكون مثلاً لجميع الحكومات، ولكن معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم، وأقام مكانه دولة بني أمية وسلطانها الشديد، ففتح بذلك باباً للفتن التي لا تزال إلى الآن قائمة حتى في

(١) الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار: ج٧، ص١٤٧.

(٢) أنظر: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ج١، ص٦٩.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢٥٨، ومع هذا فإنّه اعتمد على طبقات ابن سعد ومقتله حينما تناول أحداث عاشوراء ويزيد بن معاوية، بدل الاعتماد على المصادر الموثوقة بها، كمقتل أبي مخنف، فوقع في تحرّصات وتأويلات ظنيّة بعيدة عن الواقع.

بلادنا هذه، يعني الأندلس»^(١).

وهذا النحو لا يرى أنّ جريمة كربلاء تنحصر بيزيد، بل إنّ منشأ الانحراف وتلك الجريمة يعود إلى معاوية وما قام به، بعد أن اعتبر كفر يزيد ولعنه أمراً مسلماً به.

وقد صنّف أبو الفرج بن الجوزي (٥١١ - ٥٩٧هـ) كتاباً في لزوم لعن يزيد تحت عنوان (الرد على المتعصب العنيد المانع من ذمّ يزيد) قال فيه: «أجاز العلماء الورعون لعنه.. وحكي عن الإمام قوام الدين الصفاري: لا بأس بلعن يزيد»^(٢).

وقال أيضاً: «واعلم أنّه ما رضي ببيعة يزيد أحد ممّن يُعوّل عليه، حتى العوام أنكروا ذلك، غير أنّهم سكتوا خوفاً على أنفسهم... وأجمع العلماء على أنّه لا يجوز التنصيب على إمام بالتشهّي، وأنّه لا بدّ له من صفات، وصفات الإمام وشروط الإمامة جمعها الحسين عليه السلام، لا يقاربه فيها أحد من زمانه... وإذا ثبت أنّ الصحابة كانوا يطلبون الأفضل وما يروونه إلّا حقّ، أفيشك أحد أنّ الحسين كان أحقّ بالخلافة من يزيد؟... ولو قيل لأجهل الناس: أيّهما أصلح الحسين أو يزيد؟ لقال: الحسين، فبان ما ذكرناه أنّ ولاية يزيد كانت قهراً، وإنّما سكت الناس خوفاً»^(٣).

وقد خصّص محمد بن طلحة النصيبي الشافعي (المتوفى ٦٥٢هـ) الباب الثالث من كتابه (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول) بالحسين عليه السلام حيث ذكر فيه ولادته ونسبه وتسميته وكنيته ولقبه، وما ورد في حقّه، وفي شجاعته وشرف نفسه وكرمه وكلامه، ثمّ ذكر أولاده وعمره وخروجه من المدينة إلى مكة ثمّ إلى العراق، ولما وصل إلى مصرعه ومقتله راح يطلق العنان لقلمه ليبوح عن مكنون قلبه تجاه السبط الشهيد،

(١) أنطون، فرج، ابن رشد وفلسفته: ص ٦٠.

(٢) المناوي، محمد بن علي، فيض القدير: ج ١، ص ٢٦٥.

(٣) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، الرد على المتعصب العنيد: ص ٦٨ - ٧١.

حيث نلمس فيه آيات الحزن العميق، قائلاً:

«وهو فصلٌ مضمونه يسكب المدامع من الأجفان، ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان، ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان، بما أجرته الأقدار للفجرة من الاجترأ وفتكها واعتدائها على الذرية النبوية بسفح دماؤها وسفكها، واستبائها مصونات نسائها وهتكها، حتى تركوا لم رجالها بنجيعها مخضوبة، وأشلاء جثثها على الثرى مسلوية، ومخدرات حرائرها سبايا منهوبة، فكم كبيرة من جريمة ارتكبوها واجترموها! وكم من نفس معصومة أزھقوها واخترموها!

وكم من كبد حرى منعوها ورود الماء المباح وحرموها!

ثم احتزوا رأس سبط رسول الله ﷺ وجثة الحسين عليه السلام بشبا الحداد، ورفعوه كما يرفع رأس ذوي الإلحاد على رؤوس الصعداء، واخترقوا به أرجاء البلاد بين العباد، واستاقوا حرمة وأطفاله أذلاء من الاضطهاد، وأركبهم على أخشاب الأقتاب بغير وطاء ولا مهاد. هذا مع علمهم بأنها الذرية النبوية المسؤول لها المودة بصريح القرآن وصحيح الاعتقاد، فلو نطق السماء والأرض لرثت لها ورثتها، ولو أطلعت عليها مردة الكفر لبكتها وندبتها، ولو حضرت مصرعها عتاة الجاهلية لأبكتها ونعتها، ولو شهدت وقعتها بغاة الجبابرة لأغاثتها ونصرتها.

فيا لها من مصيبة أنزلت الرزية بقلوب الموحدين فأورثتها! وبلية أحلت الكآبة بنفوس المؤمنين سلفاً وخلفاً فأحزنتها! فوا لهفتاه لذرية نبوية ظلّ دمها! وعتره محمدية فل مخدمها! وعصبة علوية خذلت فقتل مقدمها! وزمرة هاشمية استبيح حرمة واستحل محرمةا! (١). وكان يذكر ابن زياد بقوله: (زاده الله عذاباً) (٢).

(١) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٥١.

ثم أنشد في الحسين عليه السلام قائلاً:

مقام سؤال والرسول سؤال	ألا أيها العادون إنَّ أمامكم
وفاطمة الزهراء وهي تكول	وموقف حكم والخصوم محمد
له الحقّ فيما يدّعي ويقول	وإنّ علياً في الخصام مؤيد
وليس إلى ترك الجواب سبيل	فإذا تردون الجواب عليهم
ووزر الذي أحدثتموه ثقل	وقد سؤتموهم في بنيتهم بقتلهم
سوى خصمكم والشرح فيه يطول	ولا يرتجى في ذلك اليوم شافع
فإنّ له نار الجحيم مقيّل	ومن كان في الحشر- الرسول خصيمه
رعايتهم أن تحسنوا وتنبّلوا	وكان عليكم واجباً في اعتمادكم
ونهج هداهم بالنجاة كفيّل	فإنّهم آل النبي وأهلـه
له اغرر مجلوة وحجول	مناقبهم بين الورى مستنيرة
نمتها فروع قد زكت وأصول	مناقب جلّت أن تحاط بحصرها
ظهروا فما يغتالهن أفول ^(١) .	مناقب من خلق النبي وخلقه

وصرّح سعد الدين التفتازاني (٧٢٢ - ٧٩٢هـ) في كتابه المعروف بـ(شرح العقائد النسفية) بلزوم لعن يزيد، وقال: «اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر به أو أجاز به أو رضى به، قال: والحق أنّ رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانتته

(١) الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤل في مناقب آل الرسول: ص ٢٦٦.

أهل بيت رسول الله ﷺ ممّا تواتر معناه، وإن كان تفصيله آحاداً، وقال أيضاً: نحن لا نتوقّف في شأنه، بل في كفره وإيوانه (لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه)»^(١).

ولم يتردّد ابن العماد الحنبلي في لعن معاوية أو يزيد، وقال: «ولا يرد على ذلك ما ذكره العلماء من الإجماع على عدالة الصحابة، وأنّ المراد به الغالب وعدم الاعتداد بالنادر، والذين ساءت أحوالهم ولا بسوا الفتن بغير تأويل ولا شبهة، وقال الياضي: وأمّا حكم من قتل الحسين أو أمر بقتله ممّن استحلّ ذلك فهو كافر، وإن لم يستحلّ ففاسق فاجر»^(٢).

وقد كتب شمس الدين الذهبي (المتوفى ٧٤٧هـ) صاحب التصانيف المهمة مثل: «تاريخ الإسلام» و«سير أعلام النبلاء» حول يزيد بن معاوية يقول:

«كان ناصبياً، فظاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرة، فمقتته الناس، ولم يُبارك في عمره»^(٣).

أمّا إبراهيم بن محمد الجويني (٦٤٤ - ٧٣٠هـ) فقد كتب في كتابه النفيس (فرائد السمطين): «لما قُتل الحسين بن علي عليه السلام، بُعث برأسه إلى يزيد بن معاوية - عليه اللعنة والسخط -»^(٤).

وأشدّ جلال الدين محمد البلخي المعروف بمولوي (٦٠٤ - ٦٧٢هـ) أشعاراً حول واقعة كربلاء واستشهاد الحسين عليه السلام، معروفة لدى أرباب العلم والمعرفة والعرفان، أطلق عنوان (شهداء الله) على الحسين عليه السلام وأصحابه، ممّا ينمّ عن كفر يزيد وطغمته، قائلاً^(٥):

(١) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب: ج ١، ص ٦٨.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٦٩.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٤، ص ٣٨.

(٤) الجويني، إبراهيم بن محمد، فرائد السمطين: ج ٢، ص ١٦٦.

(٥) كجاييد اى شهيدان خدایى بلاجويان دشت كربلاى

كجاييد اى سبك روحان عاشق پرنده تر زمرغان هواىى

شهداء الله إلى أين رحلتم نحو أرض الطف للبلوى قدمتم
يا خفاف الروح يا رمز الهوى دونكم في الأفق أطيّار السما

وقد اعتبر المؤرّخ المعروف حمد الله المستوفي (المتوفى ٧٥٠هـ) في كتابه (التاريخ المنتخب) الإمام الحسن عليه السلام آخر الخلفاء الراشدين، واصفاً إياه بأمير المؤمنين، ورأى أنّ الحسين عليه السلام وأبناءه جديرون بالخلافة، وأنّ الحكم الأموي المتمثّل بيزيد غير شرعي^(١). هذا وأدلى عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٠ - ٨٠٨هـ) بدلوّه عندما تعرّض لشروط الخلافة، وتحليل الأوضاع السياسية للمسلمين عام (٦١هـ)، دون أن تراوده الشكوك إزاء فسق يزيد وعدم أهليته لتصدّي منصب الخلافة، ودعا إلى الابتعاد عن أي سوء فهم، أو التشكيك بأحقّية المواقف الإصلاحية للإمام الحسين عليه السلام وقداسته أهداف ثورة كربلاء، وكان يعتقد أنّ معاوية كان يجهل فسق يزيد وفجوره، ولو كان يعلم بذلك لما عهد إليه بالولاية، ويقول: «عهد معاوية إلى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الأمر إلى من سواهم، فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا عليه، مع أنّ ظنّهم كان به صالحاً ولا يرتاب أحد في ذلك، ولا يظنّ بمعاوية غيره، فلم يكن ليعهد إليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق»^(٢).

كما صرّح أنّ العدالة شرطٌ لازم للخلافة، وكان يزيد عارياً منها، لذلك فبيعته تفتقر إلى الطابع الشرعي، وهذا يقتضي (أنّ الخروج عليه متعيّن من أجل فسقه)^(٣). وعقد ابن الصباغ المالكي (٧٨٤ - ٨٥٥هـ) - وهو من أكابر علماء أهل السنة

(١) حمد الله المستوفي، تاريخ غزیده (التاريخ المنتخب): ص ١٩٨-٢٠١.

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدّمة ابن خلدون: ص ٢٠٦.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٢١٠.

وأشهر علماء المذهب المالكي - في الفصل الثالث من كتابه (الفصول المهمة في معرفة الأئمة) بحثاً ذكر فيه الحسين بن علي عليه السلام ومولده ونسبه وكنيته ولقبه، وفيما ورد في حقّه من جهة النبي صلى الله عليه وآله، وفي علمه وشجاعته وشرف نفسه وسيادته، وذكر كرمه وجوده، وذكر شيء من محاسن كلامه وبديع نظامه، وذكر مخرجه إلى العراق، كما ذكر مصرعه ومدة عمره وإمامته، ثم ختمه بذكر أولاده الكرام^(١).

وكان كلّما ذكر أسماء قتلة الإمام الحسين عليه السلام يردفه بـ (لعنه الله)^(٢)، وقد ذكر يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد، وأردفه بـ (لعنها الله)^(٣).

وكان عبد الرحمن جامي الهروي (٨١٧ - ٨٨٩ هـ) وهو من أبرز علماء السنة في العهد التيموري، يطعن بالشيعة وينال منهم وينقد أفكارهم، ورغم ذلك كان يعتقد أنّ مواقف علي عليه السلام ضدّ معاوية على حق وأنّ شنّ الحرب على الإمام عليه السلام خطأ ومنكر، ويقول:

حق در آنجا به دست حيدر بود جنگ با او خطا و منكر بود

وكانت له مواقف متشدّدة حيال اللعن، ويستنكر لعن أهل القبلة، إلّا أنّه عندما يذكر يزيد بن معاوية لا يتوقّف عن لعنه فقط بل ويلعن من أنكر لعنه^(٤).

وأما فضل الله بن روزبهان الخنجي (المتوفى ٩٢٧ هـ) الذي اتهم في كتابه (إبطال نهج الباطل وإهمال كشف العاقل) بالتعصّب المذهبي وانحرافه عن أهل البيت عليهم السلام، وأدّى ذلك إلى تصنيف كتاب (إحقاق الحق) ردّاً عليه، فإنّه حينما تناول شخصية ومكانة

(١) ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ص ١٧٠ - ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق: ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٧١.

(٤) عبد الرحمن جامي، مثنوي هفت اورنگ (مثنويات سبعة عروش): ص ١٧٨.

الحسين بن علي عليه السلام أسهب في الحديث عنه، وقال: «اللهم صليّ وسلّم على الإمام الثالث الملقّب بالشهيد، والشهيد هو الذي قُتل في ساحات الوغى ضدّ الكفار.. فقد شهر الإمام عليه السلام سيف الدفاع عن الدين بوجه جبّار عنيد متكبر، وفي هذا دلالة على رفضه لخلافة يزيد (عليه اللعنة والعذاب)»^(١).

وقد كتب في موضع آخر عن عظمة حادثة كربلاء يقول: «في الجملة لم تقع في الإسلام حادثة عظيمة كحادثة كربلاء، فلعنة الله بعدد علم الله على مَنْ حضر لقتال الإمام عليه السلام وشارك فيه وأمر بذلك ورضى به، وعلى مَنْ مارس الجور عليه وعلى جدّه وأبيه وأُمّه الزهراء (عليهم الصلوات والسلام) إلى يوم القيامة»^(٢).

وأنشد شمس الدين محمد بن طولون (المتوفى ٩٣٥هـ) في كتابه (الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية) أبياتاً في بيان أسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقال:

عليك بالأئمة الاثني عشر	من آل البيت المصطفى خير البشر
أبو تراب حسن وحسين	وبغض زين العابدين شين
محمد الباقر كم علم دري	والصادق ادعُ جعفرأبين الوري
موسى هو الكاظم وابنه علي	لقّبه بالرضا وقدره علي
محمد التقى قلبه معمور	علي التقى دره مشهور
والعسكري الحسن المطهر	محمد المهدي سوف يظهر

(٢) الخنجي الأصفهاني، فضل الله: وسيلة الخادم إلى المخدم در شرح صلوات چهارده معصوم (وسيلة الخادم إلى المخدم في شرح صلوات الأربع عشرة معصوم): ص٤٢، وص١٦١، وص١٦٤، وص١٧٠، وص١٧١.

(٢) المصدر السابق.

وذكر أنّ الحسين عليه السلام استشهد يوم عاشوراء عام (٦١هـ) في كربلاء، وله هناك مرقد معروف يُزار، ويقصده الناس للزيارة والتبرّك، ويقيمون له ماتم كلّ عام حزناً عليه، وقد أفرد كتاباً في هذا الصدد تحت عنوان: (هطل العين في مصرع الحسين)، ومن المؤسف أنّ هذا الأثر لعبت به أيدي الزمان.

وعلى أية حال، نستخلص من المصادر التاريخية أنّ الحسين عليه السلام وثورته الكبرى نالت إقبالاً واسعاً في أوساط أهل السنة في القرنين التاسع والعاشر، وراجت لدى كلا الفريقين إقامة المآتم ومجالس العزاء لإحياء ذكرى استشهاده، ويعدّ الكتاب المعروف بـ(روضة الشهداء) لملا حسين الكاشفي السبزواري (المتوفى ٩١٠هـ)، أول كتاب صُنّف باللغة الفارسية في بيان مصائب العترة الطاهرة عليهم السلام، وقد اتهم مؤلفه بالتسنن في سبزواري وبالتشيع في هرات، وذكر زين الدين محمود واصفي صاحب كتاب (بدائع الوقائع)، وهو من عرفاء أهل السنة المعروفين في العهد التيموري إقامة مجالس العزاء على الحسين عليه السلام من قبل أهل السنة في هرات ونيشابور وسائر بقاع العالم الإسلامي، كما أنّه هو نفسه كان يقيم المآتم لبيان مصائب السبط الشهيد.

وتطرق سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي البلخي (١٢٢٠ - ١٢٩٤هـ)، الذي يعدّ من أبرز علماء المذهب الحنفي في القرن الثالث عشر الهجري، تطرق في كتابه القيم (ينابيع المودة) إلى مناقب الأئمة عليهم السلام وفضائلهم، وكان يتحدث عن الحسين عليه السلام وقضية استشهاده بحزن وأسى ولوعة، وبعدما نقل حضور السبايا في مجلس يزيد يرسل اللعنات عليه ويقول: «ثم أمر يزيد الملعون أن يحضروا عنده حرم الحسين وأهل بيته»^(١).

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٧.

إِنَّ حَبَّ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَالْوَلَاءَ لَهُ وَلَعَنَ مَنْ قَتَلَهُ وَمَنْ أَمَرَ بِذَلِكَ قَدْ دَامَ قُرُونًا مديدة، وأقدم العديد من أهل السنة والجماعة على تصنيف كتب حول أهل البيت عليهم السلام، واستشهاد الحسين عليه السلام، أو على تخصيص فصل ببيان ذلك دون تحريف أو ترديد، وأنثوا عليه بأبلغ كلمات المدح والثناء، ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى كتاب (نور الأبصار) للشبلنجي، و(الإتحاف بحب الأشراف) للشبراوي، و(المناقب في مقالات وصفات المعصومين) لمحيي الدين بن عربي^(١).

نقاط للتأمل حول هذه النظرة

هذه النظرة التي تتلخص في الثناء على الحسين عليه السلام على مختلف الصعد ولعن يزيد وتكفيره، يمكن تحليلها وتقييمها من أبعاد مختلفة:

أ - هذه النظرة تستند إلى آيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية، حتى اعتبرها بعض المختصين محل اتفاق بين علماء الإسلام.

ب - يمكن القول: إِنَّ مَنْ تَبَنَّاها من أهل السنة لا ينحصر بعصرٍ خاص، أو مذهبٍ خاص، فقد انتشر الموافقون لها من دمشق مركز الحكم الأموي، وحتى مصر وإيران وخراسان والهند وما وراء النهر، ومن مختلف المذاهب.

وبهذا النحو يبدو أنه لا يلوح في الأفق عوامل تعيق الأبحاث العلمية والمنهجية لكشف حقائق التاريخ، وقد تمكّن العلماء على ضوء هذه الواقعية والدقة من الظفر

(١) وقال عبد الكريم بن ولي الدين مؤلف كتاب (مجمع الفوائد ومعدن الفرائد): «معلومٌ أن يزيد اللعين وأتباعه كانوا من الذين أهانوا أهل بيت الرسول ﷺ، فكانوا مستحقين للغضب والخذلان واللعنة من الملك الجبار المنتقم يوم القيامة، فعليه وعلى مَنْ اتَّبعه وأحبَّه وأعانه ورضاه به لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.. ثم قال: وأما منع بعضهم منه فليس من أجل عدم جوازه؛ لأنَّه جائزٌ بالاتفاق، بل من خوف السراية إلى أبيه معاوية». ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، الرد على المتعصب العنيد: هامش ص ٦. (الترجم).

بالحقائق بعيداً عن التعصّب الديني والقومي واللساني والحضاري والسياسي، وانتهوا إلى أنّ مواقف الحسين عليه السلام جاءت صورة طبق الأصل للدين والأصول الإسلامية، وأنّ مواقف يزيد على الجانب الآخر وتصبّ في صالح الشيطان. وفي هذا السياق فإنّ الموضوعية من جملة الأصول التي تشبّث بها المخالفون أيضاً، وأصرّوا على ضرورة مناقشة الأحداث التاريخية بعيداً عن العواطف والتعصّبات، حتى يتمكّن من نيل الحقائق دون مواربة أو تحريف.

ج - يستخلص من جملة أقوال الموافقين للعن يزيد وتكفيره، أنّ هذه النظرة قبل أن تكون نظرة مرحلية أو مذهبية أو سياسية فهي أصل عقائدي، ومن هذا الجانب فقد كان أهل السنة منذ القدم يحيون ذكرى عاشوراء كإخوتهم الشيعة، وقيمون ماتم على السبط الشهيد، ويتبرّعون بالنذور والأطعمة على صعيد واسع، وفي الواقع استشرى هذا الوضع منذ العهد الصفوي في إيران أواخر القرن التاسع، وجاء تدوين كتاب (روضة الشهداء) تلبيةً لمتطلّبات أهل السنة في هرات في العهد التيموري.

لم يدُم الوضع كما هو، فقد أخذت إقامة الماتم بين أهل السنة بالانحسار والأفول بعد العهد الصفوي؛ بسبب اتّخاذ مواقف مناوئة للسياسات الصفوية، وما بقاء مراسم العزاء في نقاط نائية لم تحتاحها السياسات المغرضة في مناطق سنية كالهند وباكستان وجنوب شرق آسيا وأفغانستان إلّا شاهد على هذا المدّعى.

علماء السنة المعاصرون وثورة كربلاء

بمضي الزمن اتخذت وجهات نظر مفكري أهل السنة حول ثورة كربلاء أبعاداً

أكثر وضوحاً^(١)، هذا الأمر انبثق من الضرورات الاجتماعية والسياسية، مثل ضرورة التأسي بالقائد والثورة باعتباره مصباحاً للهدى عند مواجهة مختلف الأزمات الثقافية والسياسية والاجتماعية الناشئة من الاستبداد والاستعمار من جهة، ومبعث أمل بانتهاء التعصب الناشئ من النظرة السياسية الضيقة للخلافة العباسية والعثمانية من جهة أخرى، وهذا الوضع فسح المجال أمام المثقفين وعلماء السنة للاقترب من الواقع أكثر. وقد لعب السيد جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ) - أحد المفكرين المعروفين في العالم الإسلامي - دوراً تاريخياً في الصحوة الإسلامية وإصلاح الفكر الديني، وله حول ثورة كربلاء جملة معروفة تكشف عن نظريته حول ضرورة وقيمة هذه الثورة وأهميتها في إحياء الدين وبقاء البعثة، هذه الجملة هي: «الإسلام محمدي الحدوث وحسيني البقاء»، فتورة كربلاء امتداد لبعثة الأنبياء لا سيما خاتمهم محمد صلوات الله عليه وآله، وهي ليست شرعية من الناحية الدينية فحسب، بل تعدّ ضرورة ملحة. وكان تلميذه الإمام محمد عبده، الذي لازمه وحمل أفكاره في مكافحة الاستبداد

(١) ومما يدلّ على ذلك قول الألوسي: «ويلحق بيزيد ابن زياد وابن سعد وجماعة وأمثالهم، فلعنة الله (عزّ وجلّ) عليهم أجمعين وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم ومن مال إليهم إلى يوم الدين، ما دمعت عينٌ على أبي عبد الله الحسين. ويعجبني قول شاعر العصر ذي الفضل الجلي عبد الباقي أفندي العمري الموصلّي، وقد سُئل عن لعن يزيد اللعين:

يزيد على لعني عريض جنباه
فأغدوبه طول المدى لعن اللعنا

ومن كان يخشى القال والقيّل من التصريح بلعن ذلك الضليل، فليقل: لعن الله (عزّ وجلّ) من رضي بقتل الحسين ومن أذى عترة النبي صلوات الله عليه وآله بغير حقّ، ومن غصبهم حقّهم، فإنّه يكون لاعتناؤه لدخوله تحت العموم دخولاً أولياً في نفس الأمر، ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ ونحوها، سوى ابن العربي وموافقيه، فإنهم على ظاهر ما نقل عنهم لا يجوزون لعن من رضي بقتل الحسين (رضي الله تعالى عنه)، وذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذي يكاد يزيد على ضلال يزيد». الألوسي، محمود بن عبد الله، تفسير روح المعاني: ج ٢٦، ص ٧٢. (المترجم).

والاستعمار، كان يرى عدم شرعية حكومة يزيد قبل فاجعة كربلاء، وكان يعتقد أنّ يزيد لم يكن خليفة للمسلمين، بل إنّ جهاده واجبٌ شرعيٌّ، وتكليفٌ دينيٌّ يقع على عاتق المسلمين كافةً، وقال: «إنّ الخروج على الحاكم المسلم إذا ارتدّ عن الإسلام واجبٌ، وأنّ إباحة المجمع على تحريمه كالزنا والسكر، واستباحة إبطال الحدود وشرع ما لم يأذن به الله كفر وردّة، وأنّه إذا وُجد في الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع وحكومة جائرة تعطلّه وجب على كلّ مسلم نصر الأولى ما استطاع.. ومن هذا الباب خروج الإمام الحسين سبط الرسول على إمام الجور والبغي الذي ولي أمر المسلمين بالقوة والمكر، يزيد بن معاوية خذله الله وخذل من انتصر له من الكرامية والنواصب»^(١).

وقد اعترض الدكتور طه حسين على بدعة معاوية في تنصيب يزيد لولاية العهد، والتي اعتبرها فاتحةً لانحرافات دينية وسياسية واسعة في عالم الإسلام قائلاً:

«وأمرٌ آخر استحدثه معاوية في الإسلام فغيّر به السنة الموروثة تغييراً خطيراً، وهو استخلاف ابنه يزيد بعده على سلطان المسلمين، ولم يكره المسلمون شيئاً في الصدر الأول من أيامهم كما كرهوا وراثته الخلافة، فقد عهد أبو بكر إلى عمر ولم يخطر له أن يعهد إلى أحدٍ من بنيّه، وزجر عمر من طلب إليه أن يعهد لعبد الله ابنه، ولم يخطر لعثمان أن يعهد إلى أحدٍ»^(٢).

وقال أيضاً:

«لقد قاتل معاوية علياً على دم عثمان من جهة، وعلى أن يردّ الخلافة شوري بين المسلمين من جهةٍ أخرى، فلما استقام له السلطان نسي ما قاتل عليه أو أعرض عما قاتل عليه، ولما أراد مصالحة الحسن عرض عليه أن يجعل له ولاية الأمر من بعده فأبى الحسن

(١) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار: ج٦، ص٣٦٧.

(٢) طه حسين، الفتنة الكبرى: ج٢، ص٢٢٥.

ذلك، واشترط فيما اشترط أن يعود الأمر بعد معاوية شورى بين المسلمين، يختارون لخلافتهم مَنْ أَحَبُّوا... فهو إذن كان يرى الشورى في أمر الخلافة قبل أن يستقيم له أمر الناس، وقبل أصل الشورى أثناء الصلح حين همَّ أمر الناس أن يستقيم له، ثم نسي هذا كله بأخرة.

ويقال: إنّ المغيرة بن شعبه هو الذي ألقى في قلبه هذا الخاطر، فمال إليه وشاور فيه زياداً، فأشار عليه بالأناة وبأن يصلح من سيرة يزيد.

وكان يزيد فتى من فتيان قريش صاحب لهُو وعبث، محباً للصيد مسرفاً على نفسه في لذاته، مستهتراً لا يتحفظ، وكان ربّما أضاع الصلاة، فأخذه أبوه بالحزم، وأغراه الروم، وأمره على الحج، يمهّد بهذا كلّ لتوليته العهد...

وكذلك استقرّ في الإسلام لأوّل مرة هذا الملك، الذي يقوم على البأس والبطش والخوف، والذي يرثه الأبناء عن الآباء، وأصبحت الأمة كأنّها ملك لصاحب السلطان، ينقله إلى مَنْ أَحَبَّ من أبنائه كما يُنقل إليه ما يملك من سائل المال وجامده^(١).

وقد عكس المفكر المعاصر والمصلح الكبير محمد إقبال اللاهوري أفكاره في أشعار يُثني فيها على الحسين عليه السلام، ويعتبره جديراً بالخلافة والثورة، ويصفه بأنّه مولى أبرار العالم، وقوة عضد لأحرار العالم^(٢)، وعليه فالحسين عليه السلام لا يختص بالمسلمين، بل لأهل الحقّ قاطبة الذين تعلموا منه درس الحرية، ويصف ثورته بأنّها أعظم رمز لإنارة الحقّ والحرية الذي ينشده البشر، وأنها استمرار لخطّ الأنبياء الإلهيين ضدّ الطواغيت

(١) طه حسين، الفتنة الكبرى: ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) قال إقبال:

قوّت بازوى أحرار جهان

وان دگر مولای أبرار جهان

أهل حقّ حرّيت آموز از حسين

در نوای زندگى سوز از حسين

والجباية في طول التاريخ، كما اعتبر يزيد مظهراً من مظاهر الكفر والشرك والظلام، ووارث الكفار والجبابرة، كشداد ونمرود وفرعون وأبي جهل، وفي الواقع فإن إقبال قد سلب عنوان المسلم عن يزيد رغم ظاهره الإسلامي الخداع، فما بالك أن يتصدى الخلافة الدينية ومقام أولي الأمر.

وقد توصل الأستاذ محمد عبد الباقي الخبير بالعلوم الإسلامية والمتصل بتفسير القرآن والتاريخ والحديث، بعد دراسة واسعة إلى عدم شرعية خلافة يزيد وولاية عهده، وحمية المضي في سبيل الثورة من قبل الحسين عليه السلام لأداء التكليف الإلهي، بهدف التعريف بالإسلام الأصيل وإفشاء الوجه القبيح ليزيد بن معاوية، حيث قال:

«لو بايع الحسين يزيد الفاسق المستهتر، الذي أباح الخمر والزنا، وحطّ بكرامة الخلافة إلى مجالسة الغانيات، وعقد حلقات الشراب في مجلس الحكم، والذي ألبس الكلاب والقروء خلاخل من ذهب ومئات الألوف من المسلمين صرعى الجوع والحرمان، لو بايع الحسين يزيد أن يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الوضع لكانت فتياً من الحسين بإباحة هذا للمسلمين وكان سكوته هذا أيضاً رضياً، والرضى من ارتكاب المنكرات ولو بالسكوت إثم وجريمة في حكم الشريعة الإسلامية، والحسين بوضعه الراهن في عهد يزيد هو الشخصية المسؤولة في الجزيرة العربية، بل في البلاد الإسلامية كافة عن حماية التراث الإسلامي؛ لمكانته في المسلمين، ولقربته من رسول رب العالمين؛ ولكونه بعد موت كبار المسلمين كان أعظم المسلمين في ذلك الوقت علماً وزهداً وحسباً ومكانة، فعلى هذا الوضع أحسّ بالمسؤولية تناديه وتطلبه لإيقاف المنكرات عند حدها، ولا سيما أن الذي يضع هذه المنكرات ويشجع عليها هو الجالس في مقعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^(١).

(١) محمد عبد الباقي، الثائر الأول في الإسلام: ص ٧٩.

وقال الأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود:

«ورأى الحسين أنه مطالب الآن - يعني بعد هلاك معاوية - أن يعلن رفضه لهذه البيعة، وأن يأخذ البيعة لنفسه من المسلمين، وهذا أقل ما يجب، حفاظاً لأمر الله، ورفعاً للظلم، وإبعاداً لهذا العاث - يعني يزيد - عن ذلك المنصب الجليل»^(١).

وتشكّل ولاية عهد يزيد وخلافته عند الدكتور أحمد محمود صبحي انحرافاً خطيراً عند أهل السنة، وقد أدّى الحسين عليه السلام بحركته تلك مهامه الدينية، وقال:

«إنّه في ظلّ دولة يقوم نظامها السياسي على أسس دينية لا تُعدّ البيعة أو انتخاب الحاكم مجرد عمل سياسي، ففي إقدام الحسين على بيعة يزيد انحراف عن أصل من أصول الدين، من حيث إنّ السياسة الدينية للمسلمين لا ترى في ولاية العهد ووراثته الملك إلا بدعة هرقلية دخيلة على الإسلام، ومن حيث إنّ اختيار شخص يزيد مع ما عرف عنه من سوء السيرة وميله إلى اللهو وشرب الخمر ومنادمة القروء، ليتولّى منصب الخلافة عن رسول الله، أكبر رزء يحلّ بالنظام السياسي للإسلام، يتحمّل وزره كلّ من شارك فيه ورضى عنه، فما بالك إذا كان المقدم على ذلك هو ابن بنت رسول الله.

كان خروج الحسين إذاً أمر يتّصل بالدعوة والعقيدة أكثر ممّا يتّصل بالسياسة والحرب، ولقد أراد الحسين أن يصلح كثيراً من مسائل العقيدة بعد أن اختلّت الموازين أثناء خلافة معاوية، ذلك أنّ معاوية لم يكن يدعم ملكه بالقوّة فحسب، ولكن بأيدولوجية تمسّ العقيدة في الصميم، فلقد كان يعلن في الناس أنّ الخلافة بينه وبين عليّ قد احتكما فيها إلى الله، وقضى الله له على عليّ، وكذلك حين أراد أن يطلب البيعة لابنه يزيد من أهل الحجاز أعلن أنّ اختيار يزيد للخلافة كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة في أمرهم، وهكذا كاد يستقرّ في أذهان المسلمين أنّ كلّ ما يأمر به الخليفة حتى لو كانت طاعة الله في خلافه

(١) أبو السعود، عبد الحفيظ، سبط الرسول: ص ١٣٣.

قضاء من الله قد قُدر على العباد»^(١).

لذلك لم يكن يزيد أهلاً لتولي الخلافة الدينية ولم يكن يتمتع بالمعايير الإسلامية والدينية، لذلك كان الواجب يحتم عليه عليه السلام القيام بوجه الحكم الأموي الذي استحلّ حرّات الله، ونكث عهوده، وخالف سنة رسول الله ﷺ، وهو عليه السلام القائل:

«إنّ هؤلاء قومٌ لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد في الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا الخمر، واستأثروا في أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله، وإعزاز شرعه، والجهاد في سبيله؛ لتكون كلمة الله هي العليا»^(٢).

وقد كتب عبد الله العلابي أنّ خلافة يزيد غير شرعية ولا يصحّ للمسلم السكوت معه أبداً، وقال:

«ثبت لمفكرى المسلمين عامّة في ذلك الحين أنّ يزيد بالنظر إلى خلقه الخاص وتربيته ذات اللون المتميز سيكون أداة هدامة في بناء الحكومة والدين معاً، وعدّوا ولايته منكراً كبيراً، لا يصحّ للمسلم السكوت معه أبداً، ومن واجبه الجهر بالإنكار، إذا فحركة

(١) صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: ص ٣٣٤.

(٢) ومما يحسن هنا أن نشير إلى كلام قيّم للعقاد قال فيه: «وأعجب شيء أن يُطلب إلى الحسين بن علي أن يبيع مثل هذا الرجل ويزكيه أمام المسلمين، ويشهد له عندهم أنّه نعم الخليفة المأمول، صاحب الحقّ في الخلافة، وصاحب القدرة عليها، ولا مناصّ للحسين من خصلتين: هذه أو الخروج؛ لأنّهم لن يتركوه بمعزل عن الأمر لا له ولا عليه. إنّ بعض المؤرّخين من المستشرقين وضعاف الفهم من الشرقيين ينسبون هذه الحقيقة، ولا يولونها نصيباً من الرجحان في كَفّ الميزان، وكان خليفاً هؤلاء أن يذكروا أنّ مسألة العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، وأنّه كان رجلاً يؤمن أقوى الإيثار بأحكام الإسلام، ويعتقد أشدّ الاعتقاد أنّ تعطيل حدود الدين هو أكبر بلاء يحيق به وبأهله، وبالأئمة قاطبة، في حاضرها ومصيرها، لأنّه مسلم، ولأنّه سبط محمد، فمن كان إسلامه هداية نفس، فالإسلام عند الحسين هداية نفس وشرف بيت». العقاد، عباس محمود، أبو الشهداء الحسين: ص ١١٤-١١٥. (المترجم).

(٣) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢١٨.

الحسين عليه السلام لم تكن في حقيقتها ترشيحاً لنفسه، بل للإنكار على ولاية يزيد أولاً وبالذات،
بدليل قول الحسين للوليد لما طلبه للبيعة: إنَّ يزيد فاسق مجاهر لله بالفسوق، وكما قلنا، كان
هذا الشعور والاستياء عامّاً في المسلمين»^(١).

لقد بلغ عدد علماء السنة الذين صرحوا بعدم شرعية خلافة يزيد وولاية عهده
حداً لا يُحصى.

وهنا نجد من المناسب أن نعرِّج على كلام للشليبي من أساتذة جامعة الأزهر، فقد
أشار عند استعراضه لبحث أدوار الفقه الإسلامي وسير الاجتهاد في الإسلام إلى
عوامل اختلاف الاجتهاد، وكتب يقول: «انصراف الخلفاء الأمويين إلى السياسة
وابتعادهم عن سيرة السلف من الخلفاء فأحدثوا أموراً لم تكن مشروعة في الإسلام، ممّا
جعل العلماء ينظرون إليهم نظرةً أخرى غير نظرهم للخلفاء الراشدين، فاجتنبوهم
وحصلت الجفوة بينهم، ولم يُعدّ للشورى مكانها الأوّل، فلقد أحدثوا ولاية العهد، فكان
الخليفة يجمع الناس في حياته ليعقد البيعة لابنه أو لأخيه - إن لم يكن له ابن - ينتزع منهم
بيعة صورية يكره الناس عليها بقوّته وسلطانه، ولا يترك الأمر شورى للمسلمين.

ولما في هذا الأمر من مخالفة لأصول الشريعة أباه الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز،
وأعلن في الناس أنّه متنازل عن الخلافة لما آلت إليه، فلقد دخل المسجد بعد أن تولّى الخلافة
مباشرةً ومعه المسلمون فصعد المنبر، ثمّ قال: أيّها الناس، إنّي قد ابتليت بهذا الأمر عن غير
رأي منّي فيه، ولا طلباً له ولا مشورة من المسلمين، وإنّي قد خلعت ما في أعناقكم من
بيعتي فاختروا لأنفسكم.

فتصارع من في المسجد وقالوا بصوت واحد: قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ولما حضرته
الوفاة طلب منه الناس أن يعهد بالخلافة إلى من يحبّ، أبى وحذّر المسلمين أن يقعوا فيها

(١) العلايلي، عبد الله، سمو المعنى في سمو الذات: ص ٨٤.

وقع فيه بنو أمية من الخروج على الإسلام في أصل من أصوله»^(١).

كما أكد في موضع آخر على أنّ ولاية العهد تخالف عقائد أهل السنة، قائلاً: «كان رأيهم (أهل السنة والجماعة) في الخلافة أنّها ليست وصية لأحد، بل الخليفة يُنتخب من أكفأ قريش، عملاً بالحديث (الأئمة من قريش)، فما كان رأيهم في الصحابة أنّهم سواء، وأنّ ما صدر عنهم من الخلاف كان اجتهاداً أو تأويلاً»^(٢).

وفي الختام تجدر الإشارة إلى علماء آخرين من أهل السنة، كأبي الأعلى المودودي، ومحمود العقاد، ومحمد كامل البنا، وخالد محمد خالد، والسيد على جلال الحسيني، ومحمد الغزالي، وحسن إبراهيم حسن، وإبراهيم عبد القادر المازني، وآخرين ممن ذهبوا إلى أنّ ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة نبيلة دينية قامت بوجه الجهاز الطاغوتي الحاكم، الذي شيّد أركانه معاوية ودام على يد يزيد، وكان يزيد جرثومة للحكم الأموي الارستقراطي غير الديني، والذي ارتكب مجزرة كربلاء عن وعي وكانت له أهداف وبرامج للإطاحة بالدين وقيمه.

ونقل إبراهيم حسن وقائع خلافة يزيد، وأنّ أمّه بجدل الكلية البدوية التي كانت تفضّل العيش في البادية على دمشق، وقد ترعرع يزيد في تلك الأجواء^(٣).

وقد وجد إبراهيم عبد القادر المازني في شخصية الحسين عليه السلام شخصية مضحية مؤمنة برسالتها، وأنّ تصوّرات بعض أهل السنة والتي تبنتي على أنّ الحسين عليه السلام شاهد رؤيا عن النبي صلى الله عليه وآله يأمره بالثورة ضدّ الحكم الأموي عارية عن الصحة، بل إنّ نظام بني أمية وبسبب واقعه الفاسد دفع بالإمام عليه السلام إلى إعلان ثورته، مع أنّه كان على اطلاع تامّ

(١) شلبي، محمد مصطفى، المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي: ص ١٢٣.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٢.

(٣) أنظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ج ١، ص ٢٨٥.

بالأوضاع والظروف السائدة آنذاك، وهو بهذه الثورة وجه الحقد العميق في قلوب المسلمين صوب الجهاز الأموي، وبعد استشهاده أصبحت كل قطرة من دمه وكل كلمة له وحتى اسمه وذكره تقض مضاجع بني أمية وتهدد بنيانهم^(١).

وكتب عبد الرحمن الشرقاوي وهو كاتب مسرحي مصري، كتب عن القضايا التاريخية والتي من جملتها ثورة كربلاء الكبرى، وكان يقول: «حب الحسين هو ذلك الحب الحزين الذي يخالطه الإعجاب والإكبار والشجن، ويشير في النفس أسمى غامضاً، وحينئذ خارقاً إلى العدل والحرية، والإخاء وأحلام الخلاص»^(٢)، فقد أبرز جانب العدالة^(٣)

(١) أنظر: المازني، إبراهيم عبد القادر، الرسالة: ص ٦١٣ - ٦١٥.

(٢) الشرقاوي، عبد الرحمن، الحسين ثائراً وشهيداً: ص ٧.

(٣) يقول الشرقاوي على لسان الحسين عليه السلام:

إذا الرذائل أصبحت هي وحدها الفضلى الحسبية

وإذا حكمتكم من قصور الغانيات

وإذا تحكّم فاسقوكم في مصير المؤمنين

وإذا طغى قرع الكؤوس على النواح

وإذا اختفى نغم الإخاء

وإذا شكا الفقراء واكتظّت جيوب الأغنياء

وإذا خشيت أن يقول الحق منكم واحد في صحبه أو بين أهله

فلتذكروني عند هذا كله ولتنهضوا باسم الحياة

كي ترفعوا علم الحقيقة والعدالة

فلتذكروا ثأري العظيم لتأخذوه من الطغاة

وبذاك تنتصر الحياة

فإذا سكتم بعد ذاك على الخديعة

وارتضى الإنسان ذلّه

فأنا سأذبح من جديد وأظل أقتل من جديد

سأظل أقتل كلما رغمت أنوف في المذلة

ويظل يحكمكم يزيد ما ويفعل ما يريد

الشرقاوي، عبد الرحمن، الحسين ثائراً وشهيداً: ص ٤٣٨ - ٤٣٩. (المترجم).

في هذه الثورة والتي أُهدرت في عهد معاوية ويزيد، وتفاقم الظلم والتمييز والجور تحت عناوين ومسمّيات مختلفة، وبهذه النظرة اعتبر ثورة كربلاء ملهمة للثورات والنهضات الإسلامية لدى الفريقين على حدّ سواء نحو العدالة والخلاص^(١).
وقد صنّف أحد كتّاب أهل السنة - وهو خالد محمد خالد - كتاباً تحت عنوان (أبناء الرسول في كربلاء) مؤكّداً فيه أنّ كربلاء درس ونموذج خالد وحيّ للمسلمين كافّة، ومبعث للسرور؛ لأنّ الحسين عليه السلام وأصحابه خرجوا مرفوعي الرأس من هذا الامتحان العظيم مثلما خرج إبراهيم عليه السلام، وبذلك يصبح عاشوراء كعيد الأضحى السعيد^(٢).

الفئة المخالفة من أهل السنة

ذكرنا فيما سبق أسماء الموافقين للعن يزيد في مقابل فئة قليلة ندّدت بمواقف يزيد وذمّتها، خاصّةً في فاجعة كربلاء، إلّا أنّها احتريزت عن لعنه، بل قامت بتبرير جرائمه في كربلاء للحيلولة دون سلب الشرعية عن خلافته.
ويبدو أنّ الجانب المهم لشهادة الحسين عليه السلام هو الجانب الجنائي لا الجانب العاطفي أو الحماسي؛ ذلك أنّ تلك الفئة قد أبرزت تعاطفها حيال ما جرى، إلّا أنّها أنكرت الجانب الجنائي لهذه الحادثة، ويزيد وأتباعه مع ما ارتكبه من جرائم لم تلعنهم فحسب، بل أعلنت براءتهم من تلك الجريمة المروعة باعتباره خليفة للمسلمين.
ومن الواضح أنّ تلك الفئة لم تتفق فيما بينها من الناحية الفكرية والعقائدية فكلّ واحد منها قد ركّز على جانب من جوانب استشهاد الحسين عليه السلام، وأثار تساؤلات بشأنه.

(١) أنظر: الشرقاوي، عبد الرحمن، الحسين ثائراً وشهيداً: ص ٦٠.

(٢) أنظر: خالد محمد خالد، أبناء الرسول في كربلاء: ص ٣٥.

فهذا هو أبو حامد الغزالي لعلّه أوّل مَنْ أثار تساؤل حول شهادة الحسين عليه السلام صراحةً^(١)، ولم يجوز لعن يزيد قائلًا:

«فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنّه قاتل الحسين أو أمره به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يُقال: إنّه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة؛ لأنّه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق»^(٢).

بينما تراه في بداية بحث اللعن والسبّ يعلن صراحة لعن الشيعة دون استثناء ودون التمييز بين فرقها، ولعلّ هذا الموقف المتطرّف منه من جهة، وموقفه المتحقّظ حيال جرائم يزيد وعدم جواز لعنه من جهة أخرى، أدّى إلى إدراج الغزالي في عداد المحيّين ليزيد، كما صرّح ابن تيمية بأنّ ممّن جوّز محبّته أو كان من محبّيه الغزالي ومجموعة لديهم مصادرهم الخاصّة^(٣).

وهذا الأمر دعا ببعض المعاصرين^(٤) إلى القول:

(١) قال الشبراوي: «لا يشكّ عاقل أنّ يزيد بن معاوية هو القاتل للحسين؛ لأنّه الذي ندب عبيد الله بن زياد لقتل الحسين». الشبراوي، عبدالله بن محمد، الإنحاف بحبّ الأشراف: ص ١٧٤. (المترجم).

(٢) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين: ٣/ ١٣٥.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المنتخب من مدونات التراث: ص ٧١.

(٤) وأنشد الحكيمُ السَّنائي الغزنوي، وهو شاعر فارسي شهير من أهل السنة حينما سمع فتوى الغزالي - الذي كان يعاصره - فى المنع عن لعن يزيد وآل أبى سفيان؛ أنشد بالفارسية:

داستان پسر هند مگر نشنیدی؟!

که ز او وسه کس او پیّمبر چه رسید!!

پدر او دُر دندان پیّمبر بشکست!!

مادر او جگر عمّ پیّمبر بدرید!!

خود بناحق، حق داماد پیّمبر بستاند!!

پسر او سر فرزند پیّمبر بیرید!!

بر چنین قوم چو "لعنت" نکنی؟! شرمت باد!!

لَعَنَ اللهُ يَزِيدَ وَكَذَا آلَ يَزِيدَ!!

المهدوى، إبراهيم، دائرة المعارف للعلم والمذهب، تحت عنوان: السَّنائي الغزنوي. (المترجم).

«ومن المؤسف أنّ الغزالي قد هام حباً بيزيد، وغالى في الإخلاص له والدفاع عنه... وسفّ الغزالي في كلامه على غير هدى، فقد تنكّر للبهديات كما تنكّر لها زميله ابن تيمية»^(١).

وردّ الدكتور طه حسين على مزاعم الموافقين لبراءة يزيد من قتل الحسين عليه السلام، قائلاً:

«والرواة يزعمون أنّ يزيد تبرّأ من قتل الحسين، وألقى عبء هذا الإثم على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد، ولكنّا لانراه لام ابن زياد ولا عاقبه ولا عزله عن عمله كلّ أو بعضه، ومن قبله قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه، ثمّ ألقى عبء قتلهم على زياد، وقال: حملني ابن سمية فاحتملت»^(٢).

وقام أبو بكر بن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣هـ) بتحليل شهادة الحسين عليه السلام وحكومة يزيد والدفاع عنه، وصنّف كتاب (العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله)، ونقد مواقف أهل البيت عليهم السلام والشيعة من جوانب مختلفة، وأبرز تعاطفه تجاه حادثة كربلاء واستشهاد الحسين عليه السلام، ثمّ راح يكيل له اللوم بسبب عدم امتثال نصائح الصحابة، أمثال ابن عباس أعلم أهل زمانه، والعدول عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر.

ثمّ أشار إلى اجتهد يزيد وابن زياد وتأويلهما، ونقل حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله في قتل كلّ من سوّلت له نفسه النيل من وحدة المسلمين، ونوّه بصورة غير مباشرة باعتبار تلك الثورة فتنة تستهدف الإطاحة بيزيد والاستيلاء على كرسي الحكم، ثمّ راح يطلق العنان

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: ج ٣، ص ٤٢٦.

(٢) طه حسين، الفتنة الكبرى: ج ٢، ص ٢٤٢.

لقلمه للحديث عن زهد يزيد وبراءته من دم الحسين عليه السلام، واستخلص أنه قُتل بسيف جدّه^(١).

وقام اثنان من محبيه المعاصرين - وهما: محمد مهدي الاسطنبولي، ومحب الدين الخطيب - بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه، فمرة يتمسكون بروايات ضعيفة بحسب رأي علماء السنة لإثارة الشكوك حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ومرة أخرى يتشبثون بآراء ابن تيمية وأحد أتباعه المتعصبين المدعو محمد عزة دروزه في سبيل تبرئة يزيد من جنايته.

أمّا ابن خلدون (٧٣٠ - ٨٠٨هـ) فإنه على الرغم من اعتقاده بفسق يزيد ولزوم قيام الحسين عليه السلام بثورة ضده في سبيل إحياء الدين وإقامة العدل، إلّا أنّها تفتقر إلى مبرر عقلائي نظراً لغياب الظروف المناسبة وتفاقم الأوضاع الاجتماعية، وكان يعتقد بأنّ العدالة شرط ضروري للخليفة الإسلامي، ويعدّ البيعة الناشئة من اختيار ورضا ووعي من أركان شرعية الخلافة، كما كان يرفض ما تفوّه به ابن العربي من أنّ الحسين عليه السلام قُتل بسيف جدّه، وكان يعتقد أنّ خصوصية القوة والشوكة لازمة لإحراز الخلافة، وهذه الخصوصية توفّرت لدى يزيد فقط، ومن هنا يشكّك بصواب رأي الحسين عليه السلام^(٢).

كما أبرز تقي الدين أحمد بن تيمية (٦١١ - ٧٢٨هـ) في أوائل القرن الثامن آراء عجيبة وغريبة من نوعها في المسائل الإسلامية والتاريخية أثارت حفيظة معظم علماء السنة، ومن بين تلك الآراء هي عدم جواز لعن يزيد وبراءته من دم الحسين عليه السلام،

(١) أنظر: ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) أنظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدّمة ابن خلدون: ج ١، ص ٤١٥.

وقال:

«إنَّ يزيد بن معاوية وُلد في خلافة عثمان بن عفان ولم يدرك النبي ﷺ، ولا كان من الصحابة باتِّفاق العلماء، ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح، وكان من شبَّان المسلمين، ولا كان كافراً ولا زنديقاً، وتولَّى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضا من بعضهم، وكان فيه شجاعة وكرم، ولم يكن مظهراً للفواحش كما يحكي عنه خصومه، وجرت في إمارته أمور عظيمة: أحدها مقتل الحسين (رضي الله عنه) وهو لم يأمر بقتل الحسين ولا أظهر الفرح بقتله، ولا نكت بالقضيب على ثنياه، ولا حمل رأس الحسين إلى الشام، لكن أمر بمنع الحسين (رضي الله عنه) وبدفعه عن الأمر... والصواب هو ما عليه الأئمة من أنَّه لا يُخصَّ بمحبة ولا يُلعن، ومع هذا فإن كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر للفاقد والظالم، لا سيما إذا أتى بحسنات عظيمة»^(١).

هذا وقد نقل أحد الباحثين في سيرة ابن تيمية وعقائده أنَّ ابن تيمية قرأ كتاب أبي الفرج ابن الجوزي، فقال: «أمَّا أبو الفرج ابن الجوزي فله كتاب في إباحة لعنه، ثمَّ بعد ذلك صنَّف ابن تيمية في المنع من سبِّ يزيد في كتابه (فضائل معاوية و يزيد وأنَّه لا يُسبُّ)»^(٢).

وقد نهج ابن تيمية منهج ابن العربي من خلال إثارة تساؤل حول شرعية تلك الثورة، والإصرار على أنَّ خروج الإمام عليّ كان ممَّا أوجب الفتن؛ لأنَّه خلاف ما أمر به النبي ﷺ ونهاه عنه عقلاء القوم، كابن عباس وابن عمر، قائلاً:

«ولم يكن في الخروج لا مصلحة دين ولا مصلحة دنيا، بل تمكَّن أولئك الظلمة الطغاة

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى: ج ٣، ص ٤١٠.

(٢) صائب عبد الحميد، ابن تيمية (حياته وعقائده): ص ٣٨٢.

من سبط رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قتلوه مظلوماً شهيداً، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن حصل لو قعد في بلده، فإنَّ ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار ذلك سبباً لشرٍّ عظيم، وكان قتل الحسين ممَّا أوجب الفتن كما كان قتل عثمان ممَّا أوجب الفتن، وهذا كله ممَّا يبيِّن أنَّ ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله من الصبر على جور الأئمة، وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأنَّ من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح، بل فساد»^(١).

المعاصرون والوهابية

كان التيار الفكري لابن تيمية يلفظ أنفاسه الأخيرة ويتَّجه نحو الزوال والاضمحلال قبل ظهور الوهابية على يد محمد بن عبد الوهاب (١١١١ - ١٢٠٧هـ)، وقبل ذلك كان يُطرح كبدعة سياسية تظهر بين حينٍ وآخر في نقاط من العالم الإسلامي، وتبرز من خلال تدوين كتاب أو رسالة في فضائل معاوية ويزيد، وبعد ظهور الوهابية شقَّت أفكار ابن تيمية طريقها إلى العلن، وهناك من انساق وراءها في عصرنا الحاضر، أمثال: الشيخ محمد الخضري من مصر حيث يقول:

«إنَّ الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه هذا الذي جرَّ على الأمة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا، وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يريدون بذلك إلا أن تشتعل النيران في القلوب، فيشتدَّ تباعدها، وغاية ما في الأمر أنَّ الرجل طلب أمراً لم يتهيأ له، ولم يعد له عدته، فحِيلَ بينه وبين ما يشتهي، وقُتل دونه، وقبل ذلك قُتل أبوه، فلم يجد من أقلام الكاتبين من يشعُّ أمر قتله، ويزيدون نار العداوة

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة: ج ٤، ص ٥٣٠.

تأجيجاً، والحسين قد خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر عنه ذلك الجور ولا العسف عند إظهار الخلاف حتى يكون في الخروج مصلحة للأمة»^(١).

وأمثال محمد بن إبراهيم من الكويت، فقد صنّف كتاباً يحمل عنوان (براءة يزيد بن معاوية من دم الحسين)، بذل جهوداً عقيمة ومستميّة في سبيل إبراز صلاحيات يزيد العلمية والعملية، وبراءته من جريمة كربلاء، كما اتّجه الاتجاه نفسه إبراهيم بن شعوط في كتابه (أباطيل يجب أن تُمحي من التاريخ)، حيث اعتبر يزيد خليفةً شرعياً للمسلمين، ونزّهه عن شرب الخمر وارتكاب المحارم، وأنّ الخروج عليه فتنةٌ تخلو من أيّة مصلحة، ويُستخلص من كلامه النقاط التالية:

١ - يزيد خليفة شرعي للمسلمين.

٢ - لزوم البيعة ليزيد وعدم جواز نقضها.

٣ - غياب العقلانية حين قبول دعوة أهل الكوفة، وقد كُتب لهذه الحركة الفشل.

٤ - لم تتعلّق إرادة يزيد بقتل الحسين عليه السلام؛ وعليه فلا يتحمّل وزر هذه الجريمة ولا يصدق عليه عنوان القاتل.

وعلى أيّة حال فإنّ المعاصرين الذين انساقوا للتيار الوهابي من القلّة بـمكان بحيث يعدّون بالأصابع.

خلاصة آراء المخالفين

يكشف البحث والتنقيب في المواضيع المطروحة من قبل مخالفين لعن يزيد بن معاوية، والذين ساورهم الشك حيال نهضة السبط الشهيد، يكشف عن تركيزهم على عدّة محاور:

(١) الخضري، محمد، تاريخ الأمم الإسلامية: ج ٢، ص ٢٣٥.

- ١ - يزيد خليفة المسلمين، وكان يملك الحق في إخماد ثورة كربلاء، وكان عليه دفع هذا الخطر الداهم بأي نحو ممكن، مستعيناً في هذا السبيل باجتهاده.
- ٢ - يزيد لم يقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وإثبات إصدار أوامر بقتله أمرٌ بعيد المنال.
- ٣ - حديثٌ عن النبي صلى الله عليه وآله في القضاء على كلِّ مَنْ استهدف وحدة المسلمين، وشقَّ عصا الطاعة، وبذلك يكون الإمام عليه السلام قد قُتل بسيف جدّه.
- ٤ - ثورة كربلاء ثورة دنيوية رفعت لواء الاستيلاء على الحكم.
- ٥ - قدّر نهضة كربلاء الإخفاق، وهذه النتيجة لم تكن خافية عن عقلاء القوم كابن عباس وابن عمر وآخرين.
- ٦ - خلو هذه النهضة من أية آثار إيجابية ومكتسبات، وفي الواقع كانت المصلحة تقضي بعدم الخروج.
- ٧ - الشيعة هي التي دعت الإمام عليه السلام إلى القدوم وعلى يدها استشهد، وإذا بها اليوم تُقيم المآتم عليه.

مناقشة وتحليل

تشير الشواهد التاريخية المصحوبة بدراسة الأسباب والعلل والخلفيات إلى تدني مستوى مخالفي لعن يزيد إلى حدٍّ لا يُعتبرون فيه من أهل البحث والتحقيق، ومَن يُنشدون الحقيقة ويجدون فيها ضالتهم، بل هم ليسوا سوى أداة طيعة للسلطة توظف لإنكار ما تواتر عن التاريخ من حجج ساطعة.

وكما تقدّم فإن تيار ابن تيمية كان منذ البداية بدعة واضحة وانحرافاً مكشوفاً لدى أهل السنة أنفسهم، إلّا أنّ التحالف المشؤوم الذي قام بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود أحيى هذا التيار من جديد، وفي ظلّ التقاء مصالح الآراء الإفراطية بالسلطة والقهر، أخذت تلك الآراء تحتاج الجزيرة العربية، وتبدّلت إلى مذهب إلى

جانب بقية المذاهب الإسلامية.

ولا شك أن البحث عن كيفية التقاء المصالح بينهما، وردود أفعال سكان الجزيرة العربية، بحاجة إلى مجال آخر لا يسعه هذا المختصر، ولكن ما نرمي إليه هنا هو استعراض مضاعفات ما تركته العوامل والأسباب على مخالفي لعن يزيد، وتأثرهم بالانحراف الناشيء من تلك العوامل.

أ- تقديم الخبر المجهول على المتواتر

ثمّة مواضع مطروحة من تيار ابن تيمية تدلّ على استناده إلى خبر مجهول، والاحتجاج به في مقابل ما تواتر من الأخبار، منها براءة يزيد من دم الحسين عليه السلام والسلوك الحسن مع السبايا حيث نطالع: «أنّ يزيد أمر بإنزال السبايا في داره، وأمر لهم بما يصلحهم، وكان لا يتغدى ولا يتعشى إلاّ عليّ معه، ثمّ أمر النعمان بن بشير أن يجهّزهم بما يصلحهم، ويسيرهم إلى المدينة مع أناس صالحين، ولما أرادوا الخروج دعا علياً فودّعه»^(١). هذا في الوقت الذي لم تتردّد فيه التقارير التاريخية عن ضلوع يزيد وابن زياد في فاجعة كربلاء وقتل السبط الشهيد، وخير شاهدٍ على ذلك الكتاب الذي بعثه يزيد إلى واليه على المدينة يخبره بموت معاوية وأخذ البيعة من الحسين عليه السلام:

«فأحضر الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، وإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث لي برؤوسهما»^(٢).

من هنا فقد اتّخذ صاحب تذكرة الخواص موقفاً إزاء الإجابة عن هذه الشبهة، وراح يشاطر جدّه الرأي ويروي عنه مشاركة يزيد وابن زياد في قتل الحسين عليه السلام، وهو

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: هامش ص ٢٤٠.

(٢) البيهقي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ البيهقي: ج ٢، ص ٢٤١.

لا يتعجب من قتل ابن زياد الحسين عليه السلام بقدر ما تعجب مما فعله يزيد من أعمال تفوق القتل: «ليس العجب من قتل ابن زياد الحسين، وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشمر، وحمل الرؤوس إليه، وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثناياه، وحمل آل الرسول سبايا على أقتاب الجبال، وعزمه على أن يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها، وإنشاده أبيات ابن الزبيري (ليت أشياخي ببدر شهدوا!)»^(١).

أوليس أعجب من فعل يزيد فعلٌ من فعل المستحيل من أجل تبرئته من كل ما تلطّخت به يده؟!

ب. التهافت

إن موقف تيار ابن تيمية حيال حوادث تاريخية كنهضة كربلاء، والدفاع عن يزيد ملؤه التناقض والتهافت؛ ذلك أنه أصدر براءة يزيد من جريمة قتل الحسين عليه السلام من جهة، وطرح بحث اجتهاد يزيد من جهة أخرى.

وعلى ضوء ذلك، فقتل الحسين عليه السلام على يد يزيد لا يززع مكانته الدينية والسياسية؛ نظراً لتمسكه بالاجتهاد، وهو مأجورٌ في صورة الخطأ.

وبهذا النحو يحاول هذا التيار إبراز موقف يزيد كمجتهد أحياناً، وكخليفة شرعي أحياناً أخرى، مع إلقاء وزر تلك الجريمة على عاتق ابن زياد.

ج. إطلاق التُّهم بدل الاستدلال والمنطق

أطلق تيار ابن تيمية عنوان الأباطيل على كلمات مؤرخي السنة، وذهب إلى أن صدور فاجعة كربلاء بأمر يزيد أمرٌ ضروري وطبيعي، هذا بذلك حذو ابن العربي لما قال: «وقد روى الناس أحاديث فيهم لا أصل لها».

(١) سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٦٠.

من هنا ردّ الأحاديث التي تخالف الاتجاه الأموي دون دليل، وفي موضع آخر يصرح بحديث مجعول، أو بتبرير غير معقول خلافاً للنص النبوي: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، كما كان يصدر حكمه تجاه الروايات التي تخالف الاتجاه الأموي دون أن يعضده بدليل، ويقول: «كلّ ما ذكرتم لا نفيه ولا نثبته؛ لأنّه لا يحتاج إليه، والذي ندره حقّاً ونقطع عليه علماً أنّ زياداً من الصحابة بالمولد والرؤية».

وفي كثير من الموارد يردّ المسلّمات والمتواترات التاريخية المعتمدة لدى أهل السنة استناداً إلى الظنون، ويتهّم المؤرّخين بالكذب والإطّباب والجهل قائلاً: «إنّما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق، وخاصّةً من المفسّرين والمؤرّخين وأهل الآداب، فإنّهم أهل جهالة»^(١).

وبهذه الصورة نال هذا التيار من المفسّرين والمؤرّخين وأهل الأدب؛ بهدف سلب الاعتماد عنهم؛ ذلك لأنّهم نقلوا مناقب أهل البيت (عليه السلام) خاصّةً الحسين (عليه السلام) من جهة، ومثالب الأمويين وخاصّةً يزيد من جهة أخرى، على نطاق التفسير والتاريخ والأدب، بصورة شفّافة ومتواترة قابلة للاستدلال.

د. توضيح دور المؤرّخين المتعصّبين

رغم أنّ هذا التيار كان يطعن بالمؤرّخين، ولكن لم يكن أمامه بدّ إلاّ اللجوء إلى المتطرّفين والمتعصّبين من المؤرّخين، أمثال ابن كثير الدمشقي، الذي كان يُطلق عليه شيخ المؤرّخين، وينطلق من كلماته وآرائه لإثبات مدّعاؤه.

ويعلم علماء التاريخ خاصّةً تاريخ الإسلام، أنّ ابن كثير أحد تلامذة ابن تيمية وأتباعه الذي يبدي انحيازاً واضحاً له، ومن أكثر المؤرّخين تطرفاً في الشام، ولم يكن

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٣٥ - ٢٤٧.

يُخفي ميوله السلفية في أخباره التاريخية، خاصةً عندما كان يتعرض إلى موت ابن تيمية والعلامة الحلبي^(١).

وقد أبرز هذا التعصّب حيال يزيد بن معاوية، وتملّص من الرضوخ للشواهد والأخبار التاريخية، التي تدلّ على ارتكاب يزيد للموبقات قائلاً: «وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذمّ يزيد كلّها موضوعة لا يصحّ شيء منها»^(٢).

مناقشة وتحليل

نرى من الضروري قبل الحديث عن وجهات نظر هذا التيار بشأن لعن يزيد وتحليلها ونقدها، أن يكون البحث عن شهادة الحسين عليه السلام وضلوع يزيد في القتل بحثاً منهجياً موضوعياً، مع الرجوع إلى المصادر التاريخية المعتبرة المتوفرة بين أيدينا دون تحيّز.

من هنا فأيّ تعصّب مذهبي أو قومي أو لسانی أو سياسي أو اقتصادي في هذا المجال يحول دون الوصول إلى تحقيق هادف وواقعي وموضوعي؛ ذلك أنّه يعيق الظفر بالواقع وكشف الحقائق التاريخية، وفي هذا السياق أشار أحد أتباع هذا التيار إلى ضرورة تناول الموضوعات التاريخية كشهادة الحسين عليه السلام، وحادثة كربلاء، دون انفعال وحبّ وبغض وتعصّب، وإلاّ فدفاع أنصار عاشوراء لا يمكن قبوله تحت أي مبرر، والتاريخ لا يُبحث عبر بوابة العواطف والتعصّبات، والحقائق لا تُستكشف كذلك^(٣). ومع الإذعان بهذا الكلام، لا بدّ أن نتناول سيرة أتباع هذا التيار لنستكشف مشاربهم الفكرية واتّجاهاتهم السياسية والقومية وتعصّباتهم؛ كي تتّضح نظرهم تجاه

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ١٤، ص ١٤٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٨، ص ٢٥٤.

(٣) أنظر: شعوط، إبراهيم علي، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ: ص ٢٣٦.

التاريخ، وهل نظروا إليه نظرة موضوعية بعيدة عن أيّ تعصّب، أو وقعوا تحت قبضة تلك العوامل، وأقدموا على التحريف والجعل في التاريخ؟ فإلى أيّ جهة تتّجه بوصلة تاريخهم الفكري والسياسي والمذهبي؟

مما لا شكّ فيه أنّ أتباع هذا التيار واجهوا عقبات كثيرة في مطالعة وكشف الحقائق، وتعرّضوا لعوامل انحراف لا حصر لها، زاغت بهم عن جادة الصواب.

ونستخلص من سير أتباع هذا التيار أنّ ثمة تشابه كبير في كثير من المواقف، وقد تبلور هذا التشابه أثر عوامل وظروف مختلفة، تركت بصماتها عليهم خلافاً لادّعاء بعض المعاصرين من أتباعهم، ولم يكن الباب مفتوحاً أمامهم للبحث العلمي النزيه، ممّا يجعل الحصول على الحقائق في غاية الصعوبة، وكلّ واحد من تلك العوامل والظروف كفيل بإعاقة التنقيب في الحقائق الماضية، والظفر بالحقيقة التي هي ضالة الباحث، بل قد تسوقه نحو طرح آماله ورغباته وعقائده في قالب حقائق التاريخ، وإليك بعض تلك العوامل:

١. حبّ التسلط والاستيلاء

إنّ تقصّي سيرة أتباع هذا التيار بشكلٍ إجماليّ يدلّ بوضوح على اشتراكهم حول مجموعة من المصالح، من أهمّ ركائزها دعم السلطة الحاكمة والحضور في البلاط، ومع غصّ الطرف عن ابن تيمية الذي ابتدع كثيراً من الأمور، وامتلك أفكاراً شاذّة بعيدة عن الاستدلال، فإنّ سائر مخالفتي اللعن الذي ينتمي إلى هذا التيار يشتركون في تلك الأمور، وكان شمس الدين الذهبي - الذي كان معاصراً لابن تيمية، وفي طليعة علماء

السنة^(١) - ممن كتب لابن تيمية كتاباً صرّح فيه بأفكاره المنحرفة، قائلاً:

«يا خيبة من اتبعك! فإنه معرض للزندقة والانحلال، لا سيما إذا كان قليل العلم والدين، باطولياً شهوانياً، لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه، وفي الباطن عدوٌ لك بهاله وقلبه... أما حان لك أن تتوب وتنب؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل؟ بلى والله، ما أذكر أنك تذكر الموت، بل تزدرى بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولي، ولا تصغي إلى وعظي»^(٢).

ولم يكن الذهبي الوحيد الذي أجاب على بدع ابن تيمية وانحرافات، فقد سبقه تقي الدين السبكي الذي صنّف كتابين في الردّ عليه، أحدهما: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام)، والآخر: (الدرة المضيئة في الردّ على ابن تيمية)، ويكرّر في تلك الآثار بأن ابن تيمية صاحب بدعة وانحراف.

وكان يقول في خطبة كتابه (الدرة المضيئة في الردّ على ابن تيمية) ما هذا لفظه: «أما بعد، فإنه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاهد، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنة، مظهراً أنه داعٍ إلى الحق، هادٍ إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدسة، وأنّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحال، وقال

(١) ردّ الكثير من علماء السنة على ابن تيمية في تصانيفهم، منهم: ابن حجر الهيتمي (المتوفى ٩٧٤هـ)، إذ قال عنه: «ابن تيمية عبدٌ خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذله، بذلك صرّح الأئمة الذين يبنوا فساد أحواله وكذب أقواله... والحاصل: أنّه لا يُقام لكلامه وزن، بل يُرمى في كلّ وعٍ وحزن، ويعتقد فيه أنّه مبتدع، ضالٌّ مضلٌّ، غال، عامله الله بعدله، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله، آمين». ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، الفتاوى الحديثية: ص ٨٦.

ولله درّ الشيخ صفى الدين الأرموى لما وصف ابن تيمية وصفاً دقيقاً حينها قال: لا أراك يا بن تيمية إلّا كالعصفور، حيث أردت أن أقبضه من مكان فرّ إلى مكانٍ آخر. (المترجم).

(٢) الكوثري، محمد زاهد، تكملة السيف الصقيل: ص ١٩٠ - ١٩٢.

بحلول الحوادث بذات الله تعالى، وأنّ القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن، وأنّه يتكلّم ويسكت، ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات، وتعدّي في ذلك إلى استلزام قدم العالم، والتزم بالقول بأنّه لا أوّل للمخلوقات، فقال بحوادث لا أوّل لها، فأثبت الصفة القديمة حادثة، والمخلوق الحادث قديماً، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملّة من الملل، ولا نحلة من النحل، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افرقت عليها الأمّة، ولا وقفت به مع أمّة من الأمم همّة، وكلّ ذلك وإن كان كفراً شنيعاً، مما تقلّ جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع»^(١).

هذا وقد تناول علماء السنة من مختلف المذاهب عقائد ابن تيمية، خاصّةً فيما يمتّ إلى حادثة كربلاء واستشهاد الحسين عليه السلام ولعن يزيد بحثاً وتمحيصاً، وتوصّلوا إلى أنّها خلاف الأصول والمسلّمات الإسلامية.

وقام مخالفو لعن يزيد بتحريف وقائع قتل الحسين بن علي عليه السلام، وأثاروا عجاج الشك والغموض، أمثال الغزالي وابن خلدون، اللذان خضعا لإملاءات السلطة، فكانت مواقفهما تصبّ في صالحها، وفي المقابل كانت الصلات والألقاب تنهال عليهما.

وكان الغزالي يرتبط بعلاقات حسنة مع الوزير السلجوقي المتعصّب نظام الملك الطوسي، وبفضل هذه العلاقات تمكّن الغزالي من الانخراط في البلاط السلجوقي ثمّ العباسي، ثمّ قام الوزير بتعيينه على رئاسة المدرسة النظامية في بغداد، وبعد اغتيال نظام الملك ارتفع شأنه وتولّى أرفع مقام ديني في بغداد، وأصبح مرجعاً دينياً للحكومة، وصنّف آثاراً يمجّد فيها خلفاء بني العباس.

(١) السبكي، علي بن عبد الكافي، الدرّة المضيئة في الردّ على ابن تيمية: ص ٥.

ثم وصل الأمر أن أصبح المرجع الوحيد الذي يرجع إليه السلاجقة والبلاط في بغداد، بعد أن أخذت فتاويه بالانتشار في العالم السني وذاع صيته، لذا قصده ابن العربي وحصل منه على فتوى بشرعية حكومة تاشفين حاكم المغرب، بهدف تحكيم دعائم حكومته والقضاء على خصومه، ومنذ ذاك الحين توطدت العلاقات السياسية والدينية بينهما.

وهكذا الحال عند ابن خلدون، حيث ارتبط سياسياً وثقافياً ومالياً بالبلاط العباسي، مما حال دون النظر إلى انحرافات وضعف رجال السياسة والولاة، بل أرغم على تبييض السجل الأسود للخلفاء الماضين أمثال يزيد؛ لئلا يجرم من عطايا أصحاب النعمة والجاه.

٢. التعصب المذهبي والطائفي

بالتأمل قليلاً يتضح لنا أن انتماء مخالفين اللعن يعود إلى المذهب السني والفكر الأشعري الذي راج في العهد السلجوقي، وصار المذهب الرسمي في البلاط والخلافة، وأصبحت المدارس النظامية مركزاً لنشره وكان يرأسها الغزالي، كما أقدم خلفاء بني العباس على التمسك بالفكر الأشعري لتوجيه سلطتهم السياسية، ولمواجهة أهل البيت عليهم السلام، وكان لعلماء الغرب الإسلامي الذين كانوا يقتاتون على موائد الأمويين دورٌ مهم في نشر المذهب المالكي والفكر الأشعري، عبر تجاهلهم العديد من الحقائق التاريخية، وتحريف وإنكار الأحداث التي تجلب الضرر للسلطة والنفع للحقيقة والتاريخ، ومن الخصوصيات المذهبية المهمة للمخالفين هي عدائهم لأهل البيت عليهم السلام والشيعة، ورغم تحفظهم على لعن يزيد إلا أنهم يبيحون لأنفسهم لعن الشيعة دون تحرج ودون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث.

وعلى أية حال، فهذا التيار لا يطيق قبول أدنى الوقائع التاريخية ولو كانت مسلمة،

إن كان فيها ما يؤيد الحقائق، والتي تؤيد الحد الأدنى التي نادى بها الشيعة، وقد اختطّ ابن تيمية ذات المنهج الذي سلكه الغزالي وابن العربي وابن خلدون، إذ تفوح من مصنّفاتهِ رائحة التعصّبات المذهبية التي استشرت في عاَمَة أبحاثهِ ودراساتهِ، ولم يكن على استعداد تحت آية ظروف التنازل عنها أو إظهار المرونة والانعطاف تجاهها.

٣. الاصطفاف الثقافي والتاريخي في مقابل العدو المشترك

من العوامل المهمّة في المواقف المتناقضة والمؤسفة لتيار ابن تيمية هي أخذه بنظر الاعتبار الصراع القائم بين المسلمين والنصارى خاصّةً في الغرب الإسلامي، فإنّ حدة الصراع كانت بينهما حامية الوطيس على الصعيد الفكري والثقافي والعسكري والإعلامي، حيث بذل هذا التيار جهوداً لعرض جانب ساطع وغير معيب ومشوه لتاريخ المسلمين وخلفائهم من جانب، وسلب الحجج والذرائع التي يتمسّك بها النصارى ضدّهم من جانبٍ آخر، وليبيان أنّ المسلم هو الأفضل وله اليد العليا، فاضطرّ إلى إعادة كتابة السجل الأسود لتاريخ المسلمين السياسي، ومن جملتها فاجعة كربلاء، وفاته أنّ جريمة الأمويين خاصّةً يزيد أكبر من التكتّم عليها أو إخفائها^(١).

وتعتبر ثورة كربلاء صفحة مشرقة في تاريخ الإسلام، خاصّةً فيما لو تمّ إظهارها على حقيقتها؛ لأنّها ستُضفي المزيد من الجذابية والحركة والطاقة، والقابليات المعنوية لهذا الدين.

٤. الانتماء المحلي وخلفياته التاريخية

لقد بلغ تنافس الكوفيين والشاميين ذروته مع فرض سياسة بني أميّة خاصّةً معاوية؛ لتحكيم دعائم الحكم الأموي وإبعاد الشاميين عن الإسلام الأصيل وأهل

(١) أنظر: محمود إبراهيم، براءة يزيد من دم الحسين: ص ١.

البيت عليه السلام، هذه السياسة قد تركت أثرها على مخالفني لعن يزيد.

لذا تجد أنّ سائر أتباع هذا المنهج - مع صرف النظر عن الغزالي الذي عبّر عن هيامه بيزيد في إطار جواز أو عدم جواز لعنه - قد تعذّر عليهم نقد بني أميّة؛ نظراً لانتمايهم إلى الشام أو الأندلس، وعنهم أخذوا دينهم وعقائدهم، وجلبوا الإسلام إلى الشام والأندلس، وساهموا في ازدهارهما سياسياً واقتصادياً.

وإذا تجاوزنا ذلك فإنّه من الصعب على هؤلاء الأتباع أن ينصفوا في دراساتهم عن الحكم الأموي، الذي شغل حيزاً من تاريخ الشام والأندلس، وساهم - حسب زعمهم - على نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، ويتّهموه بقتل الحسين عليه السلام سبط رسول ربّ العالمين صلّى الله عليه وآله.

الفصل السابع
سيرة مخالفني لعن يزيد

سيرة مخالفي لعن يزيد

سبق أن ذكرنا في الفصول السابقة من هذا الكتاب أنّ الذين أنكروا على الإمام الحسين عليه السلام ثورته الخالدة، وانتقدوها من جوانب مختلفة، كانوا - لأسباب عديدة - مصابين بفهم خاطئ للقضية، وقد تقدّم أنّ أكثر علماء أهل السنة لم يشكّكوا في جواز اللعن بل أثبتوه بأدلة مختلفة، ووقفوا بوجه الفئة المعارضة وردّوا عليهم من جهات عديدة، وفي نهاية المطاف بيّنا أسباب انحرافهم.

ومع كلّ هذه الأدلة نرى أنّ البحث الأوسع والأعمق حول مخالفي لعن يزيد يقتضي دراسة مفصلة ومستقلّة لسيرتهم، وأسباب انحرافهم، فقد آثرنا أن نترجم هنا لأقطاب هذه الفئة، الذين لم يتعاطوا بشكل سلبي مع واقعة كربلاء وحسب، وإنّما قاموا بتبرير أعمال يزيد، والدفاع عنه وعن طغمته بحجج وأدلة مختلفة، منهم:

الإمام محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ)

ولادته ونشأته

ولد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي سنة (٤٥٠ هـ)، في أسرة خراسانية فقيرة، بمدينة طبران (من توابع طوس)، وبدأ دراسته حينما كانت بلاد خراسان وضواحيها تضطرم فيها نار الحروب القبلية، وكان ملوك السلاجقة يعملون على نشر المذهب

الشافعي، وتعزيز الأفكار والمعتقدات الأشعرية عن طريق مدارسهم التي أسسوها في هرات وبلخ وأصفهان وبغداد، واشتهرت باسم (المدارس النظامية)، وذلك في أيام العالم الشهير والمتعصب للمذهب الشافعي نظام الملك الطوسي، الذي كان وزيراً للسلاجقة، وكان لهذه المدارس وأساتذتها التي يديرها مالياً الوزير المذكور، هدفان أساسيان:

١- ترويج المذهب الشافعي وتعزيز مبادئ الأشعرية، ومعاداة المذاهب الأخرى لا سيما مذاهب المعتزلة والشيعة.

٢- تضعيف الجامع الأزهر بمصر والخط من شأنه، والطعن على الفاطميين الذين كانوا ينشطون في تثبيت دعائم التشيع.

يضاف إلى ذلك أن قوة الإسماعيليين والاشتباكات الكثيرة التي كانت تجري بينهم وبين أنصار السلاجقة ونظام الملك قد رسمت لنا صورة واضحة لأجواء المدارس النظامية وأساتذتها، وكشفت عن طبيعة الظروف التربوية والفكرية التي نشأ فيها الغزالي.

ففي مثل تلك الظروف بدأ الغزالي دراساته عند علماء بلاده، وعلى الخصوص عند علي بن أحمد بن محمد الرزكانيز، ثم ذهب إلى جرجان فتتلمذ على يد أبي نصر الإسماعيلي، وبعد ذلك قصد نيسابور ولازم دروس أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين الذي عينه نظام الملك مديراً ومدرّساً في نيسابور.

ومكث هناك سنوات طويلة واطب خلالها على دراسة العلوم الإسلامية المختلفة، وقد لفت الغزالي انتباه أساتذته - كإمام الحرمين - بمثابرته ومواهبه ونشاطاته العلمية، حيث كان ينوه باسمه ويمدحه في جلسات دروسه، وهكذا اتسعت شهرته إلى أن وصلت سمعته إلى رجال الحكم ومن جملتهم نظام الملك، الذي حضر الغزالي مجلسه

في نيسابور بعد أن أنهى دراسته، وحصل منه على هدايا ثمينة.

تدريسه في نظامية بغداد

ثمّة عوامل دفعت بنظام الملك إلى تعيين الغزالي مدرّساً في المدرسة النظامية ببغداد، ومن ثمّ ازدياد شهرته وارتباطه بالسلطة يوماً بعد آخر، هذه العوامل هي: الانسجام الفكري بين الرجلين، ونزعة نظام الملك العقائدية ضدّ الشيعة، وكفاءة الغزالي ومؤهلاته العلمية.

مدح الخليفة العباسي

أثار اغتيال نظام الملك في سنة (٤٨٥هـ) عواطف الغزالي وزاده حقداً على الإسماعيليين، فألّف كتاباً باسم (المستظهرية) في مدح المستظهر بالله العباسي (٤٨٧ - ٥١٢هـ)، ويُسمّى أيضاً بـ(فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية)، وهذا الكتاب يعتبر نموذجاً لتعصّبه الشديد وميوله السياسية.

وفي سنة (٤٨٦هـ) استقبل أبا بكر ابن العربي أبرز علماء النهج الأموي في الأندلس، وقاضي مدينة أشبيلية ومؤلّف (كتاب العواصم من القواصم)، وبناءً على طلبه بتوحيد البلاد تحت سيطرة يوسف بن تاشفين الحاكم الأموي للأندلس والمغرب، أصدر الغزالي فتوى بقتل كلّ الأمراء المعارضين له.

وفي سنة (٤٨٧هـ) حضر الغزالي مراسم بيعة للمستظهر بالله العباسي، ثمّ سافر إلى سورية في سنة (٤٨٩هـ)، ومنها إلى مكة وبيت المقدس ومصر، ثمّ ذهب إلى نيسابور سنة (٤٩٩هـ) ليدرس في نظاميتها، وكانت هذه المدرسة برئاسة الوزير فخر الملك علي بن نظام الملك، ثمّ استقال بعد اغتيال فخر الملك، وعاد إلى طوس، فأقام بها إلى أن توفّي سنة (٥٠٥هـ).

وللغزالي مؤلّفات كثيرة شملت مختلف العلوم والفنون لا سيما الإسلامية، في

التفسير والعرفان والفقه والأصول والفلسفة، ويغلب على كتاباته التعصب في عرض آرائه ودفاعه عن المذهب الشافعي (في الفروع) والمذهب الأشعري (في الأصول)، وفي ردوده على المخالفين.

أبوبكر بن العربي (٤٦٨-٥٤٣هـ)

ولادته ونشأته

القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الأشبيلي، المالكي، المعروف بابن العربي، وُلد بإشبيلية سنة (٤٦٨هـ) في أسرة متديّنة تتعاطى السياسة، كان أبوه من الفقهاء ومن رؤساء مدينة أشبيلية، ومن تلامذة عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خزرج وآخرين في مدينة قرطبة، وكان له مقامٌ اجتماعيٌّ رفيعٌ بين مختلف الحكام، خصوصاً بين حكام أشبيلية.

وبعد أن انقضى حكم سلسلة العبادية التي كانت تحكم أشبيلية، قصد والد أبي بكر (عبدالله) الحج، وكان أبوبكر ابنه معه في السفر وهو في السابعة عشرة من عمره، وفي هذه الرحلة أخذ أبوبكر العلم عن أبي الحسين الخلقي، وأبي نصر المقدسي، وأبي سعيد الزنجاني، وأبي حامد الغزالي، وأبي الحسن المبارك المعروف بابن الطيوري، وأبي الحسن علي بن أيوب النيزاري، وأبي علي حسين بن علي الطبري، وآخرين بمصر وبغداد ودمشق ومكة والمدينة وغيرها.

ثم ذهب إلى الإسكندرية، ودرس هناك لمدة قصيرة، لكنه رجع إلى الأندلس بعد وفاة أبيه في سنة (٤٩٣هـ)، وسرعان ما اشتهر هناك بسبب اطلاعه الواسع على مختلف العلوم ومنزلته الاجتماعية الرفيعة، حتى عُيّن قاضياً لمدينة أشبيلية.

مناصبه ومكانته

اشتهر ابن العربي علمياً وقضائياً وسياسياً، حتى أصبح القاضي الشهير في أشبيلية،

وبعدما أصبح يوسف بن تاشفين حاكماً مقتدراً في المغرب الإسلامي، قام بتصفية منافسيه الذين كانوا يحكمون مدناً ومناطق شتى من المغرب والأندلس وباقي نواحي المسلمين المجاورة، فذهب القاضي ابن العربي إلى بغداد، لأجل تسهيل أمر تاشفين وبسط سلطنته المطلقة، وأتى بحكم رسمي من خلفاء بغداد وعلمائها يتضمن حكماً شرعياً بقتل كل منافس ومعارض لتاشفين.

وفي بغداد زار أبا حامد الغزالي الذي كان أشهر علماء البلاط العباسي ومدرّسي المدرسة النظامية، فأخذ فتوى شرعية منه تُبيح قتل المعارضين لتاشفين، وبعد رجوعه من بغداد أعطى لفتوى الغزالي صبغة دينية وشرعية، وهكذا صار له مقام شامخ في المغرب الإسلامي والأندلس^(١).

نشاطاته الأخرى

بالإضافة إلى قضائه وتدريسه ومساندته لأمراء الأندلس، كان لابن العربي مؤلفات كثيرة على المذهب الشافعي ومسلك الأشعري، في مختلف حقول العلوم الإسلامية، القرآنية والحديثية والتاريخية والفقهية والأصولية والرجالية وغير ذلك من العلوم، ومن السمات البارزة لآثاره التعصّب المذهبي والميل المفرط نحو السياسة، وفي سنة (٥٤٣هـ) مات ابن العربي في منطقة مغيلة قرب مدينة فاس.

من آثاره كتاب (العواصم من القواصم)، الذي كتب فيه عن مواقف الصحابة بعد الرسول ﷺ، وهو في كلّ هذه المواقف التي جرت في عصر الصحابة والتابعين يصطفّ إلى جانب الحكومة الأموية والخلفاء الأمويين ويدافع عن مواقفهم، فيستهين بثورة الإمام الحسين عليه السلام بسبب تعصّبه الشديد للأمويين، وعلى الخصوص يزيد وأعوانه، ولا

(١) محمد عنان، تاريخ الدولة الإسلامية في الأندلس: ج ٢، ص ٣٠-٣٦.

يلتزم بأية أصول علمية للتحقيق ولا شروطه اللازمة، فيبرّر جنایات يزيد ويسمّيه مجتهداً - بعد أن يُقسّم المجتهد إلى مصيب ومخطئ - ويرى أنّ يزيد خليفة عادل، وأنّ موافقه كانت على حقّ، ويعتبر مخالفته حراماً وغير مشروع، ولو كان من قبل الإمام الحسين عليه السلام.

عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٠-٨٠٨هـ)

ولادته ونشأته

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون الحضرمي الأشبيلي التونسي، وُلد في تونس سنة (٧٣٢هـ)، في أسرة مارست - منذ القدم - الشؤون السياسية والثقافية، وكانوا على المذهب الشافعي، درس ابن خلدون المقدمات والأدب والفقه والحديث والأصول عند أبيه، ثمّ عند غيره من علماء تونس، وكانت له رغبة في حفظ الشعر ونظمه.

في الفترة التي سبقت ولادة ابن خلدون بقرنٍ واحد، حكم المغرب باقتدار سلسلة سلاطين الموحدين، إلّا أنّه في فترة ولادة ابن خلدون وتعلّمه قد انقسمت الدولة إلى ثلاث دويلات: المغرب الأقصى ومركزه فاس، والمغرب الأوسط ومركزه تلمسان، والمغرب الأدنى (أي تونس) وكان بنو حفص يحكمونه، وكان التنافس بين أمراء هذه الدويلات على أشده، والحروب بينهم حامية الوطيس.

خدماته الحكومية والسياسية

بعد إتمام دراساته تعلّق ابن خلدون - كباقي أفراد أسرته - بخدمة الحاكم في سنة (٧٥٣هـ)، وسرعان ما أصبح كاتباً لابن إسحاق الحفصي أمير تونس، ولما صار ابن

تافراغين هو الحاكم وتغلّب عليه أمير القسطنطينية فرّ ابن خلدون إلى مدينة (آبه)، وظلّ متخفياً بين المدن والقرى لمدة (٢٦ سنة) ولم يستطع العودة لتونس^(١)، وفي النهاية صار كاتباً لأبي عنان المريني سلطان فاس، ثمّ تولّى مناصب مختلفة، من أهمّها: كاتب سرّ السلاطين في غرناطة، وظلّ يتنقل في بلاد المغرب والأندلس ومصر.

وكان ابن خلدون يستغلّ الفرص لارتقاء مستواه العلمي، من خلال إقامة علاقات واسعة بالعلماء والاستفادة من مكتبات المدارس في فاس، اشتغل في الأمور السياسية وانغمس فيها حتى أساء السلطان الظن به، فحبسه لمدة سنتين متهماً إيّاه بعلاقته مع الحاكم السابق لفاس، لكن بعد موت السلطان وتخلّص ابن خلدون من السجن، استمرّت نار الحروب مضطربة فكان يشترك في النزاعات بشكلٍ جاد ومؤثر، وهكذا انشغل بالأمور السياسية أكثر من الأمور العلمية والثقافية.

نشاطاته وأثاره العلمية

ترك ابن خلدون نشاطاته السياسية في الخامسة والأربعين من عمره، وبدأ بالكتابة والتأليف في قلعة ابن سلامة أو قلعة تاوغزوت في ولاية وهران في الجزائر، فألّف كتابه التاريخي (العبر)، ومقدمته التي اشتهرت بـ (مقدمة ابن خلدون)، بعد عدّة سنوات من الابتعاد عن السياسة عاد إلى تونس، وبعد مرور أربع سنوات غادرها متوجّهاً إلى مصر عام (٧٨٤هـ)، فولّاه سلطانها برقوق قضاء المالكية، ودرّس بالجامع الأزهر.

خلّف ابن خلدون آثاراً كثيرة في حقول مختلفة من العلوم الإسلامية، شملت المنطق والفلسفة والكلام والتاريخ وعلم العمران والرجال والمباحث السياسية، ومن أهمّها مقدمته حول فهم حقيقة التاريخ وأسباب وعوامل ازدهار سقوط الدّول

(١) أنظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدّمة ابن خلدون: ص ٣٩.

والحكومات، والتي تعتبر أول كتاب في علم الاجتماع، فصارت سبب شهرته في شرق العالم وغربه، ومن تأليفاته المهمة الأخرى كتاب (العبر) والذي كان في تاريخ مغرب العالم الإسلامي وبالخصوص تلك الفترات التي عاصرها ابن خلدون مما رفع من القيمة العلمية لهذا الكتاب بالإضافة إلى بعض الموضوعات والحوادث النادرة والفريدة.

وإليك بعض آثاره الأخرى

- ١ - كتاب لباب المحصل (تلخيص لكتاب المحصل للرازي).
 - ٢ - شرح قصيدة البردة المشهورة (لمحمد بن سعيد البوصيري المتوفى ٦٩٤ هـ).
 - ٣ - تلخيص لتأليفات ابن رشد.
 - ٤ - رسالة في المنطق، كتبها للسلطان محمد الخامس.
 - ٥ - كتاب في الرياضيات.
 - ٦ - شرح على كتاب ابن الخطيب (المتوفى ٧٧٦ هـ) في علم الأصول.
 - ٧ - شفاء السائل لتهذيب المسائل (في العرفان).
- ذهب ابن خلدون في سنة (٧٨٤ هـ) إلى مصر، ونتيجةً لقدراته العلمية وإمكاناته الثقافية والإدارية حظى بمكانة عند ملك مصر (برقوق)، وقد دعاه علماء تلك الديار للتدريس في الأزهر، ونال منصب قاضي القضاة، ولكنه أُسر في زمان فرج ابن الملك برقوق من قبل تيمور لnk، وظلّ سجيناً لمدة (٣٥) يوماً، وكما ذكرنا آنفاً أن المقدمة هي التي حققت لابن خلدون شهرته الواسعة، وقد تحدّث في هذه المقدمة عن فلسفة التاريخ وقوانين العمران، والمؤسّسات السياسية والإدارية التي تنشأ مع كلّ حضارة، وهو أول من تطرّق إلى علم الاجتماع، حيث انتقد فيه المؤرّخين القدماء لعدم اطلاعهم على أسباب قيام وسقوط الحضارات والدول، ويؤكد في كتابه على أنّ العصبية هي

السبب الرئيس لسقوط الحضارات والحكومات، ويريد بهذه الفكرة أن يطرح لأول مرة في العالم الإسلامي أن تاريخ الاجتماعات البشرية يتبع قوانين ثابتة وواضحة، وبإمكاننا أن نتعرف ونفهم هذه القوانين بسهولة، وبهذا الفكر نصل إلى محورية هذا القانون.

نقد بعض آثار ابن خلدون

لا تخلو أفكار وآراء ابن خلدون من الضعف والإشكال، كما أن بعض عقائده ليست بمنأى عن الأخطاء والتناقضات، وها نحن نذكر هنا بعض الإشكالات:

١- إنه لم يهتم في كتابه التاريخ بالأصول والقوانين المكتشفة الواردة في مقدمته، ولم يستطع أن يطبق نظريته في التاريخ ويعمل بها، ولذا جاء منهجه في الكتابة امتداداً لمنهج القدماء، وربما بدا ضعفه في الكتاب أكثر منهم.

٢- خلافاً لرأي البعض، ما كان لابن خلدون آراء علمية مبتكرة في تأليفاته وحتى في مقدمته، وكان متأثراً بالمؤرخين المسلمين من قبله كالمسعودي وغيره.

٣- نرى في كتابه التاريخ إشكالات كثيرة وتناقضات بعيدة عن الموضوعية، بل طغى على أسلوبه التعصب، والدفاع عن السلطة الحاكمة، والبحث في إشكالاته من جوانب مختلفة يحتاج إلى مجال أوسع.

مات ابن خلدون في سنة (٨٠٨هـ)، لكن بقيت هناك ردود فعل كثيرة على آرائه وأفكاره من جانب العلماء المسلمين وغيرهم من معاصريه إلى يومنا هذا.

تقي الدين أحمد بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)

ولادته ونشأته

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، الدمشقي، تقي الدين ابن تيمية. وُلد سنة (٦٦١هـ) ببلدة حران في سورية، عاش أبوه حياة بسيطة من دون شهرة،

لما كان ابن تيمية يدرس في دمشق كان غرب العالم الإسلامي، وعلى الخصوص الشام وأطرافه، يشهد عدم استقرار بسبب غزو التتار للبلاد الإسلامية، وكانت بغداد - مركز الخلافة الإسلامية - قد سقطت بأيدي المغول، وانتهت بذلك حكومة العباسيين بعد نحو خمسين سنة من حكم المغول على العالم الإسلامي، والتي امتدت أكثر من خمسة قرون، والمسلمون الذين كانوا يألّفون ثقافة السلطة والعلاقات العميقة بين السياسة والثقافة، فجأةً خرجوا من هذه الأجواء، وابتعدوا عن الخلافة الإسلامية وعلاقتها معهم، فاعتزلوا عن الحكام المحليين في العالم الإسلامي.

رحلته الدراسية وآراؤه المبتدعة

أرغم ابن تيمية على السفر مع أسرته من حران إلى دمشق، وهو في نحو السابعة عشرة من عمره وأقام فيها سنة (٦٧٨هـ)، فتلقّى أنواعاً من العلوم الإسلامية عند أساتذته واستفاد منهم كثيراً، حتى صار من كبار علماء دمشق، وبدأ بتبليغ الدين وتعليم أحكامه بين الناس.

يقول ابن كثير - مؤلّف كتاب البداية والنهاية -: إنّ لابن تيمية مواهب كثيرة، وله ذاكرة قوية، ونشأ في أسرة فاضلة ومتديّنة، بيد أنّه بدأ يطرح أفكاراً وآراءً غريبة، حيث جعلنا نشكّ بصحّة عقله وسلامته، كما يقول ابن بطوطة.

وكان علماء السنة يردّون على آرائه ونظرياته في الفقه والأصول والتفسير والكلام والحديث، هذا بالإضافة إلى آرائه عن الحوادث في صدر الإسلام، وحتى علماء مذهبه الحنبلي قد ردّوا عليه، وأكّدوا على انحرافه.

وفي آراء ابن تيمية انحرافات وبدع كثيرة، شملت أبواباً مختلفة من الدين، حيث حرّف تاريخ الإسلام، وقام بتبرير جنایات يزيد بن معاوية، إلى غير ذلك من انحرافاته، وفيها على سبيل المثال ما ورد في أحد المصادر من أنّ فقهاء الحنابلة ثاروا

ضدّ أفكاره، وردّوا على آرائه، وذلك بعد نشرها في (الرسالة الحموية) أي (الفتوى الحموية) التي يذكر فيها أنّ الله (عزّ وجلّ) صفات حقيقية، كاليد والقدم والساق والوجه، ويعتقد بأنّ الله تعالى جالس على عرشه حيث له جسمٌ ماديٌّ ومحسوسٌ!

وفي ردّه على منتقديه الذين قالوا: إنّ إشغال المكان وإمكان تقسيم الذات أمرٌ لازم لإثبات ادّعائك، قال: إنّني لا أعتقد بأنّ إشغال المكان والانقسام من خصائص الجسم! وقد سمع منه ابن بطوطة بعقيدته أثناء رحلته إلى دمشق فكتب:

«كان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين ابن تيمية، كبير الشام، يتكلّم في الفنون.. [قال:] وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا. ونزل درجة من المنبر، فعارضه فقيهٌ مالكيّ يعرف بابن الزهراء، وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته..»^(١).

ازدادت انحرافات أفكار ابن تيمية في شتّى الحقول، خاصّة انحرافات العقائدية، وأخذ ينشر آراءه الشاذّة تحت ستار الدفاع عن الإسلام والتوحيد، وقد قامت حكومة دمشق ضده وأمرت بإلقاء القبض عليه، ومنعته من الخطابة، حفظاً للدين من البدع، وصيانةً لعقائد المسلمين من الاختلاف، ونشرت إعلان منعه.

وكان ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه، ومدّ بجهره عنان كلمه، وتحدّث في مسائل الذات والصفات، ونصّ في كلامه الفاسد على أمورٍ منكرات، وتكلّم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفاه بما اجتنبه الأئمة الأعلام الصالحون، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام، وانهقد على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه في البلاد ما استخفّ به عقول العوام، وخالف في ذلك فقهاء عصره وأعلام

(١) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة: ص ٩٥.

علماء شامه ومصره، وبث به رسائله إلى كل مكان، وسمي فتاويه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

ولما اتصل بنا ذلك وما سلك به هو ومريدوه من هذه المسالك الخبيثة، وأظهروه من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه استخف قومَه فأطاعوه، حتى قيل: إنهم صرّحوا في حق الله سبحانه بالحرف، والصوت، والتشبيه، والتجسيم، فقمنا في نصره الله تعالى مشفقين من هذا النبا العظيم، وأنكرنا هذه البدعة، وعزّ علينا أن تشيع عمّن تضمّن ممالكه هذه السمعة^(١).

قام ابن تيمية بنشر أفكاره بجدّ ومثابرة، فأصبح في فترة قصيرة من مشاهير العلماء في دمشق وكذلك في العالم العربي، وله بحوث كثيرة في أبواب مختلفة من العلوم الإسلامية، كالمنطق والفلسفة والتاريخ والحديث والفقه والتفسير والكلام.

آراء علماء السنة حول ابن تيمية

يعدّ شمس الدين الذهبي أحد زعماء الحنابلة، وقد اشتهر بمعرفته بعلوم الحديث والرجال والدراية، له رسالة يُخاطب بها ابن تيمية: «أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتُتوب؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل؟ بلى والله، ما أذكر أنك تذكر الموت، بل تزدري بمن يذكر الموت، فما أظنك تُقبل على قولي، ولا تُصغى إلى وعظي، بل لك همّة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات... فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحبّ الوادئ، فكيف حالك عند أعدائك، وأعدائك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجرة كذبة جهالة^(٢)».

(١) الحصني، أبو بكر بن محمد، دفع الشبه عن الرسول والرسالة: ص ٨٥.

(٢) الكوثري، محمد زاهد، تكملة السيف الصقيل: ص ١٩٠ - ١٩٢.

كان تقي الدين السبكي معاصراً لابن تيمية، وهو يرى أنّ أفكار وآراء ابن تيمية منحرفة ومضلّة، وما اكتفى بذلك، بل ردّ عليه في كتابين أحدهما: (شفاء السقام في زيارة خير الأنام)، والثاني: (الدرة المضيئة في الردّ على ابن تيمية)، ويصرّح فيه بأنّ أفكار ابن تيمية منحرفة ومبتدعة، ويريد بها أن يززع الأصول العقائدية في الإسلام: «أمّا بعد، فإنّه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد، ونقص من دعائم الإسلام الأركان والمعاهد، بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنة، مظهراً أنّه داعٍ إلى الحق، هادٍ إلى الجنة، فخرج عن الاتّباع إلى الابتداع، وشذّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدّسة. [إلى أن قال]: فأثبت الصفة القديمة حادثّة، والمخلوق الحادث قديماً، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملّة من الملل، ولا نحلة من النحل، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افرقت عليها الأئمة^(١).

وكذلك ابن حجر الهيتمي يرى أنّ ابن تيمية ضالّ وأفكاره مضلّة، وقال في كتابه (الجوهر المنظّم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرّم): «مَن هو ابن تيمية حتى يُنظر إليه أو يُعوّل في شيء من أمور الدين عليه؟! وهل هو إلّا كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقّبوا كلماته الفاسدة، وحججه الكاسدة... عبُدّ أضلّه الله تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزي وأرداه، وبوّاه من قوة الافتراء والكذب مَن أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان»^(٢).

إنّ الردود والانتقادات المذكورة تدلّ بوضوح على أنّ علماء السنة ليس فقط يعتقدون بأنّ عقائده وأفكاره مبتدعة وزائفة، بل يؤكّدون على أنّ من الممكن إرشاد الناس وهداية الذين انحرفوا بسبب عقائده، ولكن نفس ابن تيمية غير قابلة للإصلاح والهداية؛ وذلك لأنّه يتعمد الانحراف.

(١) السبكي، علي بن عبد الكافي، الدرة المضيئة في الردّ على ابن تيمية: ص ٥.

(٢) الكتبي، محمد بن شاكر، الفتاوى الحديثة: ص ٨٦.

سافر ابن تيمية بعدما أُطلق سراحه إلى سورية ولبنان ومصر وفلسطين، ونشر أفكاره وبدعه في مختلف أبواب العلوم الإسلامية يوماً بعد يوم، حتى ثار العلماء وخشوا من آرائه الزائفة ونظرياته الملتوية بالشرك والإلحاد، فقاموا بردّ فعل شديد ضده، وبدأوا بنقد أفكاره، وكتبوا رسالاتٍ وكتباً متعدّدة في الردّ على آثاره، ومن جملتهم:

أبرز مخالفين ابن تيمية ومنتقديه

- ١- الشيخ صفى الدين الهندي الأرموي (٦٤٤ - ٧١٥هـ).
- ٢- الشيخ شهاب الدين بن جهبل الكلابي الحلبي (المتوفى ٧٣٣هـ).
- ٣- قاضي القضاة كمال الدين بن الزملكاني (٦٦٧ - ٧٢٧هـ).
- ٤- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ).
- ٥- صدر الدين ابن المرحل (٦٦٥ - ٧١٦هـ).
- ٦- علي بن عبد الكافي السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦هـ).
- ٧- محمد بن شاکر الكتبي (المتوفى ٧٦٤هـ).
- ٨- عفيف الدين عبدالله بن أسعد اليافعي (٦٩٨ - ٧٦٨هـ).
- ٩- أبو بكر الحصني الدمشقي (المتوفى ٧٢٩هـ).
- ١٠- شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ).
- ١١- جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨١٣ - ٨٧٤هـ).
- ١٢- شهاب الدين بن حجر الهيتمي (٩٠٩ - ٩٧٣هـ).
- ١٣- ملا علي القاري الخفي (المتوفى ١٠١٤هـ).
- ١٤- أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، المعروف بابن القاضي (٩٦٠ - ١٠٢٥هـ).
- ١٥- يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني (١٢٦٥ - ١٣٥٠هـ).
- ١٦- الشيخ محمد زاهد الكوثري المصري (١٢٩٦ - ١٣٧١هـ).

١٧- الشيخ سلامة القضاعي العزامي (المتوفى ١٣٧٩هـ).

١٨- الشيخ محمد أبو زهرة (١٣١٦ - ١٣٩٧هـ).

لقد أدّت كلّ المواجهات والردود من العلماء والفقهاء من مختلف المذاهب إلى انزواء أفكاره، حيث يُقال: «إنَّ أثر المكافحات ضدَّ ابن تيمية لم يبق أثراً من أفكاره إلَّا القليل في كتاب تلميذه ابن قيم الجوزي (٦٩١ - ٧٥١هـ)، وكذلك ابن القيم كان يعارض أستاذه في كتاب الروح».

إنَّ كلّ هذه الكتابات والردود العلمية والواقعية لعلماء الإسلام، التي أوضحت جوانب مختلفة من بدع وأخطاء ابن تيمية، بدأت بتأثيرها الإيجابي على الناس الذين كانوا في البداية يتممون إلى آراء ابن تيمية وأفكاره، لكن بعد مضي خمسة قرون على موته ظهر محمد بن عبد الوهاب في نجد، واستغلَّ الظروف الراهنة في المنطقة، والثقافة البدوية والأوضاع السياسية، فقام بتبنيِّ الشعارات والنظريات التي أدّت إلى إحياء أفكار ابن تيمية.

أبو الفداء ابن كثير الدمشقي

وُلد أبو الفداء في الشام ونشأ فيها، ودرس هناك حتى صار مؤرخاً وأخبارياً، وهو من المؤرّخين والعلماء الذين تطرّقوا إلى ثورة كربلاء وخلافة يزيد، في كتابه (البداية والنهاية)، هذا الكتاب الذي حاز على عناية لدى الموالين ليزيد في العصر الحاضر، حيث يوصون بمطالعة بهدف الاطلاع - بزعمهم - على الحقائق التاريخية المتعلقة بوقائع كربلاء وحوادثها ودور يزيد في ارتكاب الجرائم.

اعتماده على مصادر غير موثوقة

ذهب الذين برّروا جنایات يزيد، لا سيما حادثة كربلاء، إلى أنّه كان عادلاً وله قدرات علمية وعملية تؤهّله للخلافة، استناداً إلى أحاديث ضعيفة من كتاب البداية

والنهاية كما تقدّم في الفصل الأوّل والخامس.

إنّ استعراض سيرة وأفكار ابن كثير بحاجة إلى مجال أوسع، لكن ممّا ينبغي ذكره أنّه لم يكن محايداً في نقل الروايات التاريخية، بل كان متحيزاً ويأخذ بجانب مذهبه وفكره عند سرده الحوادث التاريخية والفرق والقضايا الفكرية، الأمر الذي يقلّل من قيمة الروايات والأخبار المذكورة في كتابه (البداية والنهاية) وباقى كتبه التاريخية والرجالية، ومن ثمّ يسقط اعتبارها العلمي والتاريخي.

كتمان الحقائق التاريخية

الدراسة المفصلة عن الآراء غير العلمية والحزبية لابن كثير، وكذلك فهم آثاره المختلفة يحتاج إلى بحث مستقل.

وبالرغم من أنّ المحقّقين - الذين يريدون كشف الحقيقة وينظرون إلى القضية بنظرة محايدة بعيدة عن التعصّب - يعرفون ابن كثير وآراءه المنحرفة، لكن سنشير إلى وجهات نظره المفعمة بالروح الحزبية والمجانبة لحقائق التاريخ:

أخرج ابن كثير عن الطبري حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله يتعلق بمنزلة الإمام علي عليه السلام، جاء فيه: «فأبكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى وكذا وكذا»^(١)؛ وبدل أن يكتب الحديث بنصّه: «خليفتي ووصيي» قال: «كذا وكذا»؛ تهرباً من ذكر الحقيقة.

وفي ذيل الحديث عندما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «هذا أخى ووصيي وخليفتي» يورده بهذه الصورة: «إنّ هذا أخى وكذا وكذا».

ولم يكتفِ بهذا، بل هناك موارد أخرى في كتابه (البداية والنهاية) حرّف فيها الأخبار الصحيحة ولخصّها متممداً، وعلى سبيل المثال نقله لواقعة حجة الوداع، حيث

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٣، ص ٥٣.

يذكر الحوادث كلها من الصحاح الست، إلا أنه لا ينقل حديث الثقلين بصورة كاملة، فيذكره إلى كتاب الله، وكأنّ قوله: «أهل بيتي وعترتي» غير موجود في الحديث.

الحزبية والتحيز إلى يزيد

يُظهر ابن كثير - في بعض الموارد - تحيّزه الصريح إلى حزب خاص، فيدخل الأمور الحزبية في رواية التاريخ، ومن جملتها أنّه يروي الأخبار التي تتحدّث عن التعامل السيء ليزيد مع الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، وينقلها عن لسان كبار المؤرّخين، كالطبري، والخطيب البغدادي، لكنّه في النهاية، يشكّ في صحّة تلك الروايات، ويقول: إنّها غير ثابتة، دون أن يأتي بأيّ دليل علمي.

وفي هذا الإطار يعرض رأيه غير المنصف حول شخصية ابن تيمية وموته من جانب، ورحلة العلامة الحلي وبيان شخصيته من جانب آخر^(١).

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ١٤، ص ١٤٢ - ١٤٤.

A decorative border with intricate Islamic calligraphy in a black and white line-art style, framing the central text. The border features a central vertical panel and side panels with pointed, scalloped edges.

الفصل الثامن
العزاء على الإمام الحسين عليه السلام
بين أهل السنة

العزاء على الإمام الحسين عليه السلام بين أهل السنة

أشرنا فيما سبق أنّ التفجّع والتأثر لواقعة عاشوراء وقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه لا يختص بالشيعة فقط، كما أنّه لا يختص بمذهب خاص من السنة، بل يعمّ الجميع، ومن هنا فإنّ معظم أهل السنة يتألمون ويحزنون لواقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام.

وهنا نقطة جديرة بالذكر، وهي كما أنّ واقعة عاشوراء كانت ثورة سياسية وعقائدية ضدّ حكم بني أميّة، فإنّ إحياء ذكر الثورة وشعائرها يعتبر أيضاً ظاهرة سياسية تثير قلقاً كبيراً لدى بني أميّة؛ لأنّها تشكّل تهديداً سياسياً لهم، فسعوا إلى إطفاء هذه الشعلة الإلهية في قلوب المسلمين، لكن مع ذلك فهناك موارد كثيرة تدلّ على أنّ إقامة الشعائر الدينية والسياسية قد طوت مراحل مختلفة.

العزاء على الحسين عليه السلام يعود إلى عصر النبي صلى الله عليه وآله

قبل أن نطرح موضوع خلفيات العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، نودّ أن نطرح أمراً مهماً، وهو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يمثل أسوة حسنة للمسلمين، وكلامه فصل الخطاب وحجة تامة، وهذا الأمر يعتقده أهل السنة أيضاً.

وتذكر المصادر السنيّة أنّ النبي هو أوّل من بكى على سبطه الإمام الحسين عليه السلام بعد أن أخبر بقتله.

روى أنس بن مالك أنّ ملك المطر استأذن ربّه أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله فأذن له، فقال لأُمّ

سلمة: املكي علينا الباب ولا يدخل علينا أحد. قالت: وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وعلى منكبه وعاتقه، فقال الملك للنبي صلى الله عليه وآله: أتجبه؟ قال: نعم، فقال: أما أن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة وجعلتها في ثيابها. وبلغنا أنها تربة كربلاء^(١).

وعن ابن سعد، وهو من كبار مؤرخي السنة: لما مرّ علي بكربلاء في مسيره إلى صفين وحاذى نينوى - قرية على الفرات - وقف ونادى أصحابه: ما يُقال لهذه الأرض؟ فقالوا: كربلاء. فبكي حتى بلّ الأرض من دموعه، ثم قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يبكي فقلت له: ما يُبكىك؟ فقال: كان عندي جبرئيل فأخبرني أن ولدي الحسين يُقتل بشطّ الفرات بموضع يُقال له: كربلاء، ثم قبض جبرئيل قبضةً من تراب فشمني إياها، فلم أملك عيني أن فاضت^(٢).

وروى عبدالله بن وهب بن زمعة عن أم سلمة، قالت: إن رسول الله اضطلع ذات يوم فاستيقظ، فرجع فرقد ثم استيقظ وهو خائر دون ما رأيت منه، ثم رجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء فقلت: ما هذه يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبرئيل أن ابني هذا (يعني الحسين عليه السلام) يُقتل بأرض العراق، فقلت لجبرئيل: أرني من تربة الأرض التي يُقتل بها، قال: فهذه تربتها^(٣).

(١) أنظر: سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٥٠. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٣، ص ٢٤٢. الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ص ١٤٦. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ١٩٠.

(٢) أنظر: سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٥٠. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٢، ص ٣٠٠. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٨٧.

(٣) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين: ج ٤، ص ٤٤٠. الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ص ١٤٧.

وعن سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ فقال: شهدت قتل الحسين آنفاً^(١).

وينقل مضمون هذه الرواية كثير من علماء السنة، منهم الحاكم النيسابوري، وابن الأثير، والبيهقي، وابن حجر العسقلاني، وآخرون.

وقال ابن عباس: رأيت النبي صلى الله عليه وآله فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين، فلم أزل ألتقطه منذ اليوم. فوجد قد قُتل الحسين في ذلك اليوم^(٢).

كل هذه الروايات والأخبار تبين لنا اعتقاد أهل السنة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلم بقتل الحسين عليه السلام، وكان هو وبعض أزواجه وأيضاً الإمام علي عليه السلام يكون على الحسين عليه السلام، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يذكر مظلومية سبطه الحسين عليه السلام، وهو الذي جعل العزاء عليه سنة تُتبع وعملاً يُتقرب به إلى الله (عز وجل).

وجاء في بعض روايات أهل السنة أنه لما أتى جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله، جاء بترية من كربلاء وأخبره بقتل سبطه الحسين عليه السلام، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقبل التربة^(٣).

أول المآتم على الحسين عليه السلام بعد واقعة عاشوراء

بدأ عزاء الفريقين على الحسين عليه السلام أبان عاشوراء، حيث أورد الطبري في تاريخه: فلما رأت زينب عليها السلام مشهد جسد أخيها المضرج بالدماء والمقطوع الرأس نادى:

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٣، ح ٣٨٦٠.

(٢) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين: ج ٤، ص ٤٩. الخطيب البغدادي، أحمد بن

علي، تاريخ بغداد: ج ١، ص ١٥٢. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١٠.

(٣) أنظر: الموصلي، عمر بن شجاع الدين، النعيم المقيم لعثرة البناء العظيم: ص ١٠٣.

«يا محمداه يا محمداه، صلت عليك ملائكة السماء، هذا حسينٌ قتيلك بالعراء، مضرج بالدماء، محزوز الرأس من القفا، يا محمداه، بناتك أسرى وأولادك مقتولون في العراء». ثم يقول: «فأبكت والله كلَّ عدوٍّ وصديقٍ بكلامها»^(١).

كما أورد أنَّ العزاء أُقيم في دار أحد خصوم الحسين عليه السلام، ويقول: «لما أخذ خوليَّ الرأس الشريف من عمر بن سعد قصد الكوفة؛ لكي يحظى بجائزة عبيد الله بن زياد، ولكن رأى دار الإمارة مغلقاً، فذهب بالرأس الشريف إلى البيت ووضعه في صندوق، فعلمت بذلك امرأته الحضرمية، وبدأت بالبكاء والعيول على مظلومية الحسين وتركت بيته»^(٢).

انتقل العزاء على الحسين عليه السلام وباقي شهداء كربلاء إلى الشام بعد انتقال السبايا إليه، فتبدل مجلس يزيد من سرور ونشوة إلى حزن وعزاء:

«لما جاؤوا بسبايا آل محمد أدخلوهن إلى قصر يزيد، وكان رأس الحسين معلّقاً على رمح، فأخذ يزيد الرأس الشريف ووضعه في طست، ثم تناول الرأس بيده وأخذ ينكته بقضيب في يده وينشد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

إلى آخر الأبيات التي تدلّ على كفره بالإسلام، ورضاه وفرحه بقتل آل الرسول انتقاماً للمقتولين ببدر وأحد من المشركين، فرآه رجلٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فقال: ويحك، ارفع قضيبك عن فم الحسين، ارفع قضيبك، لقد والله رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل هاتين الشفتين، أما إنك يا يزيد تحيي يوم القيامة وابن زياد شفيحك، ويحيي هذا ومحمد شفيعه»^(٣).

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٥٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

(٣) أنظر: ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد، العقد الفريد: ج ٤، ص ٣٥٨. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٨٥.

عزاء آل يزيد على الحسين عليه السلام

أصرَّ يزيد على سلوكه الجاهلي من ممارسة الظلم، والتعامل بقسوة وعنف مع السبايا، إلّا أنّ النشاطات التبليغية للإمام السجاد عليه السلام وزينب عليها السلام أتت بمردود عكسي على يزيد وجعلته يتظاهر بالندم، وأذن للناس أن يُبرزوا حزنهم على الحسين عليه السلام ومنهم أهل بيته: «ثم أدخل نساء الحسين على يزيد فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن»^(١).

نماذج العزاء في القرون الأولى للإسلام

كان العزاء على الإمام الحسين عليه السلام في القرون الأولى يُقام بصورة جماعية إلى جوار مرقده الشريف، فكانوا يذكرون مصائبه الجليلة في إطار الشعر ولسان الحال، وكانوا يقيمون المآتم في دورهم أيضاً، ويتواسون ويتعزّون بذكر المصيبة^(٢).

الشعراء ومراثي عاشوراء

فضلاً عن إقامة العزاء إلى جوار قبر الحسين عليه السلام ومشهد رأسه الشريف، فإنّ إقامة المآتم على آل رسول الله صلى الله عليه وآله قد استمرّت بصورة إنشاد المراثي من قبل الشعراء، المشهورين منهم والمغمورين، وذلك لأنهم كانوا يمرّون بظروف قاهرة في ظل الحكم الأموي المناوئ للعلويين، والساعي إلى محو آثار النهضة الحسينية^(٣)، فمن الأشعار التي أنشدتها شاعر سني بعيد واقعة عاشوراء:

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٥٦.

(٢) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٩٣، وص ٣٤٠.

(٣) وفي هذا الصدد قال أبو الفرج الأصفهاني: «وكانت الشعراء لا تقدم على رثاء الحسين مخافة من بني أمية وخشية منهم». أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٨١. (المترجم).

أبشروا بالعذاب والتنكيل أيها القاتلون جهلاً حسيناً

كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي ومرسل وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وحامل الإنجيل^(١).

ويعتبر خالد بن غفران من كبار التابعين السنة، وقد تأثر كثيراً لم رأى قافلة السبايا والأسارى، ومشهد الرؤوس المقطوعة تدخل أرض الشام، فأخفى شخصه عن أصحابه، فطلبوه شهراً حتى وجدوه فسألوه عن عزلته، فقال: أما ترون ما نزل بنا؟! ثم أنشد، يقول:

جاؤوا برأسك يابن بنت محمد متزماً بدمائه تزميلاً

وكانها بك يابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاً ولم يترقبوا في قتلك التنزيل والتأويلاً

ويكبرون بأن قُتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلاً^(٢).

ولما رأى سليمان بن قتة، الذي تشيع على أثر واقعة كربلاء، وقصد أرض الطف ثلاث مرات، لما رأى مشهد قتل الحسين عليه السلام وأنصاره وتضحياتهم الجسام في سبيل الحق، أنشد يقول:

مررت على أبيات آل محمد فلم أرَها أمثالها يوم حلت

ألم تر أن الشمس أضحت مريضةً لفقد حسين والبلاد اقشعرت

وكانوا رجاءً ثم صاروا رزيةً لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٦٧.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٦، ص ١٨٠ - ١٨١.

أتسألنا قيسٌ فنعطى فقيرها وتقتلنا قيس إذا النعل زلتِ
وعند غني قطرة من دماننا سنطلبها يوماً بها حيث حلتِ
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت
فإن قتل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلت^(١).

ولما تظاهر يزيد بالندم على عمله الشنيع، اضطرّ إلى إرجاع السبايا الذين أقاموا مجالس عزاء في أرض الشام وفي مسيرهم إلى كربلاء، وكذلك عند عودتهم إلى المدينة.

انتشار مجالس العزاء على مظلومية الحسين عليه السلام

إنّ عزاء آل يزيد على شهداء كربلاء يدلّ على حزنهم بشهادة الحسين عليه السلام وأصحابه، ولم يزل اهتمام الناس بمظلومية أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله يزداد، حتى انتشرت مجالس العزاء، وكثر الندب فيها.

وقد كتب شرف الدين الموصلّي يقول: «انتشرت هذه المصيبة بالبلاد، فكثرت فيها النوح.. وروى أنّ الحسن البصري لما بلغه قتل الحسين بكى حتى اختلج صدغاه ثم قال: وا ذلّاه لأمة قتلت ابن دعيها ابن نبينا»^(٢)، ثم قام بسرد أحداث كربلاء وختمها بالقول: «فلأبكينّ على الحسين بعولة وعلى الحسن»^(٣).

خراسان والعزاء على الحسين وأهل بيته عليهم السلام

ما كان العزاء على الحسين عليه السلام يُقام في بلاد العراق والشام فقط، بل كان يعمّ

(١) أبو العباس المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب: ص ٢١-٢٢.

(٢) شرف الدين الموصلّي، عمر بن شجاع، مناقب آل محمد: ص ١٠٤ - ١٠٥. سبط ابن الجوزي، يوسف بن فرغلي، تذكرة الخواص: ص ٢٦٧.

(٣) المصدر السابق.

خراسان أيضاً، التي كانت تقيم العزاء على فاجعة كربلاء، ومع وجود كل وسائل الضغط والكبت الأموي والعباسي، فإن ذلك لم يؤد إلى محو ذكر تلك الرزية العظيمة، بل جعل الناس يدركون مصائب آل رسول الله صلى الله عليه وآله في كنه وجودهم، وخصوصاً تلك التي بدأت بواقعة عاشوراء، واستمرت حتى شهادة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام في سنة (١٢٢هـ) وابنه يحيى ببلاد خراسان عام (١٢٦هـ).

يقول اليعقوبي في تاريخه:

«لما قُتل زيد، وكان من أمره ما كان، تحرّكت الشيعة بخراسان، وظهر أمرهم، وكثر من يأتيهم ويميل معهم، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية، وما نالوا من آل رسول الله، ولم يبقَ بلدٌ إلّا فشا فيه هذا الخبر»^(١).

فمن الطبيعي أنّه لم يكن للعزاء في تلك البرهة أسلوب أو آداب خاصّة، بل كان يقتصر فقط على بيان مظلوميّتهم ومصيبتهم الجليلة.

فهذا الظلم الفظيع بحق أهل البيت عليهم السلام أثار عواطف الناس وأحاسيسهم، فتبلور في حبّ أهل البيت عليهم السلام وموالاتهم، والبراءة من خصومهم، فضلاً عن أنّ انغماس المسلمين وذوبانهم في حبّ الحسين عليه السلام، أدّى إلى تحرّكهم ضدّ الأمويين، حيث لما أخرجوا يحيى بن زيد من السجن، وفتحوا الغلّ منه كان الناس يتنافسون في شراء ذلك الغلّ.

وبعد شهادته، ولما انحسر ظلم الحكم الأموي، أُقيمت المآتم في مختلف أنحاء خراسان، وصاروا يسمّون كلّ ولد يُولد لهم (يحيى) أو (زيد)؛ إحياء وتجديداً لحزنهم على فقد زيد بن علي وابنه يحيى^(٢).

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٣٢٦.

(٢) أنظر: المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج ٣، ص ٢١٣. أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ١٠٨.

وبعد شهادتهما، قام الخراسانيون بارتداء الثياب السوداء، وجعلوها سُنَّةً وشعاراً لهم، «وكلّ الخراسانيين كانوا يلبسون الثياب السوداء حزناً لقتل زيد بن علي وابنه يحيى، فيكون ويتلهفون ويذكرون مصيبتهم»، ولا شك في أنهم كانوا في هذا العزاء يذكرون واقعة كربلاء ومصيبة الإمام الحسين عليه السلام، لمنزلته الرفيعة كما بينا في هذا البحث، وذلك: أولاً: إن مصائب آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخصوصاً ظلم بني أمية في حقهم كانت تُذكر وتُبين للناس، فكان المسلمون يبكون ويحزنون، ومن الواضح أن واقعة كربلاء وقتل الحسين عليه السلام وأصحابه تُعتبر من أعظم الجرائم في حق أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: إن زيد بن علي وابنه يحيى قاما للطلب بثأر الحسين عليه السلام وإحياء نهجه، فكان لهما أثر كبير في إيقاظ الناس وتوعيتهم، مع بيان مظلومية الحسين عليه السلام وجنایات بني أمية في واقعة الطف؛ مما جعل الناس يعظمون الحسين عليه السلام ويكون لمصيبته الجليلة.

كل هذا أدى إلى نشوب ثورات دامية ضد الأمويين، أسفرت عن إسقاط نظام حكمهم في سنة (١٣٢ هـ) وإن لم تعد الحق لأهل البيت عليهم السلام، وبعد الحكم الأموي جاء الدور للحكم العباسي الذي خلق أجواءً خانقة ضد النهضة الحسينية؛ وذلك لأنه كان يعتقد أن إحياء ذكر الحسين عليه السلام وثورة كربلاء يعدّ تهديداً أمنياً خطيراً لحكمهم، ورغم وجود هذه الأجواء، فإن هناك من كبار أهل السنة ممن لم ينسَ واقعة كربلاء، بل ذكروا مصائب الإمام الحسين عليه السلام بصور مختلفة، كالشعر وغيره، واستمرّ حزنهم وندبهم بهذه الشاكلة.

ومثال ذلك الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ)، الذي رثى الإمام الحسين عليه السلام وذكر مصيبته في القصيدة التالية:

تأوه قلبي والفؤاد كئيبُ	وأزق نومي فالسهاد غريبُ
ومما نفى نومي وشيَّب لُتي	تصاريف أيام لهنّ خطوبُ

فمن مُبلغ عني الحسين رسالةً	وإن كرهتها أنفُسٌ وقلوبٌ
ذبيحٌ بلا جرم كأن قميصه	صبيغ بماء الأرجوان خضيبٌ
فللسيف إعوَالٌ وللرمح رنةٌ	ولللخيل من بعد الصهيل نحيبٌ
تزلزلت الدنيا لآل محمد	وكادت لهم صُمم الجبال تذوبُ
وغارت نجومٌ واقتشعرت	وهتَّك أستارٌ وشقَّ جيوبُ
يُصلَّى على المبعوث من آل هاشمٍ	ويُغزى بنوه أن ذا العجيبُ
لئن كان ذنبي حبُّ آل محمد	فذلك ذنب لست عنه أتوبُ
همُ شفعايني يوم حشري	إذا ما بدت للناظرين خطوبُ ^(١) .

وقد أنشد قصيدة أخرى في رثاء الحسين عليه السلام، لكن ما بقي لنا شيء منها إلا هذا البيت:

أَبْكِي الْحُسَيْنَ وَأَزْنِي مِنْهُ جَحْجَاحًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ مَصْبَاحًا^(٢).

مؤرِّخو السنة وواقعة عاشوراء

تفاقم اضطهاد وكبت الحكم العباسي ضد الشعائر الدينية منذ القرن الثالث للهجرة، وخصوصاً ضد إحياء ذكر الحسين عليه السلام وإقامة مجالس العزاء عليه، فقام المتوكل العباسي بتخريب مرقد الحسين عليه السلام وحرثه، وأجرى الماء عليه، ثم قام بتعذيب زوّار الحسين عليه السلام بأسوء أنواع التعذيب، وقد نقل مؤرِّخو السنة واقعة كربلاء بصورة شفوية، ثم انتقلت الرواية من صدور الناس إلى الكتب حتى خلدت إلى يومنا هذا.

(١) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين: ص ١٢٦. القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ص ٣٥٦.

(٢) أنظر: الرازي القزويني، عبد الجليل، النقض: ج ٣، ص ٣٧٠.

ويعتبر الطبري من كبار علماء السنة الذين دوّنوا أحداث كربلاء، حيث رواها عن لوط بن يحيى المكنى بأبي مخنف (المتوفى ١٥٧ هـ)، فكان إلى حدٍّ ما صادقاً في سرد وقائع يوم عاشوراء وما بعده، وما اكتفى الطبري بنقل واقعة كربلاء عن لسان أبي مخنف فحسب، بل تطرّق فيه إلى سرد الأحداث التي جرت بعد عاشوراء، ولا سيما أسر أهل البيت عليهم السلام وأحداث الكوفة، وإقامة العزاء في مجلس عبيد الله بن زياد، ثم انتقل إلى ذكر أخبار مسيرهم إلى الشام، وذكر ظلم بني أمية واستمرار جنائياتهم، وانتهاك حرمة رأس الحسين عليه السلام على يد يزيد بن معاوية، واشتمزاز بعض أصحابه وبكائهم على مظلومية آل رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن هنا يمكن أن نطلق اصطلاح (المقتل) على مجموعة الروايات التي أوردها الطبري^(١)، ولقد تابعه كثيرٌ من المؤرّخين السنة الذين أشرنا إليهم في الفصول السابقة. فكان القصّاصون يأتون أحياناً إلى مرقد الإمام الحسين عليه السلام ويذكرون مصائبه الجليلة بلسان القصة^(٢).

إقامة العزاء في العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧ هـ)

بدأت في القرن الرابع للهجرة مرحلة جديدة من خلافة العباسيين، إذ انتقلت السلطة في ذلك العصر إلى البويهيين، بعد أن كانت في يد الأتراك المتعصّبين سنوات مديدة، وقد حدث هذا بعد وقوع بغداد تحت تصرف أحمد بن بويه المعروف بـ(معز الدولة)، فصار قسم كبير من السلطة السياسية والتنفيذية للعالم الإسلامي تحت قبضة البويهيين، الذين قاموا بإصلاحات عديدة، ومن جملة ما رفع الموانع عن أداء مجالس

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٦٥.

(٢) أنظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ج ١، ص ١٧٩-١٩٦.

العزاء على رزايا سيّد الشهداء وأهل بيته الطاهرين.

فبدأت تتسع إثر هذه الحركة المعارضة للسياسة المتشدّدة، مجالس العزاء والمآتم يوماً بعد يوم اتساعاً مذهلاً في المجالات المختلفة أدبياً وشعبيّاً، فضلاً عن الشعراء العرب انضمّ الشعراء الفرس في هذا العصر لطوائف المعزّين للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وهكذا استطاع العجم أن يقيموا مجالس العزاء في شتّى البلاد، كالعراق وخراسان وفارس وماوراء النهر وشبه القارّة.

بغداد أيام الحكم البويهي والتي تُعتبر مركزاً، كانت تشهد تعايشاً بين السنة والشيعة وغيرهم من المذاهب، وبعد العقد الخامس من القرن الرابع أخذت الأعمال والنشاطات في يوم عاشوراء تتوقّف في المدينة، ويُغلق كلّ ما فيها من الأسواق وغيرها، يرتدي البعض الثياب السوداء أحياناً ويجتمعون ويخرجون إلى الشوارع، وكان أهل السنة يرافقون الشيعة فيكون ويلطمون على صدورهم^(١)، وإن نقل بعض الخلافات بين حينٍ وآخر بين الفريقين وتنتهي في بعض الأحيان إلى اشتباكات، ولنا هنا بعض الوقفات:

الأولى: كانت تلك النزاعات تُثار من قبل بعض أهل السنة بالخصوص بعض الحنابلة مع بعض الشيعة، وليس كلّ أهل السنة أو كلّ الحنابلة.

الثانية: إنّ الاشتباكات كانت تقع في بعض السنوات لا دائماً، إذ يقوم بعض المتعصّين من أهل السنة أحياناً بتمثيل أحداث مقتل مصعب بن الزبير، وإحياء ذكر عائشة بركوب امرأة على جمل، وتمثيل خروجها في معركة الجمل.

الثالثة: إنّ معظم المسلمين في بلدان مختلفة كمصر كانوا يجتمعون حول قبر أمّ

(١) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ١١، ص ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٥٩، ٣٨١.

كلثوم ونفيسة، ويطعمون المجالس والمآتم، وينفقون أموالاً طائلة في سبيل إطعام المشاركين في المجالس، وكما يقول المقرئ:

تعمّقت هذه السّنة بين المسلمين تعمّقاً جذرياً، فاستمرّت حتى بعد سقوط الفاطميين، وما استطاع الأيوبيون أن يمنعوا الناس من هذه السّنة رغم حقدهم على الشيعة والفاطميين^(١).

الرابعة: لما تولّى السلاجقة المتعصّبون الحكم بعد سقوط البويهيين عام (٤٤٢ هـ)، كان المسلمون من الفريقين يقصدون كربلاء والنجف من شرق الدولة العباسية لزيارة أمير المؤمنين والحسين الشهيد عليهما السلام، وتجديد بيعتهم للإمام الحسين عليه السلام ونهضته العظيمة^(٢)، وقد نقل عبد الجليل الرازي القزويني في كتابه (النقض) عزاء أهل السنة في أصفهان، فيقول:

كان أبو منصور ماشادة الأصفهاني - من علماء المذهب الشافعي الذي كان قدوة للناس في أصفهان - كان يقيم العزاء يوم عاشوراء من كلّ سنة، فيديم فيه البكاء والنياح وكلّ من جاء إلى أصفهان علم بذلك وشاهده عياناً^(٣).

وفي عام (٤٥٨ هـ) تعطلت أسواق بغداد يوم عاشوراء عزاء على الإمام الحسين عليه السلام، فكان الرجال يكون ويضجّون، والنساء يخمشن وجوههنّ، وينحبن بالبكاء والعيول، وقد رضي الخليفة بإقامة مجالس العزاء لكن دون التعريض ببعض الصحابة^(٤).

(١) أنظر: تقي الدين المقرئ، أحمد بن علي، الوعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار: ص ٣١٤-٣١٨.

(٢) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ١٢، ص ٧٧.

(٣) أنظر: الرازي القزويني، عبد الجليل، النقض: ص ٣٧١.

(٤) المصدر السابق: ص ١١٤.

إقامة العزاء في العصر الغزنوي (٣٥١-٥٩٨هـ)

حكمت السلسلة الغزنوية مدّة طويلة من الزمن على شرق العالم الإسلامي، وكانوا أعداء للشيعه، فقد شنّ السلطان محمود الغزنوي بالإضافة إلى حملاته العديدة على الهند هجوماً كاسحاً على مناطق شيعية ومنها الغور، وكرجستان، والري، فكان يغزو المدن، ويحارب عقائد أهلها، ويمنعهم من ممارسة طقوسهم الدينية، خاصّة إقامة العزاء على أهل البيت عليهم السلام؛ بحجّة أنّها بدعة في الدين، لكن بعد موته عام (٤٢١هـ) انحسرت القيود المفروضة على الناس، فأقاموا المآتم في غزنین نفسها.

إقامة العزاء في نظامية بغداد

على الرغم من تعصّب السلاجقة (٤٢٧ - ٥٥٨هـ)، وإصرار وزرائهم المتشدّدين على لعن الروافض على المنابر، لا سيما الإسماعيليين منهم، بيد أنّ السنّة وغير السياسيين منهم كانوا يكرمون أهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله، وهناك شواهد تاريخية تدلّ على اهتمامهم بالعزاء على مصائب سبط النبي صلّى الله عليه وآله، الذي اجتاحت أروقة المدرسة النظامية آنذاك.

وقد كان أكثر علماء أهل السنّة في بغداد - خلال القرن السادس الهجري - يتحدثون عن مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام، ولا يكثرثون برواسب النزعات العصبية التي خلّفها زمن بني أميّة، إلّا في موارد نادرة بطبيعة الحال، فقد كتب شخص يدعى عبدالمغيث بن زهير الحنبلي كتاباً في فضائل يزيد، فردّ عليه ابن الجوزي العالم السني المشهور في كتابه الذي كتبه في الردّ على فتوى الغزالي سمّاه (الردّ على المتعصّب العنيد المانع من لعن يزيد).

وقد ذكر ابن الأثير في كتابه (الكامل) هذا الشخص بقوله: صنّف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالعجائب؛ أمّا الذهبي فقد ذكره في (سير أعلام النبلاء) وقال

عنه - وباللعب - : وكان ثقةً سنياً.

يبدو أنّ هذه النزعات كانت أشبه بالزبد الذي يذهب جُفاءً ولا يُمكث في الأرض، فلا تستحقّ أن نوليها اهتماماً.

ويبدو أنّ مراسم الغزاء يوم عاشوراء كانت تُقام في بغداد من قِبَل الشيعة وأهل السنة، ولم يحدث أن أُلغيت في فترة من فترات التاريخ.

وكان محمد بن عبد الله البلخي (المتوفى ٥٩٦هـ) وهو من أشهر علماء السنة في ذلك العصر، حيث طاف بلداناً كثيرة، كالعراق وخراسان ومصر وحوارزم ومكة وغيرها، وكانت له مكانة رفيعة في العلوم الإسلامية والخطابة والزهد، كان يخطب ويعظ في نظامية بغداد، فيحضر مجلس وعظه العلماء وطلاب المدرسة، وفي نهاية مجلسه كان يرثي الإمام الحسين عليه السلام ويذكر مصيبته ومصائب آلِه وأصحابه، فكان الحَضار يبكون ويتفجّعون، وكان يتطرّق إلى ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام ويقول: «رأى يوماً علي عليه السلام زوجته فاطمة (س) تبكي، فقال لها: ما يُيكيك يا فاطمة؟ أغضب مالك؟ أهضم حقك؟ أفعلوا كذا وكذا بك؟ وهكذا كان يذكر ما فعله الشيخان بحق بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان الناس يتأثرون بكلامه ويكُون»^(١).

ولم يقتصر الأمر عليه، بل هناك كثير أمثاله: منهم علي بن الحسين الغزنوي المسمّى بالواعظ، وكان من كبار الخطباء في بغداد، وله مقام شامخ بين السنة، وكانت الحكومة السلجوقية ووزراؤها تحترمه احتراماً خاصاً بسبب منزلته الرفيعة، فكان الواعظ يرثي أهل البيت عليهم السلام بقصائده، فيحضر مجلسه السلاطين وأمراء السلاجقة، وقد وصفته مصادر أهل السنة بأنّه مليح الإيراد ولطيف الحركات؛ وذلك بسبب قوّة خطابه

(١) نقلاً عن: الطباطبائي، عبد العزيز، معجم أعلام الشيعة: ص ٢٩٦.

وبيانه^(١).

ومن الوعاظ الذين كان لهم مجالسهم في مراسم العزاء: علي بن حسين الغزنوي الحنفي، وكان واعظاً مقتدراً، وكان السلاطين يحضرون في مجلسه، ومنهم: الأمير عبادي، وكان يقرأ المقتل يوم عاشوراء، ومنهم ابن الجوزي المذكور الذي نُقل عنه بعض خطبه وكلماته التي قالها على منبر خطابته.

نقل القزويني: «كان الخواجه علي الغزنوي الحنفي [من كبار وعاظ بغداد، وكان السلطان مسعود السلجوقي يحضر في مجلسه] كان يُقيم العزاء في بغداد مدينة السلام ومقر دار الخلافة، حتّى أنّه بالّع يوم عاشوراء في لعن آل أبي سفيان، فنهض رجل وسأله: ما تقول في معاوية؟ فصاح بصوتٍ رفيع: أيّها المسلمون، إنّ هذا يسأل عليّاً [وعليّ هو اسم الواعظ] ويقول: ما تقول في معاوية؟ أفلا تعلم ماذا يقول عليّ في معاوية؟!

وسُئل أمير عبادي [قطب الدين مظفر، أحد وعاظ بغداد المعروفين] وكان علامة عصره وأميراً في الكلام والخطابة - وكان في مجلس المفتي لأمر الله - في اليوم التاسع من المحرم: ما تقول في معاوية؟ فلم يُجب، حتّى كرّر السائل سؤاله ثلاث مرّات، ثم قال: أيّها الرجل، سألت سؤالاً مبهماً، ولست أعلم أيّ معاوية تقصد، أمعاوية الذي كسر أبوه ثنايا المصطفى صلى الله عليه وآله، ولفظت أمّه كبد حمزة، وسلّ سيفه في وجه عليّ بضعاً وعشرين مرّة، وحزّ ابنه رأس الحسين؟! فيا أيّها المسلمون، ما تقولون في معاوية هذا؟ فارتفعت أصوات الناس بلعن معاوية في حضور الخليفة، وكان منهم الحنفي والشافعي وأتباع المذاهب السنيّة الأخرى^(٢).

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج ٥، ص ٢١٧. الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال: ج ٦، ص ٢١٥.

(٢) الرازي القزويني، عبد الجليل، النقض: ص ٣٧٣ - ٣٧٠.

وهذا هو قاضي السلامية (المتوفى ٦١٠ هـ) أحد طلاب المدرسة النظامية، كان قد

رثى الإمام الحسين (عليه السلام) في قصيدة، قال فيها:

يا شهر عاشوراء أذكرتني	مصارع الأشراف من هاشم
أبكي ولا لوم على من بكى	وإنما اللوم على اللائم
ما من بكى فيك أشد البكا	وناح، بالعاصي ولا الآثم
رزية ما قام في مثلها	نائحة تندب في مأثم
آل رسول الله خير الورى	صفوة الله على العالم
مثل مصاييح الدجى عقرت	وجوههم في الرهج القاتم
رؤوسهم تحمل فوق القنا	مظلومة شلت يد الظالم
ساروا بها يا قبحها فعلة	مثل مسير الظافر الغانم
كأنما الزهراء ليست لهم	أماً ولا الجد أباً القاسم
قل لابن مرجانة لا بد أن	تعصّ كفّ الخاسر النادم
محمد خير بني آدم	خصمك يا شرّ بني آدم
يطلب منك الثأر في موقف	ما فيه للظالم من عاصم
وفيه يقتصّ من المعتدي	بالنار لا بالسيف والصارم ^(١) .

ورغم انحسار إقامة المآتم في العصر السلجوقي، إلا أنه ظهر في أوساط الفرس السنة شعراء كبار نلمس في أشعارهم آيات الحزن والأسى على شهداء آل الله، وإليك أسماؤهم مع نماذج من أشعارهم باللغة الفارسية:

(١) شبر، جواد، أدب الطف: ج ٤، ص ٢٣.

- عمیق البخارائی (المتوفی ۵۴۳هـ):

سواد ساحت فرغانه بهشت آیین

چو کربلا همه آثار مشهد شهداست^(۱).

- الخاقانی شیروانی (المتوفی ۵۹۵هـ) والذي اشتهر بحسان العجم:

ز صد هزاران خلف يك خلف بود چو حسين

که نفس أحمد بختی رام او زبید^(۲).

- ظهیر الدین الفاریابی (المتوفی ۵۹۸هـ):

ای ظهیر از گور نقبی می زنی تا کربلا

می روم گریان به پابوس حسین تشنه لب

بس که چشم غم سر شکم با بلا آمیخته است

خاک من دارد شرف مانند خاک کربلا^(۳).

- شمس الدین الطیبی (المتوفی ۶۴۲هـ):

بلای دور فلک چون غم از دو دیده ریخت

مگر حدیث شهیدان کربلا برداشت

ز اشک مردم چشمم به رسم عاشورا

ز خاک پای خداوند توتیا برداشت^(۴).

(۱) البخارائی، عمیق، دیوان عمیق البخارائی (تصحیح سعید النفیسی): ص ۸۱.

(۲) الخاقانی شیروانی، دیوان الخاقانی شیروانی (تصحیح ضیاء الدین سجادی): ص ۲.

(۳) الفاریابی، ظهیر الدین، دیوان ظهیر الدین الفاریابی (تصحیح هاشم رضا): ص ۱۸۸، و ص ۲۸۰.

(۴) الطیبی، شمس الدین، دیوان شمس الدین الطیبی (تصحیح تقی ینش): ص ۱۳۴.

- کمال الدين إسماعيل الذي عاش في القرن السابع في أصفهان:

چون محرم رسيد وعاشورا خنده بر لب حرام بايد کرد
در پی ماتم حسين بن علی گريه از ابر وام بايد کرد^(۱).

- مصلح الدين سعدي الشيرازي الشافعي (المتوفى ۶۵۹هـ):

يارب به نسل طاهر أولاد فاطمه يارب به خون پاک شهيدان کربلا
يارب به نسل طاهر أولاد فاطمه يارب به آب ديده مردان آشنا

- جلال الدين محمد المولوي البلخي (المتوفى ۶۷۲هـ):

کجايد ای شهيدان خدایي بلاجويان دشت کربلايی
کجايد ای سبک روحان عاشق پرنده تر ز مرغان هوایی^(۲).

- سيف الدين الفرغاني (المتوفى ۷۰۵هـ):

ای قوم در اين عزا بگرييد بر کشته کربلا بگرييد
فرزند رسول را بکشند از بهر خدای را بگرييد^(۳).

- علاء الدولة السمناني (المتوفى ۷۳۶هـ):

کمال حسن خلق اندر حسن دادن وفا اندر شهيد کربلا بين^(۴).

(۱) إسماعيل، کمال الدين، ديوان کمال الدين إسماعيل (تصحیح بحر العلومي): ص ۶۲۸، و ص ۶۳۹.

(۲) البلخي، جلال الدين محمد، کلیات دیوان شمس (تصحیح محمد العباسی): ص ۱۰۱۷.

(۳) الفرغاني، سيف الدين، ديوان سيف الدين الفرغاني (تصحیح ذبیح الله صفا): ص ۱۷۶ - ۱۷۷.

(۴) السمناني، علاء الدولة، ديوان علاء الدولة السمناني (تصحیح عبد الرفيق حقيقت): ص ۲۷، و ص ۲۸۱.

- أوحدي مراغئي أصفهاني (المتوفى ۷۳۸هـ):

به شهيدان كربلا ز فسوس به ستم كشتگان مشهد طوس^(۱).

- كمال الدين محمود المعروف بخواجوي کرمانی (المتوفى ۷۵۳هـ):

خون شفق در کنار چرخ به سوگ حسين

دود غسق در جگر دهر به داغ حسن^(۲).

- سلمان ساوجی (المتوفى ۷۷۸هـ):

خاك و خون آغشته لب تشنگان كربلاست

آخر ای جوی بلا بین خون پایت كجاست^(۳).

- محمد بن حسام الخوسفي (المتوفى ۸۷۵هـ):

یا رسول الله گذر کن سوی دشت كربلا

خود تو می دانی كه خاك كربلا كرب و بلاست

در باغ ارغون چون شهيدان كربلا

از پای تا به فرق به خون گشته لاله زار^(۴).

مواصلة العزاء في خراسان وماوراء النهر

بعد أن تأسس الحكم الخوارزمشاهي (۵۲۱ - ۶۸۲هـ) ضعفت سلطة السلاجقة، الأمر الذي مهد الأرضية لانتشار التشيع وأتباع مذهب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

(۱) الشوشتری، نور الله، مجالس المؤمنین: ج ۲، ص ۷۰.

(۲) الكرمانی، خواجوي، دیوان خواجوی الكرمانی (تصحیح أحمد سهیلی خوانساری): ص ۵۷۱ - ۵۷۲.

(۳) نقلاً عن مجلة الحوزة، العدد ۱۱۳ - ۱۱۴.

(۴) الخوسفي، محمد، دیوان محمد الخوسفي (تصحیح أحمد أحمدي بیرجندی، ومحمد تقی سالک): ص ۴۶،

وص ۱۷۷، وص ۱۷۸.

وتحسّنت الظروف لإقامة العزاء آنذاك، بالرغم من استمرار وجود بعض العوائق، وأخذ بعض الشعراء الفرس السنة يندبون الحسين عليه السلام في أشعارهم، منهم: العطار النيشابوري (٥٣٧- ٦٢٧هـ)، وسلطان ولد (المتوفى ٧١٢هـ) نجل جلال الدين محمد البلخي.

وقد ذكرنا أنّ للإمام الشافعي قصائد كثيرة في مدح أهل البيت عليهم السلام وراثتهم، وهذا يكشف عن المنزلة الرفيعة لأهل البيت عليهم السلام في نظر السنّة، تلك المنزلة التي جعلتهم يتأثرون كثيراً بمصائب أهل البيت عليهم السلام، فيقومون بالعزاء عليهم وراثتهم، وقد نقل عبد الجليل الرازي القزويني في كتابه (النقض) الذي ألفه عام (٥٦٠هـ) معلومات تاريخية قيّمة عن تاريخ إقامة أهل السنّة مراسم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، فقد كتب في رده على كاتب سني انتقد الشيعة بأنهم: «يُظهرون الجزعَ يوم عاشوراء، ويقيمون العزاء، ويُجَدِّدون مصاب شهداء كربلاء على المنابر، فيخلع علماءهم عمامتهم، ويشقّ العوامُ جُيوبهم، وتُخْمَش نساؤهم وجوههنّ ويتنحنحن بالبكاء»، كتب يقول: «من الجليّ البين أنّ أئمة الفريقين من أصحاب الإمام أبي حنيفة، والإمام الشافعي، وعلماء وفقهاء الطوائف قد رَعَوْا هذه السنّة خَلْفاً عن سَلَف، وحافظوا عليها، فالشافعي الذي هو مؤسّس المذهب المنسوب إليه قد أنشد - فضلاً عن المناقب التي نقلها - أشعاراً في رثاء الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء، يقول في إحداها:

أَبْكِي الْحُسَيْنَ وَأَرْثِي مِنْهُ جَحْجَاحاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ مَصْبَاحاً^(١).

ويقول في قصيدة ثانية:

تَأَوَّبَ هَمِّي فَالْفَوَادُ كَيْبٌ وَأَرْقَ نَوْمِي فَالرُّقَادُ عَجِيبٌ

ومراثي شهداء كربلاء التي أنشدتها أتباع أبي حنيفة والشافعي لا يمكن حصرها، فإن

(١) أنظر: الرازي القزويني، عبد الجليل، النقض: ج ٣، ص ٣٧٠.

كان في ذلك قدح، فهو أولاً قدح في أبي حنيفة والشافعي ثم فينا، فلو كان هذا بدعة كما يقول هذا المجبر المتحوّل - يعني الكاتب السني - لما أفتى القاضي به، ولما أقره هؤلاء الأئمة والأعلام، وإذا كان هذا الكاتب لم يحضر مجلس الحنفية ولا مجلس الشيعة، فإنه لا بد أن يكون حضر مجلس شهاب المشاط، الذي كان يُقيم مجلس العزاء كلّ سنة مع حلول شهر المحرم، ويذكر في يوم عاشوراء مقتل الحسين بن علي عليه السلام.. فما كان من الحاضرين إلا أن شقُّوا ثيابهم ونثروا التراب على رؤوسهم وألقى الرجال بعمائمهم وناحوا وضجّوا بالبكاء والعيول.

ولو فرض أن هؤلاء العلماء والقضاة كانوا يقيمون مراسم العزاء ويشتركون فيها تقيّة منهم ومداهنة للسلطان، فإنهم سيكونون عندئذٍ قد وافقوا الشيعة في العمل بالتقيّة، وإذا فعلوا ذلك عن اعتقاد، فهو دليل على كذب ادّعاء الكاتب وعلى نقصان إيمانه، ونحن نعلم أن الخوارج والمشبّهة لا يقرّون إقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام، أما أتباع المذهبين الحنفي والشافعي مع الشيعة فيتبعون هذه السنّة، فإقامة العزاء على الحسين بن علي عليه السلام هو اتباع لقول المصطفى صلى الله عليه وآله: (مَنْ بَكَى عَلَى الْحُسَيْنِ أَوْ أَبَكَى أَوْ تَبَاكَى، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)، من أجل أن يكون المتكلّم والسامع في ظلّ رحمة الله، ولا يُنكر ذلك إلا منافق ومبتدع وضالّ وخارجي ومُبغض لفاطمة وعلي وآلهما، والحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون»^(١).

كانت المدن الشيعية - خراسان وقم وكاشان في إيران، والنجف وكربلاء والحلة في العراق، وكذلك جنوب لبنان، وبعض المناطق الإسماعيلية في مصر وشمال أفريقيا - مراكز لإقامة مجالس العزاء، لكن تلك المجالس لا تقتصر إقامتها على هذه المناطق فحسب، بل هناك شواهد تدلّ على وجودها في ضواحي خراسان، كنيشابور وغيرها

(١) الرازي القزويني، عبد الجليل، النقص: ص ٣٧٠.

من المناطق التي يقطنها السنة.

وكان مجد الدين مذكر الهمداني (المتوفى ٥٥٥هـ) يُقيم في همدان التي غلب على أهلها رأي المشيئة، العزاء في موسم عاشوراء في كيفية عجب منها القميون الشيعة أنفسهم.

وكان الخواجة الإمام نجم أبو المعالي بن أبي القاسم البزاري في نيسابور - وهو من علماء المذهب الحنفي - يواظب على إقامة هذا العزاء، وكان يمسك في يده منديلاً، فينوح وينثر التراب على رأسه ويتنّ أنيناً عالياً.

وكان الشيخ أبو الفتوح النصرآبادي، والخواجه محمود الحدادي الحنفي، وغيرهما من الحنفيين، يقيمون مراسم العزاء يوم عاشوراء في مدينة الري، وهي من أمّيات المدن الإسلامية في مركز توقف القوافل في (كوشك)، وفي المساجد الكبيرة، فيقضون يوم عاشوراء في ذكر التعزية ولعن الظالمين.

كما كان الخواجة الإمام شرف الأئمة أبو نصر الهسنجاني يقيم العزاء في كلّ يوم عاشوراء في حضور الأمراء وعلماء الحنفية، وكانوا يقرّون ذلك منه ويشتركون معه فيه.

أمّا الخواجة الإمام أبو منصور حفيد محمد بن أسعد الطوسي، الملقّب بعمدة الدين، الفقيه الشافعي النيسابوري، الذي كان مقدّماً لدى أصحاب الشافعي، فكان إذا حضر في مدينة الريّ أقام مراسم العزاء يوم عاشوراء في جامع (سرهنك) على هذا النحو الذي وصفناه، وكان يفضّل الحسين عليه السلام على عثمان، ويلقّب معاوية بالمارق، وناهيك عن القاضي الكبير الحنفي في ساوة، الذي كان يذكر قصّة عاشوراء في حضور ما يقرب من (٢٠ ألف) شخص، فكانوا يشقّون الجيوب ويلقّون عمائمهم من على

رؤوسهم بما لم يسبق له مثيل^(١).

وقد رثى القاضي السمعاني المروزي الحنفي (المتوفى ٤٥٠هـ) - وهو والد جدّ عبد الكريم السمعاني صاحب (الأنساب) - الحسين عليه السلام في شعره:

سَلُّوا سِيُوفَ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ فَقَرَّوْا بِهَا هَامَاتِ آلِ مُحَمَّدٍ
فَكَأَنَّ عَتْرَةَ أَحْمَدَ أَعْدَاؤُهُ وَكَأَنَّمَا الْأَعْدَاءُ عَتْرَةَ أَحْمَدٍ^(٢).

كما نظم أبو الحسن الباخريزي الشافعي (المتوفى ٤٦٧هـ) مصنّف كتاب (دمية القصر) - وهو ذيل على يتيمة الثعالبي - قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام، منها هذه الأبيات:

صنو الرسول وزوج فاطمة التي	ملئت ملائمتها من العلياء
وأبو الذين تجرّدوا ما بين مسمو	م ومذبوح، عن الحوباء
وأراك تنقص يا يزيد إذا علت	يوم القيامة رنة الزهراء
تغشى التظلم من مريق دم ابنها	سحابة للخرقة الحمراء
مابال أولاد النبي تركتهم	نهباً لقتل شائع وسباء
لو كنت ترعى جانب الأب لم تكن	لتضيّع الحرمات في الأبناء
ظمئوا وما أرودتهم، ودماءهم	عمّت ظماء السُّهر بالإرواء
وأخسّ من سؤر الإناء عصابة	حجروا على الظمان سؤر إناء
بمجنّحات شرّد يسلكن من	لهواتهم طرقاتاً إلى الأقفاء
والله أملاهم ليـزدادوا به	إنّما فقل في حكمة الإملاء
خجلاً لهم من قوم صالح الأولى	لم يفتكوا إلا بذات رغاء

(١) الرازي القزويني، عبد الجليل، التقص: ص ٣٧٠.

(٢) الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ٦، ص ١٨٥. شبر، جواد، أدب الطف: ج ٤، ص ٣٣٣.

فتعاورتهما رجفة جثمت بها فكأتمها لم تغن في الإحياء^(١).

بكاء أهل الشام على الحسين قبيل حملة المغول

ينقل ابن كثير في كتابه أنه بعد سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ) بيد المغول - وذلك بعد إنهاء خلافة العباسيين الذين حكموا نحو (٥٥٤ عاماً) - قام شعراء الشام برثاء الإمام الحسين عليه السلام، منهم شهاب الدين أبو شامة (٥٩٩ - ٦٦٥هـ)، الذي سمع بحملة المغول على ميافارقين وقتل قائدتها الكامل بن شهاب، الذي قُطع رأسه ورُفع على باب الفرائيس في دمشق، فنظم أبو شامة في ذلك قصيدة يذكر فيها فضله وجهاده، وشبهه بالحسين عليه السلام في قتله مظلوماً^(٢).

وإضافةً إلى دمشق، هناك مدن أخرى من الشام كحلب وغيرها كان أهلها يقيمون المآتم يوم عاشوراء من كل عام، ويذكرون فيها مصائب الحسين عليه السلام الجليلة.

ولابن الوردي الحلبي الشافعي (المتوفى ٧٤٩هـ) شعر في الإمام الحسين عليه السلام، قال:

أرأس السبّط يُنقل والسبايا	لم يفتكوا إلا بذات رغاء
خجلاً لهم من قوم صالح الأولى	يطاف بها وفوق الأرض رأس
ومالي غير هذا السبّ ذخر	ومالي غير هذا الرأس رأس

وقال:

جدي هو الصديق واسمي عُمر	وابني أبوبكر وبنتي عائشة
لكن يزيد ناقص عندي ففي	ظلم الحسين ألف ألف فاحشة ^(٣) .

(١) ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان: ج ١، ص ٣٦٠. الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ٤، ص ٢٧٢ - ٢٧٣. شبر، جواد، أدب الطف: ج ٣، ص ٢٧٧.

(٢) أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ١٣، ص ٢٤٩.

(٣) السبكي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية: ج ١٠، ص ٣٧٣، رقم ١٤٠٢. الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ٥، ص ٦٧. شبر، جواد، أدب الطف: ج ٤، ص ١٩٧.

وقال:

دنيا تضام كرامها بلثامها ودليل ذاك حسينها ويزيدها
يا خاطب الدنيا الدنيّة إثرها طُبعت على كدرٍ وأنت تريدها^(١).

انتشار العزاء في العهد التيموري (٧٧١-٩١١هـ)

إنّ التيموريين كانوا من أتباع مذاهب السنة بشكل رئيسي، ولكنهم بعدما استلموا الحكم وخصوصاً بعد قتل تيمور الملك، برزت عندهم نشاطات أدبية وحضارية واسعة ومهمّة في العالم الإسلامي ولا سيما في خراسان، حيث كانوا يحترمون علماء الشيعة وعقائدهم، ويظهرون المحبة لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، ممّا ساعد إلى حدٍّ بعيد على نشر ثقافة أهل البيت عليهم السلام وشعائرتهم، وهكذا أصبحت مجالس العزاء على الحسين عليه السلام تتّسع يوماً بعد آخر، حتى وصلت إلى بلاط الحكم التيموري^(٢).

وتشير الآثار الفارسية المؤلّفة خلال الفترة الواقعة بين القرنين السابع والعاشر للهجرة إلى رسوخ وتعمّق محبة أهل البيت عليهم السلام في أوساط أهل السنة، حيث تناقل أكثر مؤلّفي السنة في كتبهم التي تناولت تاريخ الإسلام واقعة كربلاء، نقلاً عن كتاب الفتوح لابن أعثم، وعلّقوا عليها تعليقات تبين انحيازهم الكامل إلى صفّ الإمام الحسين عليه السلام.

وقد انتشر العزاء على مصاب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في هذا العصر وبأبعاد مختلفة، بحيث لا يقاس بالعصور السابقة، وهذه الأجواء التي كانت مفعمة بالمحبة لأهل بيت

(١) إشارة إلى بيت أبي الحسن التهامي (المتوفى ٤١٦هـ):

طُبعت على كدرٍ وأنت تريدها * صفواً من الأقداء والأكدار

(٢) أنظر: السمرقندي، عبدالرزاق، مطلع السعدين ومجمع البحرين: ج ٢، ص ١٤٨. البلخي، خواندمير، حبيب السير: ج ٣، ص ٦١٨.

النبي صلى الله عليه وآله، والمعادية للأُمويين والعباسيين جعلت المجتمع يسير نحو قبول معارف أهل البيت عليهم السلام ومبانيهم الصحيحة، يقول كامل مصطفى الشبيبي في كتابه (الصلة بين التشيع والتصوف): «استبدل مجالس ذكر الصوفيين في هرات بمجالس البكاء على الحسين عليه السلام في العهد التيموري».

ويذكر صاحب كتاب (روضة الشهداء) في المقدمة هدفه من تأليف الكتاب، فيقول: «إنَّ الأوضاع الاجتماعية والأرضية الممهّدة للظروف الدينية والثقافية، وكذلك انتشار العزاء في شتّى الأنحاء لا سيما خراسان، دفعته إلى تأليف الكتاب».

ويضيف قائلاً: «كان محبّو أهل البيت عليهم السلام يجتمعون في شهر المحرم من كلّ عام، ويجددون مصاب سيد الشهداء بالعزاء عليه وعلى أولاده الطاهرين، فتحترق أفئدتهم من الحزن ويضجّون بالبكاء والعويل».

لقد ألّف صاحب (روضة الشهداء) كتابه بناءً على طلب مرشد الدولة أحد علماء هرات، والمعروف بسيد ميرزا، ويذكر ثمة عوامل دفعته لتأليف الكتاب، ومن أهمّها أنّه يقول: «رغم أنّ هناك كتباً كثيرة عن واقعة كربلاء ورواية أحداثها، لكن لم تُذكر فيها مناقب الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام وأحوالهما بصورة كاملة، فهذا النقص في التأليف جعلني أصنّف كتاباً جامعاً بأمر سيد ميرزا، يشتمل على روايات كثيرة عن الأنبياء والأصفياء والشهداء، لا سيما الخمسة أصحاب الكساء، بصورة مفصّلة ومشروحة»^(١).

وفي هذا الإطار يذكر في قسم آخر من كتابه شيئاً عن فلسفة تأليفه، وفضل كتابه (روضة الشهداء) على سائر الكتب المشابهة ويقول: «ليس في كتب المقاتل الموجودة شرحٌ لأخبار القتال وكيفيته، بل هناك اختصار فقط لذكر أسماء المقاتلين، لكن الحقيق

(١) الكاشفي، حسين، روضة الشهداء: ص ١٢-١٣.

(يقصد بذلك نفسه) في هذا الكتاب بدأ بالتحقيق والبحث الكثير، حتى عثر على تفاصيل المقاتل، فكتبه بأحسن أسلوب، وبما أنه ليس للعجم معرفة باللغة العربية فلهذا لم أذكر أراجيز المقاتلين إلا في وقت الضرورة^(١).

يبدو من خلال هذا النص أنه كانت هناك أرضية مهيّدة للعزاء على الإمام الحسين عليه السلام في خراسان وماوراء النهر، حتى قبل تأليف كتاب روضة الشهداء، فكان الناس يجتمعون في يوم عاشوراء من كل عام ويذكرون مصائب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء، وكان العلماء والشعراء والفقهاء يُبَيّنون لهم الجرائم التي جرت في حق آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وهكذا كانوا يقيمون العزاء.

كمال الدين ملا حسين الواعظ الكاشفي (المتوفى ٩١٠هـ)

كان في قمة الخطباء الكبار وحاز على مكانة رفيعة عند الفريقين، فالشيعة في مدينة بيهق (في سبزوار) كانوا يظنون أنه سني، والسنة في هرات كانوا يظنون أنه شيعي، لكن بعض الباحثين يقول: «يبدو أنه كان من نوادر عصره، ليس له تعصب بمذهب أو فرقة خاصة، وكانت له شخصية غريبة مثل شخصية الشيخ بهاء الدين العاملي، فقد كانت له نظرات عالية وتساهل في الأمور»^(٢).

رغم أن كتاب (روضة الشهداء) ليس أول كتاب ألف في ذكر شهداء كربلاء^(٣)، لكن ثمة أسباب جعلت الكتاب يعتبر أول مقتل فارسي وأشهره وأكثره تأثيراً بين كتب المقاتل الموجودة، وهنا نذكر بعض هذه الأسباب:

الأسلوب الجميل في الكتابة، وقوة الكاتب في تحرير الكتاب بطريقة سلسلة، وأيضاً

(١) الكاشفي، حسين، روضة الشهداء: ص ١٢-١٣.

(٢) الشبي، مصطفى، الصلة بين التشيع والتصوف: ص ٣٢٥-٣٢٧.

(٣) أنظر: آغا بزرك الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ١١، ص ٢٩٥.

تجاربه الكثيرة في ذكر الروايات دون التعرّض إلى عقائد أهل السنة. فهذه الأسباب جعلت الوعّاظ والخطباء يستمدّون من هذا الكتاب القيم في خطبهم حول مصائب أهل البيت عليهم السلام، حتى أطلق اصطلاح الروضة في اللغة الفارسية على كلّ مجلس عزاء يقام لمصائب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه؛ إشارةً إلى كتاب (روضة الشهداء) للواعظ الكاشفي^(١).

لقد كانت للكاشفي مجالس وعظ وخطابة في شتى المدن، لا سيما هرات وسبزوار، وكان يذكر فيها مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ويبين مصائبهم بأسلوب قصصي، مزدان بالأحاديث والأشعار.

وكان يقيم مجالسه في المدارس وحتى في بلاط الحكام التيموريين، وكان الحضّار - وأكثرهم من أهل السنة والجماعة - يستمعون له ويتأثرون برثائه ويكون حزيناً لمصائب أهل البيت عليهم السلام.

خلف الكاشفي تلامذة كثيرين من السنّة الذين تتلمذوا عنده، وتعلّموا منه فنون الخطابة، واتّبعوا منهجه، حيث جعلوا أسلوبه معياراً لهم في خطبهم، وكانوا يعتقدون أنّ أسلوبهم في الخطابة كلّما كان أشبه بأسلوب الكاشفي كلّما كانوا أكثر نجاحاً في الخطابة.

نقل محمود الواصفي - أحد تلامذة ملاحسين الكاشفي - أنّه سافر يوماً إلى نيسابور بعد وفاة أستاذه، فلمّا علم أهل نيسابور أنّه من تلامذة الكاشفي أعربوا عن أسفهم وحزنهم لفقدان هذا الخطيب الجليل، وطلبوا من الواصفي أن يقرأ لهم تعزية يذكر فيها مصائب أهل البيت عليهم السلام، إحياء لذكرى ملا حسين الكاشفي، فاختار إحدى خطب

(١) أنظر: آغا بزرك الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ١، ص ٢٩٥.

أُستاذه الكاشفي، وقرأ لهم بنفس طريقته، فرغبوا في ذلك وتأثروا به كثيراً^(١).
ويروي أيضاً أنه كان في بيت الأمير زين العابدين أحد علماء نيسابور، فقال الأمير:
نحن محرومون من مواعظ مولانا الكاشفي منذ سنين طويلة، لكن سمعنا أنه كان يمدح
تلميذه الواصفي، فاليوم التقينا بتلميذه ونأمل أن يفيدنا بذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام.
تُوفي ملاحسين الكاشفي سنة (٩١٠هـ)، لكنه ترك أثراً عميقاً في نفوس الناس،
وأصبح لكتابه دورٌ مهمٌ في بيان معارف أهل البيت عليهم السلام، وانتشار مجالس ذكر مناقب
أهل البيت عليهم السلام ومصائبهم، حيث حاز الكتاب أهميةً كبيرةً لدى الوعاظ والخطباء^(٢).

فخر الدين الكاشفي (المتوفى ٩٣٩هـ)

فخر الدين علي صفي بن ملاحسين الكاشفي السبزواري، كان أسلوبه في الخطابة
أكثر شبهاً بأسلوب أبيه وأُستاذه ملا حسين الكاشفي من سائر تلاميذه، لذلك يعتبر
أكبر مروج لمنهج أبيه في الخطابة والوعظ، كان يُنسب - كآبيه - إلى التشيع عند السنة،
وإلى التسنن عند الشيعة.

يعتبر كتاب (لطائف الطوائف) أهم آثاره في بيان عظمة أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم
الرفيعة، وحينما يقرأ القارئ كتابه يرى في أسلوبه شبهاً كبيراً بأسلوب أبيه وأفكاره،
وكان يعظ الناس ويذكر لهم مصائب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

غادر فخر الدين الكاشفي هرات بعد سقوط الحكومة التيمورية، متوجّهاً إلى
كرجستان، وظلّ هناك يدرّس ويقوم مجالس العزاء لأهل البيت عليهم السلام، وألّف كتابه القيم
وأهداه لحاكم كرجستان^(٣).

(١) أنظر: الواصفي محمود، بدائع الوقائع: ج ٣، ص ٢٦٧.

(٢) أنظر: الداودي، عبد المجيد الناصري، تشيع وتصوّف (التشيع والتصوّف): ص ٣٢٥ - ٣٢٧. رسول
جعفریان، مقالات تاريخي (مقالات تاريخية) (دفتر نخست): ص ٢٠٤.

(٣) أنظر: الصفوي، سام ميرزا، تحفة سامي (التحفة السامية): ص ٦٨.

يُشار إلى أنّ هناك كثيراً من الوعّاظ والعلماء في عصرهم قاموا بنشر عقائد أهل البيت عليهم السلام وذكر مصائبهم، ومن جملتهم: السيد أبو الحسن الكربلائي، وحيدر علي المداح، والسيد علي (واحد العين)، وغيرهم من الخطباء الذين كانوا يرشدون الناس ويبارسون الخطابة في المساجد والمدارس العلمية، وحتى في الشوارع والأسواق، وكانوا أحياناً يذكرون أسماء أهل البيت عليهم السلام المباركة في مستهلّ خطبة الجمعة، بدلاً من ذكر أسماء الخلفاء، وكانوا يطلبون من سلاطين السلسلة التيمورية أن يُقرّوهم على هذه السنّة الحسنة^(١).

ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام ومدحهم

راجت في العصر التيموري حركة علمية واسعة للاطلاع على منزلة أهل البيت عليهم السلام، والتوسّل والتقرب إليهم بأساليب مختلفة، ومن مظاهر تلك الحركة أنّ العلماء قاموا بذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، وتبيين أبعاد مختلفة من شخصيتهم العظيمة، فتارة كانوا يذكرون مناقبهم في صورة الشعر، وتارة أخرى في صورة النثر أو القصة، وهذا الأسلوب كان قد تأسّس في القرن الثامن، لكنّه اتّسع وازدهر في القرن التاسع.

خلافًا لمجالس الغزاء التي كانت تذكر فيها مصائب الإمام الحسين عليه السلام، وتختصّ فقط بشهر محرم الحرام، وتقام في أماكن خاصّة، فإنّ مجالس مدح أهل البيت عليهم السلام ما كانت بحاجة إلى زمان أو مكان محدّد، بل كان الوعّاظ يشيدون بمناقبهم في مختلف الأماكن، كالميادين والمساجد والمزارات والأسواق والمدارس وغيرها.. ونرى أنّ هذه السنّة دخلت في حياة الناس الدينية والاجتماعية قبل العصر التيموري، لكنّها تطورت

(١) أنظر: الأسفزاری، معین الدین زنجی، روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات: ج ٢، ص ٣٢٨-٣٣٠.

بشكل مذهل في هذا العصر، حيث كانت تقام هذه المجالس يومياً في هرات، وكان يرتادها الناس من الفريقين، بل حظيت أيضاً بمشاركة بعض رجال الحكم فيها. رغم أن الوعّاظ والخطباء كان أكثرهم من الشيعة، لكن المستمعين كانوا من أتباع المذاهب المختلفة من السنة وغيرهم، فكان الخطيب تارةً يذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام وتارةً أخرى يذمّ الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه وآله، الأمر الذي أدّى إلى غضب أهل السنة واعتراضهم.

يقول أحد علماء السنة: «دخلنا يوماً إلى مدرسة جوهرشاد، فرأينا فيها مجلساً أقامه حسن علي المداح، يذكر فيه مناقب أهل البيت عليهم السلام، و(يسبّ) أحد الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوصل الخبر إلى ميرزا بيرم، فغضب وقال: سأقتل هذا الكافر أو أسعى في قتله، فقال له فقير: يا صاح، إنّ أمثال هذا الرجل كثيرون وجماعة السنة كثيرون أيضاً في هذه المدينة، فلا مبرر لقتله مادام شاه إسماعيل يحكم العراق، فقتله بسبب مشاكل كثيرة لجماعتنا»^(١).

طلب إيراد الخطبة باسم أهل البيت عليهم السلام

أثر النشاطات الكثيرة في شتّى الأبعاد، مثل إقامة مجالس العزاء وذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام ونظم الشعر في مدحهم والخطابة وغيرها، ارتأى آخر الملوك التيموريين أن يُطلق على نفسه لقب الحسيني؛ تيمناً باسم الحسين عليه السلام وسلالته الطاهرة، ولهذا الملك نشاطات أخرى في هذا المجال من قبيل عنايته بالمراقد الشريفة للأئمة وغير ذلك، فاستغلّ الخطباء هذا الوضع وطلبوا منه أن يأمر بتغيير مواضيع خطب الجمعة من ذكر مناقب الخلفاء الثلاثة إلى مدح أهل البيت عليهم السلام وبيان فضائلهم، وإليك فقرات ممّا كتبه

(١) الواسفي، محمود، بدائع الوقائع: ج ٢، ص ٢٤٧.

بعض السنّة في هذا المجال: «لما ترأس السلطان حسين ميرزا الحكومة في خراسان، ذهب جماعة من وعاظ الشيعة إليه، وطلبوا منه أن يستبدل خطب مدح الخلفاء الراشدين بمدح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وأرادوا منه الطعن في أصول السنّة، ومن جملة هؤلاء الوعاظ: السيد حسن الكربلائي، والسيد علي واحد العين الأعمى البصر والبصيرة، الذي كان (يسبّ) خلفاءنا، وكان بارعاً في الخطابة والبلاغة، حيث أغوى عدداً كثيراً من السنّة بسحر كلامه، وكان متعصباً لمذهبه، ويعتقد أنّ الإمام علي عليه السلام يحميه في بيان عقائده والسير على طريقته»^(١).

إنّ هذا التقرير يبيّن لنا بوضوح نشاطات الواعظين وقدراتهم السياسية والاجتماعية في الخطابة والوعظ، فهذه الجماعة التي ما كانت تستطيع أن تقيم مجالس العزاء حتى في دورهم، نرى أنّهم في هذا العصر قد جعلوا منابر المساجد منطلقاً لنشر عقائدهم وأفكارهم.

نور الدين عبدالرحمن الجامي (٨١٧-٨٨٩هـ)

على الرغم من أنّ عبد الرحمن الجامي بذل وسعه، وكان له الدور الرئيس في منع السلطان حسين بايقرا (٨٧٣ - ٩١١هـ) من التشيع، وذكر أسماء الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام في خطبته، مع وزيره العالم علي شيرنوايي، وكان له الدور الرئيس في ذلك، ورغم ما كان يظهره من الطغائن والأحقاد والتنفيس بخصوص الشيعة في زمانه، والتي يمكن ملاحظتها في الكثير من مؤلفاته، إلّا أنّه لم يتوان عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام وذكر مناقبه في عزائه، ويعتقد أنّ هذا الأمر لا يتعارض مع قناعته واتباعه للمذاهب السنية، وكان يسارع في سنيته الأخيرة لزيارة العتبات المقدّسة، وينقل قصة

(١) الأسفزازي، معين الدين زنجي، روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات: ج ٢، ص ٣٢٨-٣٢٩.

زيارته مرقد الإمام الحسين عليه السلام بنظم من الشعر.

إقامة العزاء في البلاط التيموري

لقد جاء في عدّة مصادر معتبرة أنّ بدء مراسم العزاء على الحسين عليه السلام كان قد حدث أوائل الحكم التيموري، لكنّها اتّسعت اتساعاً عظيماً أبان حكم الملك شاهرخ ميرزا (٨١٠ - ٨٥٠هـ)، حيث أصبحت مراسم العزاء تُقام حتى في البلاط التيموري السنيّ، فكان شاهرخ ميرزا وأتباعه يحضرون مجالس الوعّاظ الكبار، ومنهم: شاه نعمة الله ولي الكرمان (٧٣٠ - ٨٢٧هـ)، وقاسم أنوار التبريزي (٨٣٥هـ)، والسيد محمد نوربخش (٧٩٥ - ٨٦٩هـ)، وابنه السيد قاسم فيض بخش (٩٨١هـ)، وكانوا بالإضافة إلى ذلك يقيمون المآتم بشكل خصوصي في قصورهم.

وجرّاء هذه الثقافة الحسينية التي كانت شائعة في هرات، طلب شاهرخ ميرزا من الوعّاظ والخطباء أن يرثوا الحسين عليه السلام، في حفلة تأبينية أُقيمت لفقدان ابنه بايسنقر ميرزا.

أمر شاهرخ ميرزا بأن تُقام مجالس العزاء أربعين يوماً، حيث كان يجلس على كرسي الخلافة ويجتمع إليه مشاهير إيران وتوران، وأعاضم المعمورة ورؤساء خراسان، يتقدّم للثناء كلّ يوم شاعران ماهران ليسمعوا ما نظموا للحاضرين.

وحتى قبل شاهرخ ميرزا، لما ولي الأمير تيمور الخلافة، دعا آلافاً من السادة العلويين من مختلف البلاد في حفلة رئاسته، في هذا الإطار يقول كامل مصطفى الشبيبي: «حضر أربعة آلاف من السادة في حفلة رئاسة الملك في بلخ سنة (٧٧١هـ)»^(١).

وبعدما استولى على العراق قصد كربلاء في بدء الأمر لزيارة الإمام الحسين عليه السلام،

(١) الشبيبي، مصطفى كامل، الصلة بين التشيع والتصوّف: ص ٣٢٥.

اتباعاً لحديث الثقلين والآية الشريفة التي جاءت في القرآن حول ذوي القربى^(١). وبعد غزو حلب جمع العلماء والقضاة وسائر الناس في مجلسه وسألهم سؤاله الذي طالما كان يسأله، وهو سؤاله حول فضل الإمام علي بن أبي طالب على معاوية بن أبي سفيان، ولما سمع منهم أن هذا أمرٌ اجتهادي ولكل شخص رأي، غضب وقال: إلا أن علياً مع الحق ومعاوية ظالم وابنه فاسق، أنتم يا جماعة حلب قد اتبعتم سبيل أهل دمشق المواليين ليزيد وقاتلي الإمام الحسين عليه السلام^(٢).

كان يدور في خلد ابن تيمور أسئلة كثيرة عما جرى لآل رسول الله ﷺ بعد فجاج كربلاء، وكان دائماً يظهر حزنه وأسفه لقتل الإمام الحسين عليه السلام، وكان يقول ابن خلدون - بعدما زاره في دمشق عام (٨٠٣ هـ) -: بعض الناس يعتقدون أن تيمور رافضي. وفي هذا الصدد قال عنه أحد الباحثين: يظن البعض أن ابن تيمور ملك من الملوك، وبعض آخر أنه عالمٌ من العلماء، لكن بعض آخر يعتقد بأنه رافضي؛ وذلك لأنه يؤثر أهل بيت رسول الله ﷺ على غيرهم^(٣).

لقد ازداد هذا الانتماء إلى الإمام الحسين عليه السلام وثورته الخالدة في العصر التيموري، حيث قام العلماء من بلدان مختلفة - لا سيما ما وراء النهر - ضدّ السلاطين الظلمة، وأعربوا عن استيائهم من يزيد وعصابته وقاموا بلعنهم في العلن^(٤).

ونرى في ذاك العصر إقبالاً واسعاً على أهل البيت عليهم السلام والسادات من ذريتهم الشريفة، وصارت لزيارة الإمام الرضا عليه السلام صبغة دينية وسياسية في حياة الناس، وكان

(١) البلخي، ميرخواند، روضة الصفا: ج٦، ص٧٩.

(٢) أنظر: ابن عرب شاه، أحمد بن محمد، عجائب المقدور في نوائب تيمور: ص١٣٣ - ١٣٧.

(٣) أنظر: ميشل المزايي، بيدایش دولت صفوی (ظهور الدولة الصفوية): ص١٤٢.

(٤) أنظر: صفا، ذبيح الله، تاريخ أدبيات در ایران (تاريخ الأدب في إيران): ج٤، ص٥٧.

الملوك التيموريون يشجّعون الشعراء على مدح أهل البيت عليهم السلام وورثاتهم، ومن هنا وُجد هذا الكمّ الهائل من الآثار الشعرية والنثرية التي كتبت في رثاء أهل البيت عليهم السلام وذكر مناقبهم.

كان التيموريون يؤكّدون على إكرام أهل البيت عليهم السلام واحترام سلالتهم الطاهرة، ويعتقدون أنّ هذا الإجلال لا يتعلّق بمذهب خاصّ، بل يشمل جميع المذاهب والفرق، فلا بدّ للجميع أن يلبسوا جلباب الحزن لمصائب أهل البيت عليهم السلام والفرح لفرحهم.

وعلى سبيل المثال نرى أنّ أبا القاسم البابر (٨٥٢ - ٨٦١هـ) الحاكم التيموري قام بضرب السكة باسم الأئمّة المعصومين عليهم السلام، وكان يقول: إنّ هذا لا ينافي عقائد المذهب الحنفي.

كان ميرزا أبوالقاسم جالساً يوماً مع أصحابه ويده إناء فيه سكك ذهبية، وأخذ يقرأ أسماء أئمّة الشيعة الاثني عشر المنقوشة على السكك، فسأله أحد الحُضّار عن تاريخ ضرب السكك، فأجابه: ضربت هذه السكك في عهد حكومتي، فقال له: ألاّ تخشى أن تُتهم بتبّاع مذهبٍ آخر؟ فأجابه السلطان: كلّ شخص حرٌّ فيما يقول، لكنّ أنا سنّيّ وثابتٌ على مذهبي الحنفي^(١).

إقامة العزاء عند أهل السنة مابعد العصر التيموري (٩١١هـ حتى الآن)

بعد سقوط الحكم التيموري سنة (٩١١هـ) أخذت الأقاليم الخاضعة له بالانفصال، وصار لكلّ إقليم حكم مستقلّ، فتولّى الأتراك قسماً كبيراً منه، وسيطر شاه إسماعيل الصفوي على غرب المملكة التيمورية وأسس السلسلة الصفوية، وسيطر

(١) أنظر: السمرقندي، عبد الرزاق، مطلع السعديين ومجمع البحرين: ج ٢، ص ١٨٢ - ١٨٣.

العثمانيون على البلدان العربية والإفريقية، وامتدّ نفوذ آل أذربك الشيبانيين إلى ماوراء النهر وشمال أفغانستان، وصارت مناطق من أفغانستان وكذلك شبه القارة الهندية في يد فرع خاص من التيموريين، يعرفون باسم بابريين أو الكوركانيين.

ورغم عدااء بعض أهل السنة للشيعة في العصور التي خلت، نرى أنّ هذا العدااء قد تراجع في عصر التيموريين، ولكنه ازداد بشكلٍ خطير بعد تأسيس الحكم الصفوي في إيران، واجتاح الصراع مناطق مختلفة، لا سيما شمال شرق إيران، بنحوٍ لم يسبق له مثيل.

ومع كلّ هذا، استمرّ عزاء أهل السنة على مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، حيث نرى كثيراً من الشعراء السنة وعرفائهم قد ذكروا ثورة الإمام الحسين عليه السلام ونهضته الخالدة في آثارهم الأدبية والعرفانية والاجتماعية، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، وإنّما ترسّخت هناك العقيدة الشيعية والحسينية في أفكار العلماء من غير المسلمين في شتى أرجاء العالم.

العزاء في آسيا الوسطى

لقد وقعت بلاد ماوراء النهر (آسيا الوسطى) في القرن العاشر بيد الشيبانيين، ولما كانت نظرة هذه السلسلة الأذربكية تجاه مذهب التشيع سلبية، لهذا سعت إلى إبعاد الناس عن انتمائهم المتزايد إلى أهل البيت عليهم السلام، ولم تأذن لهم بإقامة مجالس العزاء.

كان شيبك خان أذربك - مؤسس هذه السلسلة - في قمة التعصّب المذهبي، ويشهد على ذلك أنّه لما غزا جنده مدينة هرات، ووصل إلى باب المدينة استقبله أعيان المدينة، ومنهم الأمير جمال الدين المحدث، والأمير غياث الدين محمد بن أمير يوسف، وشيخ الإسلام الهراتي وغيرهم، وكانوا يقولون له: «هنيئاً لك هذا الانتصار، إنّ الله ومحمداً

وعلياً معك»، فكان جند شيبك خان يتقدم ويرد عليهم: «لا تقولوا: إن الله ومحمداً وعلياً معك، بل قولوا: إن الله ومحمداً والخلفاء الأربعة معك»^(١).

هذه الأمثلة والشواهد وغيرها، تدلّ بلا شك على مدى الغيظ الذي كان يجيش به صدر الغزاة تجاه مذهب التشيع وشعائره الدينية، لكن رغم هذا العداء والأجواء الخائفة نرى أن بعض العرفاء من أهل السنة كانوا يمدحون الإمام الحسين عليه السلام، ويعتبرونه رمز بقاء الحياة الإسلامية.

من الأمور التي تدلّ على رغبة الناس في إقامة العزاء على مصائب الحسين عليه السلام، انتشار كتاب (روضة الشهداء) وبصورة واسعة في مختلف البلدان، حيث تُرجم إلى اللغات الأذربكية، والتركية لذوي الأصول التركية من الشيعة في إيران وآسيا الوسطى والمناطق الأخرى، وقد تُرجم هذا الكتاب الذي صُنّف عام (٩٠٨هـ) في القرون التالية بعناوين مختلفة كـ(سعدت نامه) أو (كتاب السعادة) في القرن العاشر، وترجمه أيضاً الشاعر فضولي البغدادي تحت عنوان (حديقة السعداء)، وقد طُبِعَ مراراً، وقد أعاد أحد الشعراء هذا الكتاب نظماً وسمّاه (شهدا نامه)، كما قام أيضاً الشاعر التركي المتخلص بالصابر بترجمته إلى اللغة التركية لساكني آسيا الوسطى، وله نسخ كثيرة في طاشكند ومدن أخرى^(٢).

إضافةً إلى كتاب (روضة الشهداء) وتراجمه المتعددة، فقد صدر في هذا الحقل ديوان شعر للشاعر الصيقل الحصارى، الذي اشتهر أيضاً بـ(روضة الشعراء)، وانتشر في

(١) روملو، حسن بيك، أحسن التواريخ: ص ١٤٦.

(٢) آغا برك الطهراني، محمد محسن، الذريعة: ج ١١، ص ٢٩٥. استوري، أدبيات فارسي (الأدب الفارسي): ص ٩٠٣ - ٩١١. ورسول جعفریان، مقالات تاريخي (مقالات تاريخية) دفتر نخست (الكتاب الأول): ص ١٨٧.

طاجيكستان وأزبكستان والمدن الأخرى من آسيا الوسطى، وكان له أثرٌ تاريخي وديني عميق في تلك المناطق، ودليل ذلك أن الناس كانوا يسمّون أنفسهم بأسماء ذات صلة بواقعة عاشوراء والثقافة الحسينية، فمن جملة هذه الأسماء: عشور، عشور علي، عشور محمد، عشور باي، عشور بيك، بابا عشور، عشوره، عشور ماه، بي بي عشور، وغيرها من الأسماء التي تدلّ بوضوح على تأثر الناس بواقعة عاشوراء.

نظم الصيقل (من شعراء القرن الثالث عشر) قصائد حول واقعة الطف معتمداً على كتاب روضة الشهداء، ففي القسم الأوّل من ديوانه قصيدة في نحو خمسة آلاف بيت، استوعبت تاريخ الأنبياء من آدم عليه السلام إلى رسولنا الخاتم صلّى الله عليه وآله، والقسم الثاني يحتوي على قصيدة في نحو أربعة آلاف بيت تبدأ من اغتصاب معاوية الملك، وأحداث ما قبل واقعة كربلاء، ومنها امتناع الإمام الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد الظالم، ثمّ تصل إلى ختام فاجعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه.

يقول البروفسور أعلا خان أفصحي زاده (من علماء السنة في طاجيكستان) حول عزاء أهل السنة في آسيا الوسطى:

إن إقامة العزاء وقراءة مراثي الإمام الحسين عليه السلام أمرٌ سائد بين أهل السنة في طاجيكستان، بيد أنّه لا يشبه عزاء الشيعة في يوم عاشوراء، بل إنّهم كانوا يجتمعون في كلّ أيام السنة ويقرؤون ويستمعون لروايات من كتاب روضة الشهداء لواعظ الكاشفي السبزواري، وأحياناً يأتي الشعراء ويلقون قصائدهم عن شهداء الطف^(١). وبعد ذلك يتحدّث أفصحي زاده عن أثر التشيع على أهل السنة في آسيا الوسطى،

(١) أنظر: أعلا خان أفصح زاده، لقاء خاص مع مجلة آشناء، السنة الخامسة، العدد (١٣) لسنة (١٣٧٥ ش): ص ٦١ - ٧٣.

ويشير إلى ديوان الصيقل الذي ذكر أحداث كربلاء في ديوانه بلسان الشعر، ثم أخذ يتحدث عن مراسم عزاء أهل السنة في ذلك العصر ويقول:

إنَّ صاحب ديوان الصيقل الحصري - الذي حلَّ محل كتاب روضة الشهداء للكاشفي - كان من أهل السنة، ثم تناول بالبحث سمات الكتاب ومضمونه ومصادره، وختمه بالقول: لا شكَّ أنَّ إقامة مجالس العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وقراءة كتاب (روضة الشهداء) فيها طابع فارسي، ولعلَّ الصيقل الشاعر كان أوَّل أديب أسَّس سُنَّة قراءة روضة الشهداء والاستماع إليها بين الناطقين بالتركية من السنة في آسيا الوسطى^(١).

إقامة العزاء في شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا

هناك عدَّة شواهد تاريخية تدلُّ على استمرار حركة العزاء في شبه القارة الهندية بعد القرن العاشر، وبما أنَّ لكتاب (روضة الشهداء) صبغة أدبية متممة للثقافة السنية، فإنَّ أهل السنة اعتنوا بهذا الأثر الأدبي، فانتشر انتشاراً واسعاً بين المسلمين في شبه القارة الهندية.

وبالرغم من الدور الكبير لشيعة الهند في نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، بيد أنَّ السنة كانوا يشاركون أيضاً في مجالس الشيعة الذين كانت لهم تقاليد خاصَّة في إقامة العزاء، ففي مدينة السند كانوا يقيمون مجالس العزاء، ويلطمون فيها، ويمشون حفاةً في النار وعلى الجمر، وفي مدينة كويته مركز بلوشستان، كان للشيعة مراسم خاصَّة، كاللطم على الصدور، وضرب الرؤوس بالسيوف، وكانوا يجتمعون كلَّ سنة في الطرق الرئيسة

(١) أنظر: أنظر: أعلا خان أفصح زاده، لقاء خاص مع مجلة آشنا، السنة الخامسة، العدد (١٣) لسنة (١٣٧٥ ش): ص ٦١-٧٣.

ويُتجهون نحو حرم بزرگ (أحد مراكز تجمّع الشيعة)، وقيل: إنّ هذه المآتم كانت تُقام أيضاً في مدن أخرى، كالبنجاب، وباراجنار، وكشمير، ولكنهو، ودهلي، وغيرها.

وإذا أخذنا في الاعتبار هيام الشيعة في الهند بحبّ أهل البيت عليهم السلام، وبغضهم لأعدائهم، ولعنهم الدائم ليزيد، فمن المتوقّع أن نجد إقبالاً واسعاً من قبل أهل السنة على كتاب (روضة الشهداء)، وازدياد الرغبة فيه.

لقد تُرجم كتاب روضة الشهداء باللغات الأردية والسندية وغيرهما لسكان شبه القارة الهندية، وفي سنة (١٣٠ هـ) تُرجم باللغة الدكنية، وقد طُبّع باللغة الأردية تحت عنوان (كنج شهيدان) أو (كنز الشهداء)^(١).

وكُلّ هذا يدلّ على الاستعداد الروحي للمجتمع هناك، وحاجته لمثل هذا النص، ووجود سنّة الغزاء الحسيني.

لقد عكف علماء السنة على نشر التراث الحسيني، ولم يكتفوا بترجمة كتب المقاتل الفارسية ونشرها، وإنّما قاموا بتأليف الكتب في هذا المجال، مثل كتاب (مقتل سيد الشهداء) لأحد علماء الحنفية، الذي أراد أن يؤكّد على أنّ الغزاء على الإمام الحسين عليه السلام ليس خاصّاً بالشيعة، بل يشاركهم فيه أهل السنة، وينالون عليه الأجر والثواب.

لقد اتّسعت مجالس الغزاء في شتّى أرجاء شبه القارة الهندية، وكان المسلمون في الهند من الفريقين، في كويته ولاهور وكراتشي وباراجنار وحيدر آباد ولكنهو ودهلي ودكن، وباقي المدن والأرياف التي يقطنها المسلمون، يقيمون المآتم، وينفقون أموالهم، ويعدون الطعام للمشاركين في الغزاء، حيث إنّ المهاجرين من شعراء العجم من آسيا الوسطى وأفغانستان وإيران في الفترة التيمورية، كانوا يحيون ذكرى تلك الفاجعة

(١) أنظر: استوري، أدبيات فارسي (الأدب الفارسي): ص ٩١٢.

الأليمة بأشعارهم ومراثيهم.

أُضيف إلى ذلك أنّ بعض الهنود من غير المسلمين كانوا يحضرون مجالس العزاء، ويرتدون الثياب السوداء في أيام المحرم الأولى من كلّ عام، ويحتنون المِلدّات ومجالس الفرح في تلك الأيام، ويُطعمون الفقراء، وينشئون المراقد والمزارات الرمزية، كحرم الإمام الحسين عليه السلام وأبي الفضل وغيرهما، ويقرؤون الأدعية والزيارة إلى جوارها إحياء لذكرى شهداء كربلاء.

وكان الخطباء يندبون الإمام الحسين عليه السلام بمختلف اللغات: الفارسية، والأردية، والبنجابية، والسندية، والبشتوية، والبلوشية، فتدوب قلوب المستمعين حزناً، وتنهمر دموعهم أسىً، ويلطمون صدورهم.

وكانت مجالس الماتم تُقام غالباً في التكايا وأمام الأضرحة، وكانوا يُخصّصون كلّ يوم من المحرم بذكر إحدى رزايا واقعة عاشوراء.

استمرّت مجالس العزاء في شبه القارة الهندية حتى بعد أن تجزّأت إلى ثلاث دول: الهند وباكستان وبنغلادش، واستمرّ إحياء التراث الحسيني فيها بصور مختلفة، مثل الإطعام، ورتاء أهل البيت عليهم السلام.

ورغم أنّ المسلمين - لا سيما الشيعة - يُعدّون من الأقليات الدينية في الهند، وأنّ نظام الحكم فيها نظام علماني، بيد أنّهم كانوا يعظّمون يوم عاشوراء، وقد أقرّوا هذا اليوم من كلّ عام عطلة رسمية إجلالاً لعظمته^(١).

وتدلّ آراء كبار رجال السياسة في شبه القارة الهندية على أنّ رسالة الحسين عليه السلام

(١) أنظر: حكمت، علي أصغر، سرزمين هند (أرض الهند): ص ٢٥٢. مكرمي، مجتبي، نگاهی به تاریخ حیدرآباد (نظرة إلى تاريخ حيدرآباد): ص ٨٥. الشهرستاني، صالح، تاریخ النیاحة (تحقیق نبیل رضا علوان): ج ٢، ص ٧٢-٨٤.

وفلسفة شهادته قد وصلت إلى آذانهم، وأثرت عليهم في حركتهم ونهضتهم ضدّ الحكومات الجائرة.

يقول مهاتما غاندي زعيم الهند: أنا ما أتيت بشيء جديد لشعب الهند، بل كلّ هذا كان من ثمرات بحوثي ومطالعاتي عن تاريخ حياة الإمام الحسين عليه السلام التي أهديتها لشعب الهند، وإذا أردنا أن نُنقذ الهند من خطر السقوط، فعليّنا أن نسلّك طريق الإمام الحسين عليه السلام^(١).

يعتقد جواهر لعل نهرو - أوّل زعيم للهند بعد الاستقلال - أنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه فاجعة كبيرة للمسلمين ولا سيما للشيعة، وكلّ المسلمين في شهر المحرم من كلّ عام يحيون هذه الذكرى الأليمة بإقامة المآتم والنياحة على مظلوميته^(٢).

يقول بورش تاملاس أحد زعماء الهند ورئيس برلمان الهند السابق: أنا أعرف مدى أهمّية إحياء هذه الواقعة التاريخية العظيمة، فبشهادة الإمام الحسين عليه السلام وتلك التضحيات الجسام، ارتقى مستوى الفكر البشري، وهذا ما يحتمّ بقاء ذكرى الواقعة خالدة^(٣).

وعلى الرغم من ظهور المذهب الوهابي في باكستان وسعيه في التمدّد، فإنّه مازالت لأهل البيت عليهم السلام منزلة رفيعة لدى مسلمي باكستان.

وقد قامت الوهابية بعدّة محاولات لمحو آثار أهل البيت عليهم السلام، فتارة تكون نشاطاتهم بصورة مباشرة ومنظمة تحت عنوان (جند الصحابة)، وتارة أخرى عن طريق نشر الكتب والرسائل المختلفة، وبناء المدارس والمساجد والمستشفيات والجامعات والمنظمات الخيرية، وكذلك الدعم المادي للمدارس والمؤسسات العلمية،

(١) أنظر: آزادگان، حسين رهبر (الحسين قائد الأحرار): ص ٥٩.

(٢) أنظر: نهرو، جواهر لعل، نگاهى به تاريخ جهان (نظره إلى تاريخ العالم): ج ١، ص ٢٩٨.

(٣) أنظر: مظلومي، رجب علي، حسين رهبر آزادگان (الحسين قائد الأحرار): ص ٦٠.

يهدفون من وراء ذلك التقليل من شأن أهل البيت عليهم السلام، ولكن محاولاتهم تلك قد باءت بالفشل، فمجالس العزاء لا زالت قائمة على قدم وساق في باكستان.

ويعدّ المصلح الإسلامي الكبير العلامة محمد إقبال اللاهوري (١٢٨٩ - ١٣٥٣ هـ) من أبرز زعماء أهل السنة، الذين كان لهم دورٌ كبير في إحياء التراث الحسيني بقلمهم وشعرهم، فهو يؤكّد في كلّ ديوانه على حبّه للإمام الحسين عليه السلام، ولزوم اتّباع منهجه، وأن نأخذ نهضته الشريفة بعين العبرة ويقول: كان دم الحسين عليه السلام تفسيراً للأسرار، وإيقاظاً للشعوب النائمة، وقد كتب على رمضاء كربلاء لا إله إلا الله، وكتب عنوان نجاتنا، ومن الحسين عليه السلام تعلمنا رمز القرآن، ومن نوره ادّخرنا الضياء.

خون او تفسير اين اسرار كرد	ملّت خواييده را بيدار كرد
نقش إلا الله بر صحرا نوشت	سطر عنوان نجات ما نوشت
رمز قرآن از حسين آموختيم	ز آتش او شعله ها اندوختيم ^(١) .

ويعتقد أهل السنة في باكستان بضرورة إحياء ذكرى واقعة كربلاء، يقول أحد العلماء المعاصرين في باكستان: إنّ مصائب العالم الإسلامي بدأت بعدما صار الحكم بيد معاوية، وكان نتيجة ذلك تغيير نظام الحكم من الخلافة إلى النظام الملكي.

وبقطع النظر عن المحاولات اليائسة للوهابيين في العقود الأخيرة بمحاربة مجالس العزاء والمآتم، وتشويه سمعة واقعة كربلاء، فما زال أهل السنة في شتّى أنحاء باكستان يعربون عن حزنهم لقتل الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وأحياناً يرتدون الثياب السوداء حداداً عليه.

وعلى أيّة حال يمكن تقسيم موقف السنة في باكستان إزاء مراسم العزاء إلى قسمين:

(١) أنظر: اللاهوري، محمد إقبال، الأعمال الكاملة لمحمد إقبال اللاهوري: ص ٧٤-٧٥.

القسم الأول: يُطلق على السواد الأعظم من أهل السنة في باكستان بـ (البرلوية)، وهم أتباع أحمد رضا البرلوي الحنفي، وهم منتشرون في مناطق باكستان المتعددة، وكان لهم اهتمام واسع بتكريم آل رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث يقيمون مراسيم مختلفة في شهر المحرم من كل عام، ومن جملة نشاطاتهم يوم عاشوراء:

١- يقوم بعضهم بزيارة القبور في يوم عاشوراء، باعتبار أن هذا اليوم هو يوم مقدّس ومناسب للدعاء وذكر الأموات.

٢- الصيام في يوم عاشوراء طبقاً لوصايا وروايات متعددة في كتبهم الفقهية، فيصومون إحياء لذكرى الحسين عليه السلام.

٣- يُنصب بعض المحطات لتوزيع الماء والطعام، ويقومون بإطعام المشاركين في مجالس العزاء في هذا اليوم وسقايتهم.

٤- الحضور في مجالس عزاء الشيعة، وإن كان بنسبة ضيقة، والبكاء على مصاب سيد الشهداء عليه السلام.

٥- كما أن بعضهم ينذر للعزاء لقضاء حوائجه، أو يتبرّع بالنقود حتى يكون شريكاً في تلك المجالس، أو يهدوا أشياء قيّمة للعزاء من قبيل الرايات أو المهد ونحوها^(١).

٦- يقيم بعض العلماء والمراكز العلمية قُبيل عاشوراء المؤتمرات حول الثورة الحسينية، يتناولون خلالها أبحاثاً تتعلّق بالقضية الحسينية، ومن الطبيعي نجدهم يعترضون على بعض أعمال الشيعة، من قبيل التطبير والسلاسل وغيرها، ويقوم خطباء السنة في الجمعة السابقة لعاشوراء بذكر واقعة عاشوراء، وأحياناً يتطلّب ذلك دعوة الناس للمشاركة في مجالس العزاء التي يقيمها الشيعة، وأحياناً يحضرون بأنفسهم.

(١) أنظر: زیدی، أظهر حسن، عاشورا از نگاه أهل سنت پاکستان: ص ٦.

القسم الثاني: يُطلق على بعض أهل السنة في باكستان وشبه القارة الهندية من أهل الحديث بـ(الديوبندية)، وهم في الفترة الأخيرة مالوا بشكل كبير للنزعة الوهابية، الذين كانوا يضعون العراقيين للحيلولة دون إقامة مراسم عاشوراء، نظير: تكفير الشيعة، والتفخيخ، واغتيال الشخصيات البارزة، وإطلاق النار على المصلين الشيعة، والقيام بالعمليات الانتحارية، وهدم المساجد.

يُذكر أنّ الحكومة المركزية والحكومات المحلية في باكستان تعلن عادةً يومي تاسوعاء وعاشوراء عطلة رسمية، حيث تتّشح البلاد بالسواد، وتُغلق المتاجر والمحلات والأسواق^(١).

هذا إلى جانب أنّ الكثير من السادة والأشراف يعيشون في باكستان في المناطق التي يقطنها البشتون في ولاية سرحد أو إقليم خيبر پشتونخواه، ومنهم من يقطن في ولاية سرحد، وكانوا يقيمون المآتم والأحزان في محرم بلغة الأردو والپشتو^(٢).

إقامة العزاء في أفغانستان

انقسمت خراسان بعد سقوط نظام الحكم التيموري إلى ثلاثة أقسام: القسم الشمالي ووقع بيد الشيبانيين، والقسم الشرقي الذي سيطر عليه ظهير الدين بابر ميرزا من أحفاد تيمور لنگ، والقسم الغربي وتولّى الحكم فيه الصفويون.

وبالاستناد إلى تاريخ خراسان، فإنّ معظم أهل السنة في خراسان كانوا يعظّمون الشعائر الدينية بإقامة مجالس العزاء في شهري محرم وصفر، ومجالس الفرح في شهر شعبان، لا سيما في ذكرى مولد الإمام المهدي عليه السلام، وذلك على الرّغم من الضغوط

(١) زیدی، أظهر حسن، عاشورا از نگاه أهل سنت پاکستان: ص ٦.

(٢) أنظر: الشهرستاني، صالح، تاريخ النباحة: ج ٢، ص ٧٦-٨٦.

الشديدة التي كانت تمارسها الحكومات السنوية المتعصبة (الشيانيين)^(١).

وهناك ضرائح كثيرة لكبار العلماء السادة في جنوب أفغانستان يقصدها المسلمون من الفريقين للزيارة من شتى مدن أفغانستان مثل: قندهار، وهلمند، ونيمروز، وينفقون أموالاً طائلة في سبيل إطعام الزوار، ويجرون برامج خاصة، يذكرون فيها مناقب ومآثر أهل البيت عليه السلام، كما تشترك جماعات من أهل السنة القاطنين في مدينة هزارة في مراسيم العزاء ومجالس النياحة التي يقيمها الشيعة.

وإذا استثنينا أمير عبد الرحمن الحاكم الأفغاني الذي قام بإبادة جماعية للشيعة في مدينة هزارة لمدة ثلاثة سنوات (١٨٨٠ - ١٨٨٣ هـ) وهدم الحسينيات، ومنع العزاء على الإمام الحسين عليه السلام، إذا استثنينا ذلك، فإن حكام أفغانستان ما كانوا يمنعون الشيعة علناً عن إقامة العزاء وإنشاد المراثي الحسينية.

لقد جاء في المصادر التاريخية أن الحكام والسلاطين في عصر حكومة أمير أمان الله ومابعده كانوا يحضرون في مراسيم العزاء الحسيني، التي كانت تقيمها الشيعة في مدينة كابل يوم عاشوراء من كل عام^(٢).

ويقال: إن محمد ظاهر شاه - الملك الأفغاني - ابتلي بداء في عينه، وذلك في العقد الأول من حكومته، فقصده زيارة الإمام الحسين عليه السلام لطلب الشفاء، ولما رجع من تلك الزيارة كان يرفل في أثواب الصحة والسلامة، فأهدى ميزاباً ذهبياً لمرفد الإمام الحسين عليه السلام.

ومنذ تلك الفترة وماتلاها، كان محمد ظاهر شاه وأولاده يشاركون في مراسيم العزاء على سيد الشهداء في يومي تاسوعاء وعاشوراء من كل عام، وينفقون من

(١) أنظر: الشهرستاني، صالح، تاريخ النياحة: ج ٢، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) أنظر: رجا، محمد سرور، إحياء الشيعة في أفغانستان (إحياء الشيعة في أفغانستان): ص ١٥٨. المظفر، محمد حسين، تاريخ الشيعة: ص ٣٥٢.

أموالهم في سبيل إقامة العزاء^(١).

وابن عمّ الملك محمد، والذي عُرف بتعصّبه القومي ومخالفته للشيعة (هزاره)، بادر إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام بعد سنتين من انقلابه الأبيض على ظاهر شاه، وصار ينذر ويقدم الطعام للعزاء أيام عاشوراء.

وعلى الرغم من أنّ الحكام والولاة من قبلهم كانوا يضايقون الشيعة في أفغانستان ويعاملونهم بالشدّة، بيد أنّه كان لعلماء السنة وعرفائهم نشاطات إيجابية في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم، كما أنّ هناك نفراً من العلماء والمدرسين السنة قاموا بإعداد بعض طلبة الشيعة في أفغانستان، مثل آية الله عزيز الله الغزنوي، وفيض محمد الكاتب (المتوفى ١٩٢٩م)، وغيرهما من العلماء الذين كان لهم دور بارز في تبين شخصية الإمام الحسين عليه السلام وثورته الخالدة وتوضيحها لعامة الناس، وكان بعض علماء السنة يتلمذون أيضاً عند علماء الشيعة ويحضرون دروسهم.

إنّ دراسة تاريخ أفغانستان تكشف عن أنّه كلّما قصرت أيدي الأجانب الطامعين في أفغانستان، وقُلّ تدخلهم في الشؤون الدينية والاجتماعية للشعب، ازداد تمسّك أهل السنة والشيعة فيها بعقائدهم، وغمر حياتهم جميعاً الوئام والسلام. هذا وقد كان بعض علماء السنة يتبرّعون بأراض أو بنايات للشيعة؛ لكي يقيموا مراسيم العزاء فيها.

يعتبر شرق أفغانستان من المراكز المهمّة للسنة وكلّما تهيّأت ظروف مناسبة لهم أقاموا المآتم والتعازي على الإمام الحسين عليه السلام، ومن جملة تلك المجالس والمراثي التي كانت تقام لإحياء ذكرى شهداء كربلاء، مجلس كان يقام في مدينة جلال آباد.

(١) أنظر: زميزم، سعيد رشيد، زوار الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ٦٣.

يُشار إلى أنّ مدينة جلال آباد التي تقع في شرق أفغانستان تعتبر من المراكز المهمة للناطقين باللغة البشتوية، وكان أهلها الذين يغلب عليهم الطابع السني يقيمون مجالس العزاء على فجائع كربلاء في يوم عاشوراء من كلّ عام، واستمرّ عقد تلك المجالس منذ سنة (١٣٤٧م) حتى نهاية عام (١٩٧٨م)، أي قبيل هجوم الشيوعيين على أفغانستان، وكان يحضر تلك المجالس التي تغصّ بالحاضرين، العلماء والشخصيات السياسية والدينية من شتّى أرجاء أفغانستان^(١).

واستناداً إلى تاريخ أفغانستان هناك مراسيم كانت ولا تزال تقام لبيان مناقب الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وآله الأقطار عليهم السلام، يحضرها الشيعة والسنة، وقد اتّسع نطاقها في العقدين الماضيين.

إقامة العزاء في العصر العثماني (٧١٤هـ-١٣٤٢هـ)

بدأ العثمانيون بإنشاء دولتهم في تركيا قبل أن يظهر تيمورلنك (٧٨٢ - ٨٠٦هـ)، ثمّ بسطوا سيطرتهم على أصقاع واسعة، وتمكّنوا من إخضاع أغلب البلدان العربية، وامتدّ نفوذهم من شبه جزيرة البلقان والنمسا إلى شمال أفريقيا، وأقاموا حكم السلاجقة تحت عنوان الخلافة الإسلامية.

وهناك أخبار عديدة نقلت عن إقامة مجالس العزاء لأهل السنة في العراق منذ زمن قديم، ففي مدينة الناصرية كان أهلها يشاركون في المآتم التي تقيمها الشيعة، كما كانت لهم مواكب حسينية تخرج يوم عاشوراء من كلّ عام للعزاء^(٢). لم يكتف الحكام العثمانيون بقمع الشيعة مذهبيّاً، وإنّما يعتبرونهم سياسياً أعداء

(١) أنظر: رجا، محمد سرور، إحياء شيعه در أفغانستان (إحياء الشيعة في أفغانستان): ص ١٦٩ - ١٧٠. شريعت، جواد، سيماي فرزانكان (سيرة الحكماء): ص ٣١. الشهرستاني، صالح، تاريخ النباحة: ج ٢، ص ٦٦.

(٢) أنظر: الشهرستاني، صالح، تاريخ النباحة: ج ٢، ص ٤٧.

بالقوة وموالين للمنافس القوي لهم المتمثل بالدولة الصفوية، وكانت التحركات الحادة الأولى التي قام بها شاه إسماعيل كافية لإساءة معاملتهم وظلمهم من قبل العثمانيين. لكن مع كل هذا الظلم والعداء، فإن الشيعة كانوا يجتمعون في أحد مزارات مدينة حلب بسورية، ويعرف باسم (مشهد الحسين)، وقيمون مجالس العزاء في عاشوراء، وينفقون أموالهم في سبيل إطعام الزوار.

وفي المناطق السنية في دول الخليج والدول العربية الأخرى، لا سيما فلسطين والأردن، وإن لم يقيموا مجالس العزاء في محرم وعاشوراء بالطريقة ذاتها التي عليها الشيعة في العراق ولبنان والبحرين، إلا أنهم في يوم عاشوراء يطبخون الأطعمة ويقدمونها، ويتجنبون إقامة مجالس الفرح والسرور.

ومما يجدر ذكره أن أشهر المذاهب الصوفية في العهد العثماني التي كانت تبجل آل رسول الله صلى الله عليه وآله هي الفرقة البكتاشية في آسيا الصغرى والبلقان، فإنهم على الرغم من الحملات الشرسة التي قادها كمال مصطفى أتاتورك (الأب الجديد لتركيا) لوأد الدين ومحاولاته الكثيرة لجعل المجتمع التركي مجتمعاً علمانياً، كانوا يقيمون مجالس العزاء كلما سنحت الفرصة في دورهم سرّاً وخفياً، للتعبير عن محبتهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام.

وأتباع هذه الفرقة لا زالوا متمسكين بتقاليدهم، ومنها زيارة العتبات المقدسة في العراق وإيران، وكلما أُتيحت لهم فرصة، قصدوا تلك المراكز الشريفة. وقد نظم شعراء الفرقة البكتاشية في ألبانيا التي تقع في البلقان قصائد في رثاء الإمام الحسين عليه السلام وفجائع عاشوراء وبعضها لا يزال موجوداً حتى الآن^(١).

(١) أنظر: المرزجي، زهرا كدخدایی، إمام حسين وديدگاه ها (الإمام الحسين والرؤى): ص ١٣٨ - ١٥٠.

إضافة إلى الفرقة البكتاشية هناك فرقة أخرى كانت موالية لأهل البيت عليهم السلام، تدعى الفرقة الخكوية، وهم ينتشرون في تركيا والبلقان، وكانت لهم حسينية يقيمون فيها مجالس الغزاء، ويذكرون فيها مناقب النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ويبينون ملامح من شخصيتهم العظيمة لأبنائهم^(١).

وعلى أية حال، فقد رثى العديد من شعراء السنة في العهد العثماني الحسين عليه السلام، منهم السيد محمد الأدهمي الحنفي (المتوفى ١٢٤٩هـ)، حيث قام برثاء ريجانة سيد الكونين الإمام الشهيد الحسين عليه السلام:

عجباً لقوم يدعون ولاءه عاشوا وفي الأيام عاشوراء
من لم يمت بعد الحسين تأسفاً عندي وأعداء الحسين سواء^(٢).

ومنهم عبد الباقي العمري الفاروقي (المتوفى ١٢٧٩هـ)، وله ديوان شعر يُسمى (الترياق الفاروقي)، و(نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر)، و(الباقيات الصالحات)، وهي قصائد في مدح أهل البيت عليهم السلام.

كما أنشد قصيدة في رثاء الإمام الحسين عليه السلام:

قضى نجه في يوم عاشور من غدت عليه العقول العشر تلطم بالعشر
قضى نجه في نينوى وبها ثوى فعطرَ منها الكائنات ثرى القبر
قضى نجه في الطف من فوقه طفا نجيع كسا الآفاق بالحلل الحمر
قضى نجه من راح للحرب خائضاً ببحر دم فانصب بحر على بحر
قضى نجه والبيض تكتب أحرفاً بها نطقت في الطعن ألسنة السحر

(١) المصدر السابق.

(٢) شبر، جواد، أدب الطف: ج ٦، ص ٢٩٨-٢٩٩.

قضى - نجبه والشمس فوق جبينه	تحرّر بالأنوار سورة والفجر
قضى نجبه والدين أصبح بعده	إلى الله يشكو ما عراه من الضّر
قضى نجبه طود به طار نعشه	إلى الملاء الأعلى بأجنحة النسر
قضى نجبه من يتبع الضيم بالظما	ويجرع في الهيجاء مرّاً على مرّ
قضى نجبه روح الوجود وسره	ومرقده في كربلا موضع السرّ
قضى نجبه ريحانة المصطفى التي	تفوح ليوم النشر طيبة النشر
قضى نجبه ابن الأنزع البطل الذي	أذاق الردى عمراً وأعرض عن عمرو

وقال:

نحن أناس إذا ما	قد حلّ شهر المحرم
فكلّ شيء علينا	سوى البكاء محرم ^(١) .

ومنهم السيد عبد الرحمن الألوسي (المتوفى ١٢٨٤هـ)، وله قصيدة في رثاء جدّه

سيد الشهداء، منها:

هو الطّف فاجعل فضة الدمع عسجدا	وضع لك فولاذ الغرام مهنّدا
ورد منهل الأحزان صرفاً وكررن	حديثاً لجيران الطفوف مجدّدا
وما القلب إلّا مضغة جد بقطعها	ودعها فداء السبط، روعي له الفدا
أترضى حياة بعد ما مات سيد غدا	جدّه المختار للناس سيّدا
أترضى اكتحال الجفن بعد مصابه	وجفن التقى والدين قد بات أرمدا
خذ النوح في ذاك المصاب عزيمة	إلى الفوز واجعل صهوة الحزن مقعدا

(١) شبر، جواد، أدب الطف: ج ٧، ص ١٢٥. الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ٣، ص ٢٧١ - ٢٧٢.

بكت رزءه الأملاك والأفق شاهد
فيا فرقداً ضاء الوجود بنوره
وريحانة طاب الوجود بنشرها
لئن أفسدوا دنياك يا بن محمد
وحققك ما هذا المصاب بضائر
فألبسك الرحمان ثوب شهادة
لبستم كساء المجد وهو إشارة
وطهركم ربّ العلى في كتابه
أتنكر هذا يا يزيد وليس ذا
ألم تره من دمعه قد تورّدا
فما بعده نلقى ضياءً وفرقدا
بها عبثت أيدي الطفغة تعمّدا
سيعلم أهل الظلم منزلهم غدا
لأنّ الورى والخلق لم يُخلقوا سُدى
وألبسهم خزيّاً يدوم مدى المدى
بأنّ لكم مجدّاً طويلاً مغلّدا
وقرّر كلّ المسلمين وأشهدا
بأوّل قبح منك يا غادرٌ بدا^(١).

ومنهم الدكتور زكي المحاسني (١٩١١ - ١٩٧٢م):

عاطني دمعاً وخذ مني عيناً
إنّما في الشام وتيار حناني
يسأل الريح إذا هبت رخاء
يا مهاداً في العراقين أجيبي
واحسيناً واحسيناً واحسيناً
يتتحي من ذكرك المحزون حينا
في البوادي عن هوى قد كان دينا
أين مثوى ذلك المحبوب أيننا^(٢).

وأنشد أنور العطار (١٩٠٨ - ١٩٧٢):

أنت في العين دمة الكبرياء
لا أناجيك بالمدامع تهمي
يا علاء أزرى بكلّ علاء
أنت أسمى من الأسى والبكاء

(١) شبّر، جواد، أدب الطف: ج ٧، ص ١٨٢.

(٢) شبّر، جواد، أدب الطف: ج ١٠، ص ٢٧٠.

عن النوح والشجى والرثاء	ما غناء الدموع في موقف جلّ
فتبكي له عيون السماء	لست في مآتم تغصّ به الأرض
للعلى والمروءة السمحاء	إنّما أنت فكرة ومثال
وارتوت منك دوحة الشهداء	نسجت حولك البطولة رمزاً
الخلد فظّلت تعجّ بالأصدا	أي معنى سكبت في أذن
وإباء أعظم به من إباء	مطمح أنت في العلاء بعيد
صروف الدجّة السوداء	تمتطي الهول مركباً غير هباب
ويا غاية الندى والسخاء	يا مثال الجهاد يا صورة البأس
وحلا باسمك الحبيب ندائي	لذ في ذكرك السني قريضي
ومردي جحافل البغضاء	أيها الموقظ النفوس من الظلم
فالعظيّمات نفحة العظماء	أنفخ الكون بالعظام تترى
فسرى الطيب في مدى الأرجاء	يارفاتاً تضوع المسك منه
فغم العطر عالم السعداء	عبقت منه جنة الخلد حتى
ليس يبلى وعالم من ثناء	صورة أنت للعلى وكتاب
يا نشيدي على المدى وغنائي	بأبي أنت يا حسين وأمي
وتفرّدت في بديع أدائي ^(١) .	منك صغت الشعور كنّاً جديداً

(١) شبر، جواد، أدب الطف: ج ١٠، ص ٢٨٠.

كما أنشد نزار قباني في الحسين عليه السلام وقال:

سأل المخالفُ حين أنهكه العجب	هل للحسين مع الرّوافض من نسب
لا ينقضي ذكرُ الحسين بثغرهم	وعلى امتداد الدّهر يوقد كاللّهب
وكأنّ لا أكل الزّمانُ على دمٍ	كدمِ الحسين بكربلاء ولا شرب
أو لم يحن كفُ البكاء فما عسى	ييدي ويجدي والحسينُ قد احتُسب
فأجبتُه ما للحسين وما لكم	يا رائدي ندوات آليّة الطّرب
إن لم يكن بين الحسين وبيننا	نسبٌ فيكفينا الرّثاء له نسب
والحرّ لا ينسى الجميلَ ورده	ولئن نسى فلقد أساء إلى الأدب
يا لائمي حبُّ الحسين أجنتنا	واجتاح أودية الضّمائر واشرب
فلقد تشرب في النّخاع ولم يزل	سريانه حتّى تسلّط في الرّكب
من مثله أحيّا الكرامة حينما	ماتت على أيدي جبايرة العرب
أفاق دنياً طأطأت لولاتها	فرقى لذاك ونال عالية الرّتب
وغدى الصّمودُ بإثره متحفّزاً	والذلّ عن وهج الحياة قد احتجب
أمّا البكاء فذاك مصدرُ عزّنا	وبه نواسيهم ليوم المتقلب
نبكي على الرّأس المرتّل آيةً	والرّمح منبره وذاك هو العجب
نبكي على الثّغر المكسّر سنّه	نبكي على الجسد السّليب المتّهب
نبكي على خدر الفواطم حسرةً	وعلى الشّبيبة قُطّعوا إرباً إرب
دع عنك ذكرَ الخالدين وغبطهم	كي لا تكونَ لنار بارئهم حطب

إقامة العزاء في شمال أفريقيا

إنَّ إقامة العزاء في مصر وباقي البلدان في شمال أفريقيا ظلت مستمرة، عند السنة فضلاً عن الشيعة حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية رغم الضغوط التي مارسها الحكم الأيوبي والمنع من إقامة شعائر الحزن، وإحياء هذه الشعائر في مقام رأس الحسين عليه السلام والسيدة زينب عليها السلام، وصاروا مركزاً لإحياء ذكرى فضائل أهل البيت عليهم السلام ومصائبهم. ومن آثار أهل السنة في مصر في القرن العاشر التي تدلُّ على تأثرهم بواقعة كربلاء، ما ورد في كتاب (تاريخ الخلفاء)، حيث عبّر مؤلفه السيوطي عن مصرع الحسين الشهيد عليه السلام في واقعة عاشوراء بهذا التعبير: «وفي قتله قصّة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها»^(١).

ويبيّن في كتابه الآثار العظيمة لشهادة الإمام الحسين عليه السلام، وعدّد بعد ذلك جرائم يزيد في حقّ آل رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ ذكر بعض كرامات الإمام الحسين عليه السلام، والأحاديث التي تدلُّ على مقامه الرفيع عند رسول الله صلّى الله عليه وآله.

ويذكر السيوطي في كتابه المذكور أبياتاً في رثاء الإمام الحسين عليه السلام كانت قد اشتهرت بين عامّة الناس دون أن يعرفوا قائلها ولهذا نُسبت إلى الجن:

مسح الرسول جبينه فله بريقٌ في الخدودِ
أبواه من عليا قريش جدّه خير الجدود

ثمّ ينقل أحداث ما بعد يوم عاشوراء، وانتقال السبايا من كربلاء إلى الكوفة ثمّ الشام، وانتهاك حرمة السبايا على يد ابن زياد ويزيد وأعوانهم، ويعتقد أنّ كلّ ما فعله يزيد من حسن تعامله مع السبايا، وإكرامهم كان خوفاً من الرأي العام في الشام.

(١) السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء: ص ٢٤٧.

يقول أحد كتّاب المغرب حول عظمة شهر محرم ويوم عاشوراء في بلاده:
«بحلول شهر محرم من كلّ عام يتغيّر وجه الحياة في المغرب، حيث يدع الناس أيام
الدعة والاستكانة إلى الأهواء، ويتبدّلون بها عودة إلى محاسبة النفس، فيستيقظ الضمير
فيهم.. ويهيمن فيه الأسى والحزن العميق على القلوب، فلا يُباح مطلقاً التجمّل حتى ولا
غسل بيوت أو ثياب، ولا تزفّ عروس.. بل إنّ الناس يلبسون في هذه المناسبة لباس
العزاء»^(١).

ويقول العلامة السيد محسن الأمين بعد زيارته مصر (سنة ١٣٢١هـ): «وزرنا
مشهد رأس الحسين (عليه السلام) (بالقاهرة) فخلنا أنفسنا في كربلاء؛ لأنّ ما يفعله المصريون في
ذلك المشهد لا ينقص عمّا يفعله العراقيون الشيعة في كربلاء»^(٢).

وقد أنشد الشيخ عبد الله العلايلي المصري قصيدة تحت عنوان (دمعة سني على
الحسين (عليه السلام))، يقول فيها:

وقفت على زمرة ثائرين	يكاد الحفاظ يرامى الحمم
يقولون ثأر لننائم	نريد انتقاماً يروي الضرم
يروي الضلوع يعيد النخا	يروي النفوس يعيد الشمم
فقلت إليكم وأين الترات	قالوا جميعاً طواها الرمم
فقلت إليكم لماذا الحفاظ	هل في القبور هوى ينتقم
فقالوا وألّووا إلى الرؤوس	ريت الأمور بعين أمم

(١) مجلة الهادي، العدد ٢، سنة ١٣٩١هـ نقلاً عن إمام حسين وديدگاه ها (الإمام الحسين والرؤى): ص ٨٨.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١٠، ص ٣٦٣.

نحيي الكرامة في شخصها	نحيي البطولة في ذا العلم
نحيي الحقيقة في نبليها	نحيي الفداء نحيي الحطم
نحيي ضميراً أسما طهره	نحيي ضحية حق غرم
نحيي الطهارة في بيتها	إطار الطهارة قدس ودم
نحيي نبياً أبى نبلي	قراراً وتلك تطل الحرم
نحيي فؤاداً تأبى العفا	تأبى الفضيلة أن تنحطم
نحيي مثلاً أجاب النداء	فكان فداء كرمز الحرم
طربت لما فهمت الرموز	وأرسلت دمعي فوق الرمم ^(١) .

إقامة العزاء في القوقاز

يمكن تقسيم القوقاز من الجانب المذهبي إلى قسمين: الشمالي والجنوبي، ففي القسم الجنوبي (آذربيجان) هناك عدد كبير من الشيعة كانوا يقيمون مجالس العزاء في يومي تاسوعاء وعاشوراء، ولكن بعد إنهاء سيطرة الشيوعية عليهم واستقلالهم وانفصالهم عن روسيا، أخذوا يقيمون مجالس العزاء في مختلف أنحاء آذربيجان، مثل: باكو ونخجوان وغيرها.

وأما القسم الشمالي الذي يُسمّى بجمهورية داغستان فلا زالت تخضع لسيطرة روسيا، وعلى الرغم من أن معظم سكّانها من أتباع المذاهب السنية، لكن إقامة العزاء بينهم أمرٌ رائج في كلِّ محرم، لا سيما في يومي تاسوعاء وعاشوراء، ويعبرون عن حزنهم

(١) العلايلي، عبد الله، سمو المعنى في سمو الذات: ص ١٤٥.

وأساهم لشهادة الإمام الحسين عليه السلام، ويحتنّبون مجالس الفرح وإقامة حفلات الزواج، وبالإضافة إلى أنّ سكان منطقة (مسكنجاه) في جمهورية داغستان يرجعون إلى أصول إيرانية ومذهبهم الشيع، ومازالوا متمسّكين بإحياء الشعائر الحسينية.

وهناك جمعٌ غفير من المسلمين الناطقين باللغة التركية يعيشون حالياً في جورجيا، حيث يتجاوز عددهم المليونين، وأكثرهم من الشيعة، ويقومون بذبح الأبقار والأغنام وإطعام الفقراء في أيام عاشوراء، ويرتدون ملابس العزاء، وهذا لا يختصّ بالشيعة، بل السنة كذلك، وإن كان من المؤسف أنّ الشيعة هناك لا يمتلكون معلومات عن واقعة الطف كالشيعة في المناطق الإسلامية الأخرى؛ وذلك لأنّ النظام الماركسي كان قد بذل نشاطاً واسعاً في تضليلهم، وإبعادهم عن نهضة الحسين عليه السلام.

ونجد مثل هذا الاهتمام بشعائر الحزن على الإمام الحسين عليه السلام عند السنة في نقاط أخرى في روسيا، كالشيشان وأنغوشيا وجمهورية التتار، لكن البحث في هذا يحتاج إلى مجال أوسع.

الفصل التاسع
تأثير نهضة الحسين عليه السلام
على النهضات والمصلحين غير الشيعة

تأثير نهضة الحسين عليه السلام

على النهضات والمصلحين غير الشيعة

أ. مبادئ حبّ المصلحين للثورة الحسينية

لقد تأثر المصلحون والمفكرون بما تملكه الثورة الحسينية من خصائص ومبادئ اعتمدتها، وكانت تشكل أسساً وأصولاً لهم أشاروا لها في آثارهم، منها:

١. نهضة الحسين صراع الحق مع الباطل

إنّ طريق عاشوراء يمثل الحقّ والحقيقة.. حقاً يقابل باطلاً ينضوي تحت رايته يزيد وأعوانه، ومن هنا امتدّ تأثير عاشوراء إلى كثير من الكتّاب والمصلحين من غير الشيعة، ومنهم:

- العلامة محمد إقبال اللاهوري (١٢٨٩ - ١٣٥٨ هـ)

كان من المصلحين المشهورين والبارزين من أهل السنة، وكان من قادة حركة تحرير شبه القارة الهندية من الاستعمار البريطاني، وكان له دور مهمّ في تأسيس جمهورية باكستان الإسلامية.

وصف محمد إقبال الثورة الحسينية بأنّها ذراع الحق الممتدّ دائماً لمواجهة الباطل على مرّ التاريخ، وهي لا تُحدّد بمكان أو زمان خاصّ، وإنّما هي رمزٌ للنزاع بين (العشق الإلهي)، (والعقل المفتون) والشيطاني، وهي استمرار لصراع هابيل وقابيل، وإبراهيم عليه السلام ونمرود، وموسى عليه السلام وفرعون، والنبي صلّى الله عليه وآله وأبي سفيان.

وعلى أساس تلك الرؤية تعدُّ ثورة كربلاء استمراراً لكفاح الحقِّ ضد الباطل من الأزل إلى يوم القيامة.

- ملك الكلام مجدي سقزي (المتوفى ١٢٦٨ هـ) الكاتب والشاعر الإيراني المشهور:

عرّف نهضة الحسين عليه السلام بأنّها كانت استجابةً للميثاق الذي أخذ في عالم الدّر، وأنّ الحسين عليه السلام إنّما رفع راية الحق والتوحيد، رفضاً للاستسلام والإذعان للباطل وجنود إبليس.

کردی به راه دوست تن و جان خود فدا بادا هزار جان گرامی فدای تو
عهد آلت آمد و تسلیم عرضه کرد تا جان نثار دوست نماید وفای تو^(١).

- العلامة غلام محمد طرزي (١٢٤٥ - ١٣١٨ هـ):

كان من المصلحين البارزين في أفغانستان، فقد وصف الإمام الحسين عليه السلام بأنّه (قائد الدين الإسلامي)، الذي كان يحمل بيده رايات جميع أنبياء الله تعالى، وقال: إنّ دفاعه التاريخي والأسطوري عن الحق ضد الباطل لا تدين له المجتمعات البشرية إلى يوم القيامة وحسب، بل ألجأ حتى الوحوش والطيور والدوابّ للعزاء، قال:

خمید از غم این بار پشت طاقت چرخ دوید مه ز سراسیمگی ز غره به مسلخ
به کام عیش جهان گشت شهد عشرت تلخ کشید نعره وحوش و طیور و مور و ملخ

حسین کشته چو از تیغ ظلم شمر لعین شد^(٢).

٢. الالتزام بالشرع والذبّ عنه

نظر المصلحون من غير الشيعة إلى نهضة الحسين عليه السلام من زوايا مختلفة، وعكسوا في

(١) أنظر: صفی زاده، فاروق، إمام حسين وديدگاه ها (الإمام الحسين والرؤى): ص ٨٧.

(٢) الطرزي، غلام محمد، کلیات أشعار (عمومات الأشعار): ص ٦٣٢.

آدابهم نظرهم إلى بعض جوانبها ووعيتهم لبعدها من أبعادها.
 إن تناول جانبٍ خاصٍّ منها لا يعني أبداً إهمال سائر الجوانب أو الأبعاد، وإنما قدّموا ذلك الجانب من الملحمة، تأكيداً منهم عليه.
 إن أبرز ما لفت أنظارهم من خصائص نهضة الحسين عليه السلام، هو الرصيد الشرعي لتلك الثورة من جهة، وحقيقتها وهدفها الديني من جهةٍ أخرى.
 وفي الواقع أنهم حكموا على أساس تعاليم القرآن المجيد والسنة المطهرة واعتقاد الصحابة، حكموا بشرعية الثورة الحسينية^(١)، وفي إطار ذلك رأوا أن تكليف كل مسلم هو أن يؤيد تلك الثورة ويسير في ركبها، كما بيّن ذلك محمد عبده حيث قال:
 إن خروج الإمام الحسين السبط عليه السلام على يزيد الظالم الفاسق كان حقاً موافقاً للشرع، وأضاف: في كل عصر في هذا العالم، إذا ظهرت حكومة عادلة تقيم أحكام الشرع، وظهرت أيضاً حكومة ظالمة جائرة تعمل على تعطيل أحكام دين، فالواجب على كل مسلم أن يعين الأولى، ويضعف الثانية، ومن هذا الباب نهض الإمام الحسين عليه السلام سبط نبي الإسلام العظيم ضدّ إمام الجور والطغيان، المتغلب على أمور المسلمين بالقوة والمنكر، يعني يزيد بن معاوية الذي أهلكه الله وفضح كل من دافع عنه من الكرامية والنواصب^(٢).

(١) وفي هذا الصدد يقول عبد الله العلايلي: «هناك واجبٌ على الخليفة إذا تجاوزه وجب على الأمة إسقاطه، ووجبت على الناس الثورة عليه، وهو المبالغة باحترام القانون الذي يخضع له الناس عامّة، وإلاّ فأبى تظاهر بخلافه يكون تلاحباً وعبثاً، ومن ثمّ وجب على رجل القانون أن يكون أكثر تظاهراً باحترام القانون من أي شخصٍ آخر، وأكبر مسؤولية من هذه الناحية، فإذا فسق الملك ثمّ جاهر بفسقه وتحدى الله ورسوله والمؤمنين لم يكن الخضوع له إلاّ خضوعاً للفسق، وخضوعاً للفحشاء والمنكر، ولم يكن الاطمئنان إليه إلاّ اطمئناناً للتلعب والعبث والمعالجة الفاسقة، هذا هو المعنى التحليلي لقوله عليه السلام: «يزيد رجلٌ فاسق شارب الخمر وقتل النفس المحرمة معلن بالفسق». العلايلي، عبد الله، سمو المعنى في سمو الذات: ص ١٢٥. (المترجم).

(٢) أنظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار: ج ١، ص ٣٦٧، وج ١٢، ص ١٨٣، وص ١٨٥.

أمّا خالد محمد خالد (المتوفى ١٤١٦هـ)، وهو أحد الكتّاب المعروفين بمصر، فيقول:

«إنّ القضية في ضمير (الحسين) لم تكن قضية حقّ شخصيٍّ في الخلافة يتبغي استرداده.. ولا هي من القضايا التي يكون للإنسان الرشيد حقّ التخلّي عنها.. القضية في ضمير التقيّ الشجاع كانت قضية دين.. ويستوي عنده تخلّيه عن هذه القضية، وتخلّيه عن هذا الدين»^(١).

وعلى غرار ذلك هتف غلام محمد طرزي الذي وصف الحسين عليه السلام بأنّه (صاحب الدين)، ومجسّد شريعة سيد المرسلين، وأنّ الإساءة إليه تُوجب سخط الله تعالى وأذى النبي صلّى الله عليه وآله.

ويعتقد طه حسين (المتوفى ١٣٩٣هـ) بأنّ حكم يزيد كان حكماً غير شرعي، ومناقضاً للدين^(٢)، ويقول: استقرّ في الإسلام هذا الملك الذي يقوم على البأس والبطش والخوف، والذي يرثه الأبناء عن الآباء، ثم تناول نهضة الحسين عليه السلام وأبعادها بالبحث والتحليل، وقال: «وأبلى الحسين وبنو أبيه وبنو عمومته ومن كان معه من أنصاره القليلين أعظم البلاء وأقساه»، ثم وصف محنة قتلهم بقوله: «فكانت محنة أيّ محنة للطالبيين عامة وأبناء فاطمة خاصة، ثم كانت محنة أيّ محنة للإسلام نفسه»^(٣).

٣. ثورة العدل في مواجهة الظلم

إنّ أحد أبعاد نهضة الحسين عليه السلام التي حظيت باهتمام المصلحين من غير الشيعة، هو توخّي العدل ومواجهة فنون الظلم والاستبداد، ولا شكّ في أنّ إقامة العدل ومناهضة

(١) خالد محمد خالد، أبناء الرسول في كربلاء: ص ٣٤.

(٢) أنظر: طه حسين، الفتنة الكبرى: ص ٢٣٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٢٦، وص ٢٤١، وص ٢٤٥.

الظلم، وكما صرح القرآن الكريم، يعدّ أحد الأهداف الأساسية للأنبياء الإلهيين. إن مضي الثورة الحسينية في طريق الحق والعدل، هو الذي جذب إليها المصلحين ومنهم المصلحون من غير الشيعة، وكان مدعاة لأن يفتنوا ويتعلّقوا بها. فقد رأى عبد الحفيظ أبو سعيد مناهضة الظلم وبسط العدل من أهمّ معطيات الثورة الحسينية، وأكد أنّ المسؤولية الدينية فرضت على الإمام الحسين عليه السلام الإعلان عن ردّبيعة يزيد بعد موت معاوية، وهذا أيسر شيء يمكن أن يفعله تجاه رفع الظلم وتنحية ولي العهد عن هذا المنصب الجليل^(١).

٤. الإمام الحسين عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله

إنّ أكثر المصلحين من غير الشيعة يصفون الإمام الحسين عليه السلام بأنّه المثل الأعلى للإسلام الأصيل، ويرون فيه شخص جدّه صلى الله عليه وآله، والبقية من ذكراه العبقّة، ونائبه في أرض كربلاء، وأنّ مواقفه هي ذاتها مواقف النبي صلى الله عليه وآله، ويبنّوا أنّ استشهاد كان استشهاده لرسول الله صلى الله عليه وآله، وإلى هذه المضامين أشار الشاعر الشهيد عبد القهار عاصي بتعابير رائعة، حيث يقول:

تاريخت خون مرد به دامن كربلا سجاده شد زمين و بيا بان كربلا
خون پيمبر است كه گلگونه كرده است خاك سياه و خار مغيلان^(٢) كربلا^(٣).

ما أن سُفك دم الإمام عليه السلام في أحضان كربلاء، حتى أصبحت أرضها القاحلة سجادة، دم النبي صلى الله عليه وآله خُصّب التراب الأسود وأشواك كربلاء.

(١) أبو سعيد، عبد الحفيظ، سبط الرسول: ص ١٣٣.

(٢) مغيلان: نوع من الشوك.

(٣) عبد القهار عاصي، مشرق گل های فروزان (مشرق أزهار الحكم): ص ٩.

٥. طريق البطولة والحرية

لقد عرف المصلحون من غير الشيعة الإمام الحسين عليه السلام بأنه قائد الأحرار، ووصفوا طريقه الذي ضاء في ثورته الخالدة، طريق البطولة والحرية اللتين دُفنتا في العالم الإسلامي، بعدما نأت الخلافة الإسلامية عن القرآن الكريم ومفاهيمه الحية، وكان ذلك إيذاناً ببدء عبودية المسلمين، ودفن الحرية، وإلى ذلك يشير العلامة إقبال اللاهوري:

چون خلافت رشته از قران گسیخت حریت رازهر اندر کام ریخت^(١).

حينما انفصمت الخلافة عن حبل القرآن أُهريق السم في فم الحرية.
إنَّ من خصائص كلِّ مسلم هو شعوره بالحرية وامتلاكه روح التحرُّر، ومن هنا توالى الثناء والتمجيد لنهضة الإمام الحسين عليه السلام التي استهدفت تحرير المسلمين من استبداد فرعون زمانهم.

ما سو الله را مسلمان بنده نیست پیش فرعونى سرش افکنده نیست
خون او تفسیر این اسرار کرد ملّت خوايیده را بيدار کرد^(٢).

المسلم لا يعبد ما سوى الله ولا يحني قامته أمام أيِّ فرعون
دم الحسين عليه السلام قام بتفسير هذه الأسرار وأيقظ الشعب النائم
وقد بين العلامة إقبال اللاهوري أنَّ الإمام الحسين عليه السلام في موقفه إزاء الخلفاء الذين ابتعدوا عن القرآن المجيد وتعاليمه كان عاملاً وحاملاً ومعلماً للقرآن الكريم، وأنَّه كان مثلاً للإنسان القرآني الكامل، وأنَّ فهم الإسلام الأصيل مرهون باتِّباعه، وأنشد

(١) اللاهوري، محمد إقبال، كليات أشعار (عمومات الأشعار): ص ٧٤-٧٥.

(٢) المصدر السابق.

يقول:

رمز قرآن از حسين آموختيم ز آتش او شعله ها اندوختيم^(١).

من الحسين عليه السلام تعلمنا رمز القرآن ومن نوره ادّخرنا الضياء
و ثمة نكات أخرى وردت في آثار المصلحين حول الاهتمام بنهضة الحسين عليه السلام
يمكن إدراجها في تلك الأصول والمفاهيم، وعلى أية حال، فإنّ حبّ الحسين عليه السلام
وحماسه الخالدة ترك تأثيراً بالغاً على حياة المصلحين ونشاطاتهم الإصلاحية.

ب. معطيات عاشوراء لدى الثورات والمصلحين

إذا أخذنا بنظر الاعتبار الأبعاد المتعدّدة للملحمة الحسينية من جهة، واستنتاجات
المصلحين وظروفهم المختلفة وأرضية الحركات الإصلاحية من جهةٍ أخرى، فمن
المتوقّع جداً أن تكون ذات مشتركات كثيرة في المحتوى، وأن تشير كلّها إلى حقيقة
واحدة، ولكنّها تتفاوت في البيان والأدب، وتظهر في طريقة العرض بصور مختلفة
ومتنوعة.

فواحدة من أبرز مواهب ثورة كربلاء العظيمة على المصلحين هي جعلتهم نافذي
البصيرة بها، وهذا المعنى يمكن تلمّسه بوضوح من خلال أقوالهم وآثارهم العلمية،
فنهضة الحسين عليه السلام لو لم تقع في صحراء كربلاء عام (٦١هـ) لكان الانحراف قد أنشب
مخالبه في الدين الإسلامي.

والحقّ أنّ التقلّبات المختلفة التي حصلت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عام (١١هـ)،
والانحراف التدريجي الذي ابتلي به الإسلام قد طغى على عقيدة الناس، حتى بلغ
الضلال والانحراف ذروته في عهد يزيد بن معاوية عام (٦٠هـ)، دون أن يدرك

(١) اللاهوري، محمد إقبال، كليات أشعار (عمومات الأشعار): ص ٧٤-٧٥.

المسلمون عمق الفاجعة.

وكانت الشخصيات البارزة في المجتمع الإسلامي باستثناء الحسين عليه السلام وأنصاره، يعلمون جيداً أنّ حكم يزيد كان حكماً استبدادياً، وقد تنفث ألسنتهم بالشكوى، ولكنهم لم يستوعبوا حجم الأخطار التي تهدد الإسلام المحمدي الأصيل من جراء ذلك أبداً.

في مثل تلك الظروف لو سكت الإمام الحسين عليه السلام ولم يقم بثورته لتعمقت فجوات الانحراف وتوسّعت، ولحلّ الإسلام الأموي وإلى الأبد محلّ الإسلام المحمدي، ولانتفى أيّ شك في أصالة وإسلامية أقوال وأفعال الحكام الأمويين، ولبقي الناس ينظرون إلى الأمويين - وخصوصاً يزيد - بأنّه المرآة التي تعكس القيم الإسلامية والأحكام الدينية، وأنّ من يحتجّ عليهم مخالف للشرع.

إذاً يعترف المصلحون من غير الشيعة بصورة وبأخرى بأنّ فهم الإسلام فهماً واعياً وتشخيص معارفه الصحيحة، إنّما كان بفضل جهاد الحسين عليه السلام، ومن هؤلاء: العلامة محمد إقبال اللاهوري، الذي كان يعتقد بأنّ الخلافة والسياسة قبل نهضة الإمام الحسين عليه السلام قد ابتعدتا عن القرآن المجيد، الذي هو كتاب هداية ونجاة للبشرية، وأنّه بملحمته العاشورائية قد أعاد القرآن إلى مسرح الحياة، وعالج أمراض المجتمع الإسلامي المزمنة بدمه الزكي ودماء أنصاره^(١).

كما تحدّث في هذا المجال العالم المفسّر محمد عبد الباقي حيث قال: «إذا أعطى الإمام الحسين عليه السلام بيعته ليزيد، يزيد الفاسق المتجاهر بشرب الخمر المرتكب للفواحش، يزيد الذي هوى بالخلافة الدينية من مقامها السامي بمجالسة القينات المغنيات والفاجرات،

(١) اللاهوري، محمد إقبال، كليات أشعار (عمومات الأشعار): ص ٧٤-٧٥.

وحول مجالس الحكم إلى حلقات للشراب وكؤوس الخمر، وألبس الكلاب والقردة الخلاخيل الذهبية، إذا أعطى الإمام الحسين عليه السلام بيعته ليزيد باعتباره خليفةً ونائباً للنبي صلى الله عليه وآله، فإن هذه البيعة في الواقع تتلقى فتوى من الإمام الحسين عليه السلام، ومن ثم تكتسب تلك الأمور المتقدمة صفة الشرعية لدى سائر المسلمين، ولو لزم السكوت لعدوا سكوته علامة على رضاه»^(١).

وكتب المحقق الدكتور أحمد محمود صبحي عن الآثار المهمة لمواجهة الانحراف، يقول: «في إقدام الحسين على بيعة يزيد انحرافاً عن أصل من أصول الدين، من حيث إن السياسة الدينية للمسلمين لا ترى في ولاية العهد ووراثته الملك إلا بدعة هرقلية دخيلة على الإسلام، ومن حيث إن اختيار شخص يزيد مع ما عُرف عنه من سوء السيرة وميله إلى اللهو وشرب الخمر ومنادمة القروء، ليتولّى منصب الخلافة عن رسول الله، أكبر رزء يحلّ بالنظام السياسي للإسلام، يتحمّل وزره كلّ من شارك فيه ورضى عنه، فما بالك إذا كان المقدم على ذلك هو ابن بنت رسول الله، كان خروج الحسين إذاً أمراً يتّصل بالدعوة والعقيدة أكثر ممّا يتّصل بالسياسة والحرب»^(٢).

إن تسلّط يزيد على الملك كان أساس الانحراف في مسار تاريخ الإسلام، الانحراف عن القيم الدينية، والانحراف عن القيم الثقافية للمجتمع، والانحراف عن خطّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولم يكن هذا الانحراف، انحراف شخص أو جماعة أو حزب، إنّما كان انحرافاً في مستقبل الأمة الإسلامية، انحرافاً هوى بجميع القيم الدينية إلى الحضيض، ولو لم تكن مواجهة ذلك الانحراف بصورة صحيحة، لكان وضع الأمة

(١) محمد عبد الباقي، الثائر الأوّل في الإسلام: ص ٧٩.

(٢) صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: ص ٣٣٤.

الإسلامية والمجتمع الإسلامي مختلفاً.

إنّ الانحرافات الجمة لبني أمية من تبديل الخلافة الدينية إلى ملك ارستقراطي، والبيعة الاختيارية إلى إجبارية، وإيثار النظام القبلي، ووراثه الملك على نظام اختيار الأصلاح، وإحلال الظلم بكلّ أبعاده محلّ العدل والرفق، فكان عاشوراء الحسين عليه السلام جلاء لتلك الانحرافات عن وجه الإسلام، وتنويراً للمسلمين باتجاه وعي الإسلام النبوي الأصيل، ولو لم تكن النهضة الحسينية لطغت بدعة يزيد على الشريعة، ولعمل بها الناس على أنّها عقيدة إسلامية.

وعلى هذا الأساس يعدّ دور نهضة الحسين عليه السلام في إحياء الشريعة النبوية، والأيدولوجية الإسلامية حيويّاً جداً ولا بدليل عنه؛ لأنّ سرّ تحريف الأديان السابقة وكتبها السماوية، مثل اليهودية والمسيحية، هو افتقادها للمضحّين والمخلصين من أمثال الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره، وابتلائها بمستقبل مشؤوم وضلالة لا يمكن تداركها.

والخلاصة: إنّ نهضة الحسين عليه السلام لم تساهم في تنوير المسلمين وتمكينهم من التمييز بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي فحسب، وإنّما حالت إلى الأبد بين يزيد وحزبه وبين تحريف الإسلام وانحراف المسلمين، وفتحت بصائرهم في كلّ عصر على الإسلام الأصيل والمعارف النبوية الصافية.

ضرورة الإصلاح ودعم الجهود الخيرة

بعد قبول نتائج نهضة الإمام الحسين عليه السلام وما قدّمته من عطاء زاخر استضاءت به البصائر واستنارت، نصل الآن إلى بيان دور المجتمع الإسلامي، وما هو تكليفه؟ خصوصاً مفكره وعلمائه المتقدّمين والمصلحين من غير الشيعة، وما هو موقفهم في هذا الشأن؟

اختلف المصلحون عند تناولهم لهذا الموضوع، ولكن يمكن القول إنّ ثورة كربلاء

دعت المسلمين إلى الإصلاح الاجتماعي الشامل، وأن يظلّوا متأهّبين في كلّ زمن لصد الأخطار المحدقة بهم دينياً واجتماعياً وسياسياً، وأن يسعوا بكلّ وجودهم من أجل إصلاح شؤونهم ودفع الأخطار المحتملة من جهة، ومعالجة الاضطرابات السياسية القائمة من جهةٍ أخرى.

ومثلاً أشرنا سابقاً فقد أكّد الشيخ محمد عبده على قيم عاشوراء الحسين عليه السلام، حتى ارتقى به الأمر إلى القول بأنّ النهضة الحسينية التزمت جانب الحق والدين، وأيقظت كلّ مسلم لمواجهة النظام الفاسد والظالم، ولأجل ذلك أكّد أنّها فريضة إسلامية وتكليف ديني.

وقد أوضح العلامة إقبال اللاهوري، وعلى الرّغم من الظروف الحرجة والأوضاع المضطربة للمسلمين في عصره، أوضح أنّ نهضته الإصلاحية، وخصوصاً في شبه القارة الهندية كانت ببركة الثورة الحسينية^(١).

كما أقرّ سائر رواد الإصلاح وبتعابير مختلفة، كمكافحة الظلم والاستبداد، وإحقاق الحقّ، وطلب الإصلاح والوحدة الإسلامية، أقرّوا ببصمات عاشوراء في نشاطاتهم.

إنّ توضّحية سبط رسول الله صلّى الله عليه وآله لم تُنقذ الإسلام والسيرة المحمدية فحسب، وإنّما أخذت تُموّر من دمائه العطرة - وعلى مدى القرون والأجيال وإلى يومنا هذا - أمواج المقاومة والإيثار والفتوة ودعوات الإصلاح، وتُعلّم الأجيال القادمة طريق الحياة بالعرّة والتضحية، وطلب الحق والوقوف بوجه الظلم.

وقد تحدّث الشاعر الشهيد عبد القهار عاصي عن تلك المفاهيم في شعره قائلاً:
عاشوراء الحسين عليه السلام نافذة جديدة للمسلمين وللإنسانية من أجل إصلاح ظروفهم

(١) أنظر: اللاهوري، محمد إقبال، كليات أشعار (عمومات الأشعار): ص ٧٤ - ٧٥.

وأوضاعهم وأحوالهم، وأكّد على ضرورة اقتباس المثل منها؛ بغية إصلاح الأوضاع.
 الگوی زندگیست وراه مقاومت طرح قیام آل مسلمان کربلا
 دست یزیدیان چه تواند کند به خلق خون امام ماست نگهبان کربلا
 پا در رکاب باد چه می بندی ای رفیق پر باز کن به دولت ایمان کربلا
 آزادگیت آنچه که تسجیل می شود بر برگ برگ دفتر و دیوان کربلا^(۱).

کربلاء أسوة للحياة ومنهج للمقاومة وللثورة.

ماذا يمكن أن يفعل آل يزيد بنا مادام دم الحسين (عليه السلام) يجرس كربلاء.

لا تمتطي صهوة الريح أيها العزيز، وافتح جناحك لدولة الإيمان في كربلاء.

حرّيتك قد دوّنت على ورقة ورقة من كتاب كربلاء.

وقد تلقى هذا الشاعر أيضاً درساً عملياً من الإمام الحسين (عليه السلام) وملحمته التاريخية،

فلم يقتصر على وصف الثبات والمقاومة في شعره، الذي استحال إلى أناشيد حماسية

جميلة، وإنما صمد وثبت هو أيضاً ولم يغادر مدينته كابول، بالرغم من انهيار الصواريخ

عليها في عقد السبعينيات من القرن المنصرم، إلى أن خرّ شهيداً.

وأنشد معين الدين جشتي إمام الطريقة الجشتية^(۲):

حسين سلطان والسلطان حسين حسين دين وملجأ الدين حسين
 ضحى ولم يمد يده بيد يزيد وحقاً أنّ صرح لا إله إلا الله حسين

(۱) عبد القهار العاصي، مشرق گل های فروزان (مشرق أزهار الحكم): ص ۹.

(۲) نقلاً عن: اللاهوري، محمد إقبال، کلیات أشعار (عمومات الأشعار): ص ۷۵.

شاه است حسين پادشاه است حسين دين است حسين، دين پناه است حسين

سرداد، نداد دست در دست يزيد حقا كه بناى لا إله است حسين

حصيلة البحث

لا شك أنّ عاشوراء من أيام الله، والتي لا تُنسى في أوساط أهل القبلة، لا سيما أهل السنة الذين يعتقدون أنّ الحسين عليه السلام وارث الأنبياء خاصة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ ثورته الإصلاحية ضدّ يزيد وطغمته هي في الواقع جدال الحقّ ضدّ الباطل، والعدل ضدّ الظلم، والإيمان ضدّ الكفر.

فهي إذاً ثورة مقدّسة بكافّة الأبعاد، وقائدها مقدّس بكافّة الأبعاد؛ لأنّ الحسين عليه السلام رجل ولكن فيه آية الرجال، وعظيم ولكن فيه حقيقة العظمة، لقد قام على اسم الله، ومضى على اسم الله، ومات على اسم الله، فسَمَت به الغاية وعلا به الهدف، هو هدف ولكن ليس من شهوات النفوس، وغاية ولكن ليست كمثّلها الغايات، غاية لا ترى سوى الملوكوت الأعلى هدفاً، ودون السماء مستقراً؛ لأنّه مهدها، فلا بدّع إن حنّت إليه وطلبت اللحاق به، ومثّل هذه الشخصية وطنها ولها حنينها، فهي تشقّ طريقها بين الجلامد والصخور، راضية مرضية وماضية مطمئنة؛ لأنّها تناجي الأُمّية السامية، وتنشد المثل الأعلى، وهل وراء الله مطلب؟ وهل إلى غير الله مصير؟ وهل بعد الله حقيقة؟

هذه مبادئ الإمام عليه السلام، فلا عجب إن راح يطلبها في كلّ شيء، ولو حال الموت دونها، فهو يستعذبه لأنّه الطفرة التي تصلّ به إلى أعذب الأمان^(١).

كما أعلنوا عن سلب الشرعية عن سلطة يزيد؛ لفسقه وخيائنه واستحقاقه اللعن والعذاب الخالد، جرّاء ما اقترفه في كربلاء، ولم يطيقوا التبريرات التي قدّمها شرذمة

(١) أنظر: العلايلي، عبد الله، سمو المعنى في سمو الذات: ص ١١٩.

قليلة من أهل السنة، بهدف التغطية على مفاصد يزيد، وذهبوا إلى أنّ ثورة الحسين عليه السلام وأنصاره هي استمرار لخط الرسالة والخلفاء الراشدين.

من هنا فقد أقاموا المآتم ومراسم العزاء، وحتى الصوم والمشاركة في تلك المراسم وإنشاء الحسينيات والتكايا؛ إحياء لتلك الذكرى المؤلمة، وأمثلاً بالحصول على الأجر الروحي إلى جانب الأجر الدنيوي.

وقد طُرحت ثورة كربلاء لدى أغلب أهل السنة كنموذج للحياة والهداية في الدنيا والآخرة، وفي الواقع إنّ الحياة الكريمة والشهادة هي الوجه الآخر لتلك الثورة، وتجلّى كلّ ذلك بصور مختلفة في أفكارهم وعقائدهم، كما تمثّلت على الصعيد العملي في حركات اجتماعية.

إنّ التحليل والتنقيب في جزئيات هذه الواقعة بحاجة ماسّة إلى مجال أوسع، لنقل وجهات نظر علماء ومفكرّي المذاهب والنحل، على أمل أن يسعفني الحظ لإجراء المزيد من البحث والتنقيب وتدوين النتائج في الطبقات اللاحقة.

وفي الختام أرجو من الباحثين الكرام في العالم الإسلامي - خاصة علماء الدين - أن يبذلوا قصارى جهدهم لضبط وتحليل هذا الموضوع؛ بهدف كشف الزوايا التي ظلت خافية، والتي قلّما تناولتها أقلام الباحثين.

تمّ والحمد لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إبراهيم، محمود، براءة يزيد بن معاوية من دم الحسين، كلية الادب، كويت.
٣. آقا بزرگ الطهراني، اجتهاد ومذاهب إسلامي، طهران، ١٣٦٠هـ.
٤. آقا بزرگ الطهراني ، الذريعة الى تصانيف الشيعة، دارالاضواء، بيروت، ١٤١٥هـ.
٥. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث، قاهره، ١٣٧٨هـ.
٦. ابن اثير، عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البناء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٠م.
٧. ابن اعثم الكوفي، احمد، الفتوح، دارالاضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٨. ابن الجوزي، ابو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دار التراث العربي، بيروت.
٩. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٠. ابن الجوزي ، صفوة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
١١. ابن العربي، ابوبكر، العواصم من القواصم، دار الثقافة، دبي، ١٤٠٤هـ.
١٢. ابن العماد الحنبلي، عبدالحی، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار

- الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩.
١٣. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دارصادر، بيروت، ١٣٨٤.
١٤. ابن تيمية، ابو العباس، القرآن والسيف، رياض الريس، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٥. منهاج السنة النبوية، الأهرام، القاهرة، ١٩٠٣م.
١٦. ابن خلدون، عبدالرحمان، المقدمة، انتشارات علمي فرهنگي، طهران، ١٣٦٢ش.
١٧. ابن خلكان، وفيات الاعيان، تحقيق احسان عباس، دارالفكر، بيروت.
١٨. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، بيروت، دارصادر، ١٤٠٥هـ.
١٩. ابن شهر آشوب، ابوجعفر محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، دارالاضواء، بيروت، ١٤٠١هـ.
٢٠. ابن الصباغ المالكي، محمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، مكتبة العدل، النجف، ١٣٧٥.
٢١. ابن طلحة الشافعي، كمال الدين، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تحقيق ماجد بن احمد العطية، أم القرى، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٢٢. ابن طولون، شمس الدين محمد، الأئمة اثني عشر، تحقيق صلاح الدين منجد، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤هـ.
٢٣. ابن طولون، شمس الدين محمد، الأئمة اثني عشر، منشورات الرضي، قم، ١٤٠٥هـ.
٢٤. ابن عبد ربه الاندلسي، احمد، العقد الفريد، دار إحياء التراث، بيروت،

١٤٠٩هـ.

٢٥. ابن عبد البر، يوسف، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد البجاوي، دارالجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٦. ابن عربشاه، عجائب المقدور في نوائب تيمور، ترجمه محمدعلي نجاتي، طهران، ١٣٦٥ش.

٢٧. ابن عساكر، ابوالقاسم علي بن حسن، تاريخ مدينة دمشق، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٨هـ.

٢٨. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل، البداية والنهاية، التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٣هـ.

٢٩. ابن مزاحم، نصر، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة آية الله النجفي، قم، ١٣٦٢ش.

٣٠. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مؤسسة التاريخ الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٣١. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ابن عساكر، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٣٢. منتجب الدين، بن بابويه، فهرست اسماء علماء الشيعة ومصنفيهم، منشورات المكتبة المرتضوية، طهران.

٣٣. ابن وكيع، محمد بن خلف، أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت.

٣٤. ابوزهره، محمد، الفقه على المذاهب الأربعة، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٣٥. الأربلي، ابوالحسن، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دارالاضواء، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٣٦. استوري، ادبيات فارسي، ترجمه يو آبرگلي، ترجمه آرين يورو، تحرير احمد منزوي، جامعة طهران، طهران، ١٣٦٠ش.

٣٧. إسماعيل، كمال الدين، ديوان اشعار، تحقيق بحر العلوم، طهران، ١٣٦٠ش.

٣٨. الاصفهاني، ابوالفرج، مقاتل الطالبين، تحقيق سيد احمد صقر، دارالمعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٣٩. البخاري، ابو عبدالله إسماعيل، كتاب التاريخ الكبير، دارالكتب العلمية، بيروت.

٤٠. براقي النجفي، سيد حسين، تاريخ الكوفة، تحقيق سيد صادق بحر العلوم، دارالاضواء، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٤١. البغدادي، الخطيب، تاريخ بغداد، دارالفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٤٢. الأمين، سيد محسن، اعيان الشيعة، وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، طهران، ١٣٦٨ش.

٤٣. اميني، عبدالحسين، الغدير في الكتاب والسنة والادب، دارالكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٦ش.

٤٤. التستري، محمدتقي، قاموس الرجال، جامعة المدرسين، قم، ١٣٦٨ش.

٤٥. الجاحظ، ابو عثمان عمرو، البيان والتبين، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

٤٦. الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، التاريخ العربي، بيروت، ١٩٤٩م.

٤٧. الجوهري، إسماعيل: صحاح اللغة، مؤسسة التاريخ الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤٨. الجويني، إبراهيم محمد، فرائد السمطين، تحقيق محمدباقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٤٩. حاجي خليفة مصطفى، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دارالفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.

٥٠. الحاكم النيشابوري، محمد بن عبدالله، المستدرک علی الصحیحین، دارالکتب العلمیة، بیروت، ١٤١١هـ.

٥١. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٥٢. حسين، طه، الفتنة الكبرى، دارالمعارف، مصر، ١٩٥٣م.

٥٣. الحسيني الفيروزآبادي، السيد مرتضى، الفضائل الخمسة من الصحاح الستة، دارالكتب العلمية، طهران، ١٣٩٢هـ.

٥٤. الخضري، محمد، تاريخ الامم الإسلامية، التجارة الكبرى، قاهره.

٥٥. الخضري، محمد، تاريخ الدولة الأموية، دارالفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٥٦. الخنجي الاصفهاني، فضل الله، وسيلة الخادم الى المخدم، در شرح صلوات چهارده معصوم، به كوشش رسول جعفریان، مكتبة اية الله المرعشي، قم، ١٣٧٢ش.

٥٧. الخوارزمي، ابوالمؤيد موفق، مقتل الحسين، تحقيق مهدي سماوي، دار انوار

المهدي، قم، ١٤١٨هـ.

٥٨. دروزة، محمد عزة، تاريخ الجنس العربي، مكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤

م.

٥٩. العظمة، عزيز، المنتخب من التراث، ابن تيمية، رياض الريس، بيروت،

١٤٠٧هـ.

٦٠. الدميري، كمال الدين محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، الشريف

الرضي، قم، ١٣٧١ ش.

٦١. المسعودي، أبي الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر.

٦٢. المسعودي، علي بن الحسين، انساب الاشراف، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٤٠١هـ.

٦٣. الدينوري، عبد الله بن مسلم قتيبة، الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)،

مصر، ١٣٣٨.

٦٤. الموصلي، محمد بن عبد الواحد، النعيم المقيم لعثرة البناء العظيم، مناقب آل

محمد، تحقيق السيد علي عاشوري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،

١٤٢٤هـ.

٦٥. الحموي، أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي،

بيروت، ١٣٩٩هـ.

٦٦. اليعقوبي، ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٦٧. ابن فرحون، إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب،

تحقيق عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٢م.

٦٨. الذهبي، أبي عبدالله محمد بن احمد بن عثمان، تهذيب سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب ارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.
٦٩. الذهبي، أبي عبدالله محمد بن احمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٧٠. الذهبي، أبي عبدالله محمد بن احمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، حكومت الكويت، الكويت، ١٩٤٨م.
٧١. الزركلي، خير الدين، الاعلام، دارالملايين، بيروت، ١٩٩٧م.
٧٢. سبط بن الجوزي، أبو مظفر، تذكرة الخواص، مقدمة محمد صادق بحر العلوم، نينوى الحديثة، طهران، ١٣٧٦ش.
٧٣. السبكي، تقي الدين، الدرّة المضيّة في الرد على ابن تيمية، النهضة، مصر، ١٤٠٥هـ.
٧٤. السمرقندي، عبدالرزاق، مطلع السعدين ومجمع البحرين، بلا تا، لاهور، ١٣٦٠هـ.
٧٥. السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، نشر الإسلامي، قم، ١٤١٦هـ.
٧٦. السيوطي، عبدالرحمان، تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبدالحميد، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٠١هـ.
٧٧. الشافعي، محمد بن ادريس، الفقه الاكبر، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٧٨. الشبراوي، عبدالله، الاتحاف بحب الاشراف، دارالكتاب الإسلامي،

بيروت.

٧٩. الدارقطني، احمد، ذكر أسماء التابعين، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٨٠. شعوط، إبراهيم علي، اباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٨١. الشلبي، محمد مصطفى، المدخل في الفقه الإسلامي، بيروت.

٨٢. الشوشتري، نور الله، مجالس المؤمنين، مكتب إسلاميه، طهران، ١٣٦٥ش.

٨٣. زميزم، سعيد رشيد، زوار الإمام الحسين (لمحات تاريخية عن كربلا)، مكتبة النظري، بغداد، ١٩٩٠م.

٨٤. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، دار الكتاب، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٨٥. الصدوق، محمد، معاني الأخبار، تصحيح وتعليق علي اكبر غفاري، مقدمة عبدالرحيم رباني الشيرازي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٠هـ.

٨٦. الطباطبائي، سيد عبد العزيز، معجم أعلام الشيعة، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، ١٤١٧هـ..

٨٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٨٨. عبد الحميد، صائب، ابن تيمية حياته وعقائده، الغدير، بيروت، ١٤١٤هـ.

٨٩. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، لسان الميزان، الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠ هـ..

٩٠. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، بيت الأفكار الدولية، عمان، ٢٠٠٢ م.

٩١. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

٩٢. العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

٩٣. العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ الحسين، نقد وتحليل، دار الجديد، بيروت، ١٩٩٤ م.

٩٤. علوي الحضرمي، محمد بن عقيل، النصائح الكافية، طهران، ١٣٧٣ ش.

٩٥. عنان، محمد، تاريخ الدولة الإسلامية في الاندلس، كيهان، طهران، ١٣٦٩ ش.

٩٦. الغزالي، ابو حامد، إحياء علوم الدين، دار الجليل، بيروت، ١٤٠٨ هـ.

٩٧. الغزالي، ابو حامد، الأدب في الدين، صححه وقدم له مصطفى العبد الله، دار الحكمة، بيروت، ١٤١٦ هـ.

٩٨. الغزالي، ابو حامد، المستصفى، دار الحكمة، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٩٩. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين بن علي، دار البلاغة، بيروت، ١٤١٣ هـ.

١٠٠. القرماني، احمد بن يوسف، أخبار الدول، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢ م.

١٠١. القندوزي البلخي، سليمان، ينايع المودة، دار الأسوة، طهران، ١٣٧٠.
١٠٢. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣١٩ ش.
١٠٣. المالكي، إبراهيم بن علي، ديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٧٢ م.
١٠٤. الماوردي، ابو يعلى، الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، مركز المطالعات الإسلامية، قم، ١٣٦٥.
١٠٥. المبرد، ابو العباس، الكامل في اللغة والادب، دار التعارف، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
١٠٦. الفيروزآبادي، السيد مرتضى، فضائل الخمسة من الصحاح الستة، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٢ هـ.
١٠٧. المقدسي، احمد بن طاهر، البدء والتاريخ، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت.
١٠٨. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، دار الكتاب الإسلامية، طهران، ١٣٧٦ ش.
١٠٩. المقريري، أحمد، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، مطبعة الاهرام، القاهرة.
١١٠. المقريري، أحمد، الوعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ.
١١١. العظمة، عزيز، المنتخب من التراث، ابن تيمية، رياض الريس، بيروت،

١٤٠٧ هـ.

المصادر الفارسية:

١١٢. الآصفی، مهدي، پژوهش وحوزه، السنة الثانية، العدد ٧، لقاء خاص، خريف ١٣٨٠ ش.

١١٣. آقا بزرگ الطهرانی، محسن، اجتهاد ومذاهب إسلامی، ترجمه محمود افتخار زاده، طهران، ١٣٦٠ ش.

١١٤. اقبال اللاهوري، محمد، کلیات اشعار، با مقدمه احمد سروش، مكتبة السنائي، طهران، ١٣٦٠ ش.

١١٥. البخاري، عمق، ديوان اشعار، تصحيح سعيد النفيسي، جامعة طهران، ١٣٣٩ ش.

١١٦. البلخي، ميرخواند، روضة الصفا، المكتبة المركزية لبيع الكتب، طهران، ١٣٣٩ ش.

١١٧. بيگ روملو، حسن، أحسن التواريخ، تصحيح عبدالحسين نوايي، بابک، طهران، ١٣٥٩ ش.

١١٨. پیشوايي، مهدي، تأملی در آثار وانديشه های ابن خلدون، تاريخ در آينه پژوهش، عدد ٣، قم، خريف ١٣٨٢ ش.

١١٩. الجامي، عبد الرحمان، مثنوی هفت اورنگ، تحقيق مرتضى جيلان، سعدي، طهران، ١٣٦٨ ش.

١٢٠. جعفریان، رسول، تاريخ تشيع در ايران، سازمان تبليغات إسلامی، طهران، ١٣٧١ ش.

١٢١. جعفریان، رسول، مقالات تاریخی، قم، دلیل، ۱۳۷۵ ش.
١٢٢. جعفریان، رسول، منابع تاریخ اسلام، انصاریان، قم، ۱۳۶۸ ش.
١٢٣. عدد من الباحثين، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، باشراف: كاظم الموسوي البجنوردي، مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، طهران، ۱۳۷۴ ش.
١٢٤. عدد من الباحثين، راهکار های عملی اخوت اسلامی در افغانستان، مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ۱۳۸۸ ش.
١٢٥. عدد من الكتاب، الامام الخميني وفرهنگ عاشورا، مؤسسه تنظيم ونشر آثار الامام الخميني، طهران، ۱۳۷۴ ش.
١٢٦. عدد من الكتاب، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، مؤسسة دائرة المعارف السلامية الكبرى، طهران، ۱۳۶۱-۱۳۶۷ ش.
١٢٧. عدد من الكتاب، مجموعه مقالات امام حسين، مجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، طهران، ۱۳۸۱ ش.
١٢٨. حبيبي، عبدالحی، تاریخ افغانستان بعد از اسلام، دنیا الكتاب، طهران، ۱۳۶۰ ش.
١٢٩. الحجازی، سیدعلی، حسین بن علی در آئینه شعر، قم، فارس الحجاز، ۱۳۸۲ ش.
١٣٠. الحجازی، سیدعلی، علی وفرزندانش، ترجمه محمدعلی الشیرازی، گنجینه، طهران، ۱۳۶۷ ش.
١٣١. حکمت، علی اصغر، سرزمین هند، جامعة طهران، طهران، ۱۳۳۷ ش.

١٣٢. حيرت سجادي، سيدعبدالحميد، گلزار شاعران كردستان، انتشارات كردي، سنندج، ١٣٥٤ ش.

١٣٣. خواندمير، محمد حبيب السير، خيام، طهران، ١٣٦٢ ش.

١٣٤. الخوسقي، محمد، ديوان اشعار، تصحيح احمد الاحمدي البيرجندي، منظمة الحج والزيارة، مشهد، ١٣٦٦ ش.

١٣٥. الرازي القزويني، عبدالجليل، النقض، تصحيح ميرجلال الدين المحدث الارموي، اتحاد الآثار الوطنية، طهران، ١٣٥٨ ش.

١٣٦. زرین کوب، عبدالحسين، تاريخ در ترازو، أمير كبير، طهران، ١٣٦٢ ش.

١٣٧. زمچي اسفزاري، معين الدين محمد، روضات الجنات في أوصاف مدينة هرات، جامعة طهران، ١٣٣٨ ش.

١٣٨. السبحاني، جعفر، پیشوایی از نظر اسلام، مکتب اسلام، قم، ش.

١٣٩. السبحاني، جعفر، وهابيت، مباني فكري وکارنامه عملي، مؤسسة الإمام الصادق، قم، ١٣٨٠ ش.

١٤٠. السمناني، علاء الدولة، ديوان اشعار، بمعونة عبد الرفيح حقيقت، طهران، ١٣٦٢ ش.

١٤١. السنائي الغزنوي، ابوالمجد مجدود، ديوان اشعار، بمعونة مدرس الرضوي، اقبال، طهران.

١٤٢. الشرواني، خاقاني، ديوان أشعار، بمعونة ضياءالدين السجادي، الجامعة، جامعة دانشسرای عالی، طهران، ١٣٤٦ ش.

١٤٣. الشيبی، مصطفى، تشيع وتصوف، ترجمه عليرضا ذكاوتي قراگزلو، أمير

كبير، طهران، ۱۳۷۴ ش.

۱۴۴. الصاحبی، محمد جواد، اندیشه اصلاحی در نهضت های اسلامی، مکتب

الاعلام الإسلامي، قم، ۱۳۷۰ ش.

۱۴۵. صفا، ذبیح الله، تاریخ ادبیات در ایران، فردوس، طهران، ۱۳۷۳ ش.

۱۴۶. الصفري، سام میرزا، تحفه سامی، تحقیق وحید الدستجردی، سینا،
طهران.

۱۴۷. صفی زاده، صدیق، پارسی گویان کرد، عطایی، طهران، ۱۳۶۶ ش.

۱۴۸. الطبسی، شمس الدین، دیوان اشعار، تحقیق تقی بینش، مکتبه ابرار،
مشهد، ۱۳۶۱ ش.

۱۴۹. الطرزی، غلام محمد، دیوان اشعار، جامعه طهران، طهران، ۱۳۷۵ ش.

۱۵۰. النیسابوری، فرید الدین عطار، مصیبت نامه، تصحیح محمد نورانی
الوصالی، زوار، طهران، ۱۳۶۴ ش.

۱۵۱. العلّی، عبد الله، برترین هدف در برترین نهاد، ترجمه محمد مهدی
الجعفری، وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، طهران، ۱۳۷۱ ش.

۱۵۲. الفاریابی، ظهیر الدین، دیوان اشعار، جامعه طهران.

۱۵۳. فرخ، مهدی، تاریخ سیاسی افغانستان، الصحاف احسانی، قم،
۱۳۷۱ ش.

۱۵۴. الفرغانی، سیف، دیوان اشعار، جامعه طهران، ۱۳۴۱ ش.

۱۵۵. فرهنگ، میر محمد صدیق، افغانستان در پنج قرن اخیر، مطبعة احسانی،
قم، ۱۳۷۱ ش.

١٥٦. القبادياني، ناصر خسرو، ديوان اشعار، مركز الأبحاث والعلوم الإنسانية، طهران، ١٣٥٧ ش.

١٥٧. الكرمانی، خواجه، ديوان اشعار، پاژنگ، طهران، ١٣٦٩ ش.

١٥٨. السقزي، ملك الكلام، مجدي، سفرنامه حج، مطبعة عطايي، طهران، ١٣٦٠ ش.

١٥٩. مجلة الهادي، العدد ٢، ذي القعدة، ١٣١٩ هـ.

١٦٠. مجلة الحوزة، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، عدد ١١٣ - ١١٤، سنة ١٩، ١٣٨٢ ش.

١٦١. مجلة آشنا، السنة الخامسة، العدد ١١، صيف ١٣٧٥ ش.

١٦٢. مجلة شفا، السنة الثانية، العدد ٥، شتاء ١٣٨٧ ش.

١٦٣. مجمع جهاني أهل بيت عليه السلام، امام حسين عليه السلام وديدگاه ها، المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، طهران، ١٣٨١ ش.

١٦٤. المروزي، كسايب، ديوان اشعار، جامعة طهران، ١٣٦٤ ش.

١٦٥. المروي، محمد هادي، سمينار الإمام الحسين عليه السلام، جامعة الإمام الحسين، طهران، ١٣٦٤ ش.

١٦٦. المزوي، ميشل، پيدایش دولت صفوي، ترجمه يعقوب آژند، بنگاه كتاب (مركز الكتاب)، طهران، ١٣٥٨ ش.

١٦٧. المستوفي، حمد الله، تاريخ گزیده، تحقيق عبدالحسين النوايي، شرق، طهران، ١٣٨٥ ش.

١٦٨. المطهري، مرتضى، نهضت های إسلامي در صد سال اخير، صدرا، قم،

١٣٥٩ ش.

١٦٩. المظلومي، رجبعلی، حسین رهبر آزادگان، بنیاد بعثت (مركز البعثة)،

طهران، ١٣٦٢ ش.

١٧٠. المکرمی، مجتبی، نگاهی به تاریخ حیدر اباد، دفتر مطالعات سیاسی و بین

المللی (مکتب الدراسات السياسية الدولية)، طهران، ١٣٧٢ ش.

١٧١. البلخي، جلال الدين مولوي، کلیات دیوان شمس، اقبال، طهران، بلا تا.

١٧٢. البلخي، جلال الدين مولوي، مثنوی معنوی، گنجینه، تهران، ١٣٨٠ ش.

١٧٣. المهدي، محسن، فلسفة تاریخ ابن خلدون، مؤسسة الترجمة والنشر،

طهران، ١٣٨٥ ش.

١٧٤. الداودي، عبد المجید، ناصری، تشیع در خراسان عهد تیموریان، بنیاد

پژوهش های اسلامی (مركز البحوث الإسلامية)، مشهد، ١٣٧٨ ش.

١٧٥. الباخري، عبد الواسع نظامی، مقامات جامی، تحقیق نجیب مایل

الهروي، ني، طهران، ١٣٧٦ ش.

١٧٦. نعمتي، أحمد، اجتهاد وسیر تاریخی آن از دیدگاه أهل سنت، احسان،

طهران، ١٣٧٦ ش.

١٧٧. النفيسي، سعيد، تاریخ نظم و نثر فارسي در ایران و در زبان فارسي، مکتبه

فروغي، طهران، ١٣٦٣ ش.

١٧٨. نهرو، جواهر لعل، نگاهی به تاریخ جهان، ترجمه محمود تفضلي، أمير كبير،

طهران، ١٣٥٨ ش.

١٧٩. الواصفي، محمود، بدايع الوقایع، تصحيح الكساندر بلدرف، بنیاد فرهنگ

(مركز الثقافة)، طهران، ١٣٥٦ ش.

١٨٠. الهاشمي، محمد طاهر، مناقب أهل بيت عليه السلام از دیدگاه أهل سنت، بنیاد

پژوهش های اسلامی (مركز البحوث الإسلامية)، مشهد، ١٣٨١ ش.

١٨١. اسبوعية پرتو سخن، السنة الثانية عشرة، العدد: ٥٥٨، ١٣٨٩ ش.

المحتويات

٩	مقدمة المؤسسة
١٥	نظرة إلى مصادر عاشوراء عند أهل السنة
١٦	تصنيف المصادر
١٧	المصادر التاريخية
١٧	مقتل أبي مخنف
١٩	١ - خصوصيات مقتل أبي مخنف
٢٠	١ - أدبيات بعيدة عن الانحياز
٢٠	٢ - حفظ الأمانة
٢١	٣ - اتخذ منهج تخصصي
٢١	٤ - التبع الوافي
٢٢	٥ - حفظ منهج التدوين التاريخي
٢٣	٦ - قربه من زمن الحادثة
٢٣	٧ - إحاطته العلمية ومكانة أسرته
٢٣	المؤرخون ومقتل أبي مخنف
٢٤	تيار تاريخي آخر يوافق أبا مخنف
٢٦	الخصيلة
٢٧	تأمل في رواية عمار الدهني الموضوعة
٢٩	التيار المخالف لأبي مخنف

٤١٠ نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني

- أُسْلُوبُ ابْنِ سَعْد ٣٠
- مرور على أخبار ابن سعد وإشكالاتها ٣٠
- ١- الاعتماد على رواية لم يشهدوا حادثة عاشوراء ٣٠
- ٢- التناقض الذاتي ٣١
- أ- جرأة يزيد أو مداراته ٣١
- ب- حكاية مروان بن الحكم ٣١
- ٣- مخالفة المسلمات تاريخياً ٣٢
- أ- حضور ابن عمر في مكة ٣٢
- ب- دفن جسد الحسين عليه السلام بيد غلام زهير ٣٢
- ج- الاستناد إلى خبر عمار الدهني وكعب الأخبار ٣٣
- أخبار تشاطر ابن سعد الرأي ٣٤

الفصل الأول

خلافة يزيد بن معاوية

- خلافة يزيد بن معاوية ٤٥
- مفهوم الخلافة ٤٧
- شروط الخلافة ٤٩
- أ- العدالة ٥٠
- ب- الفقهية ٥١
- ج- الشروط الأخرى ٥٢

٤١١	المحتويات
٥٢	آلية انتقال الخلافة
٥٣	أ- عهد الإمام والخليفة السابق
٥٣	ب- اختيار أهل الحل والعقد
٥٥	شروط استخلاف الخلفاء الراشدين
٥٦	يزيد بن معاوية وشروط الخلافة
٥٦	عدالة يزيد
٥٦	البيئة والتربية
٥٨	يزيد والتراث الفكري لأبي سفيان
٦٢	توعية النبي ﷺ ولعنه أبا سفيان ومعاوية
٦٣	المصير الأسود
٦٤	أمرٌ صريح
٦٤	نماذج أخرى
٦٥	الإمام علي عليه السلام ووقوفه على حقيقة معاوية
٦٦	معاوية من منظار الإمام الحسن عليه السلام
٦٦	معاوية واستمرار الخط السفياني
٦٨	فترة شباب يزيد
٦٨	زواج يزيد من بني كلب
٦٩	فسق يزيد وفجوره العلني
٧١	تقرير ممثلي المدينة
٧٣	إذعان مخالفين ثورة عاشوراء بفسق يزيد

٤١٢ نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني

٧٦ يزيد وخصوصيات الخلافة الأخرى

٧٧ الفقهية اللازمة

٧٨ آلية انتقال الخلافة

٧٩ أخذ البيعة ليزيد

٨٢ معاوية وسياسته المزدوجة

٨٢ ١- التهيب والاعتقال

٨٤ ٢- الترغيب والحداد

٨٧ الجهود الأخيرة التي بذلها معاوية

٩٠ الإمام الحسين عليه السلام أبرز أقطاب المعارضة

الفصل الثاني

ثورة كربلاء ومقولة الاجتهاد

٩٥ ثورة كربلاء ومقولة الاجتهاد

٩٦ الاجتهاد لغةً واصطلاحاً

٩٨ شروط الاجتهاد

٩٩ أ- الشروط الذاتية

٩٩ ب- الشروط الاكتسابية

١٠٠ أقسام الاجتهاد

١٠١ اجتهاد يزيد بن معاوية وأعوانه

١٠٢ تأملات في صلاحية يزيد بن معاوية

المحتويات	٤١٣
التهافت الواضح	١٠٢
العقل والفتنة	١٠٣
الشروط الاكتسابية	١٠٤
فقهاء الصحابة والتابعين	١٠٦
اجتهاد أعوان يزيد	١٠٧
١- مروان بن الحكم	١٠٨
مروان ومأساة كربلاء	١١١
٢- عبيد الله بن زياد	١١٢
خصوصياته العلمية	١١٤
سجله السياسي	١١٤
٣- عمر بن سعد بن أبي وقاص	١١٥
خصوصيتان لعمر بن سعد	١١٦
إنكار وتحاذل وتسليم وتبرير	١١٩
التردد في اجتهاده، والقطع بعدم الاستفادة منه في واقعة عاشوراء	١٢٢
قتال الإمام خروج عن الشرع	١٢٣
٤- شمر بن ذي الجوشن	١٢٤
٥- شبيب بن ربعي	١٢٧
٦- الحصين بن نمير التميمي	١٣١
٧- شريح القاضي	١٣٤
شريح وفتوى قتل الحسين عليه السلام	١٣٦

٤١٤	نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني
١٣٦	إشاعات لا أصل لها
١٣٩	الاستعفاء من القضاء وموته
١٣٩	٨- حرملة بن كاهل الأسدي
١٤٢	٩- خولي بن يزيد الأصبحي
١٤٢	حمل رأس سيّد الشهداء عليه السلام إلى الكوفة
١٤٣	خلاصة ما تقدّم
١٤٥	شاهدان آخران
١٤٥	١ - الأحداث والاعتراقات بعد عاشوراء
١٤٥	شبهة بناء المسجد
١٤٦	الإجابة
١٤٧	ندم رموز الجريمة في كربلاء
١٤٨	ندم يزيد
١٥٠	عذاب وجدان أسرة زياد
١٥١	عمر بن سعد واعترافه ببيع دينه
١٥٢	سنان بن أنس وجزاء قتله الحسين عليه السلام
١٥٣	ابن خلدون ومخالفته لابن العربي
١٥٦	٢- غياب التأويل
١٥٧	الإمام الحسين عليه السلام من وجهة نظر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله
١٦١	فضائل الإمام الحسين عليه السلام في الصحاح الست

الفصل الثالث

فلسفة ثورة كربلاء في المنظور السني

١ - النظرة المصلحية	١٦٨
مناقشة وتحليل	١٧٣
دوافع هذه النظرة	١٧٣
مناقشة هذه النظرة	١٧٤
نظرة عقلانية لفلسفة عاشوراء	١٧٧
٢ - المهمة الشخصية والخاصة	١٧٩
دوافع هذه النظرة	١٨٠
مناقشة هذه النظرة	١٨١
٣- رفض مبايعة يزيد وابن زياد	١٨٢
مناقشة وتحليل	١٨٣
٤ - الثأر لدم مسلم بن عقيل	١٨٥
دراسة ومناقشة هذه النظرة	١٨٥
٥ - الإيهام وغموض الفلسفة	١٨٧
٦ - تحقيق العدالة الاجتماعية	١٨٧
مناقشة وتحليل	١٨٨
فلسفة ثورة كربلاء من منظور الإمام الحسين (عليه السلام)	١٨٩
أ - الأسباب الرئيسة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)	١٩٢
١ - إقامة نظام الحق	١٩٢

٤١٦	نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني
١٩٣	٢- إحياء الدين وقيمه
١٩٣	٣- تحقيق الإصلاح
١٩٣	٤- الالتزام بالمواثيق الإلهية
١٩٣	٥- إحياء السنة النبوية
١٩٤	٦- إجراء الحدود
١٩٤	٧- العدالة الاجتماعية
١٩٤	٨- نشر ثقافة الشهادة
١٩٥	ب- أسباب التعجيل

الفصل الرابع

يزيد بن معاوية وفاجعة كربلاء إدانة أو براءة

١٩٩	يزيد بن معاوية وفاجعة كربلاء
١٩٩	إدانة أو براءة
١٩٩	أول تشكيك
٢٠٠	الإجابة عن هذه الشبهة
٢٠١	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)
٢٠٢	١- ما فهمه مروان والوليد من كتاب يزيد
٢٠٢	٢- عزل الوليد بن عتبة
٢٠٢	٣- الطبري ونقله تصريح الحسين عليه السلام
٢٠٣	٤- موارد أخرى

المحتويات	٤١٧
٥- قتل الحسين عليه السلام وتنفيذ أوامر يزيد	٢٠٣
٦- فرح يزيد وسروره بقتل الحسين عليه السلام	٢٠٤
علي بن الحسين المسعودي (المتوفى ٣٤٥هـ)	٢٠٥
أحمد بن أعثم الكوفي (المتوفى ٣١٤هـ)	٢٠٦
عز الدين بن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠هـ)	٢٠٧
شمس الدين الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ)	٢٠٩
يزيد وحسن معاملته للسبايا	٢١٣
الإجابة عن الشبهة	٢١٤

الفصل الخامس

كرامات ومعطيات ثورة كربلاء

من المنظور السني

كرامات ومعطيات ثورة كربلاء من المنظور السني	٢١٩
أ- الكرامات	٢١٩
العقوبة السريعة لبعض المجرمين	٢١٩
سطوع النور ورفرفة الطير	٢٢٠
صيرورة التراب دماً	٢٢١
نياحة الجن	٢٢٢
الآيات في السماء	٢٢٣
الآيات في الأرض	٢٢٣

٢٢٣	الرثاء الغيبي
٢٢٥	الرأس المقطوع وتلاوة القرآن
٢٢٥	ب- الآثار السياسية والاجتماعية
٢٢٦	١- إحياء الدين وتحدي حكومة يزيد
٢٢٧	٢- إحياء ثقافة الشهادة
٢٢٨	٣- التمهيد للإطاحة بالنظام الأموي
٢٢٨	أ- كراهية يزيد والأمويين
٢٢٩	ب- انتشار نفوذ أهل البيت عليهم السلام
٢٢٩	٤- تهيئة الأرضية العلمية والثقافية
٢٣١	٥- تقديم القدوة لهداية المجتمعات
٢٣١	أ- زعيم واع وصامد
٢٣٢	ب- أصحاب أوفياء
٢٣٣	ج- أهل البيت عليهم السلام وشموخهم الرسالي
٢٣٤	د- الأهداف والشعارات الخالدة
٢٣٤	تقويض الوحدة أو تعزيزها

الفصل السادس

علماء أهل السنة ولعن يزيد

٢٤١	علماء أهل السنة ولعن يزيد
٢٤٢	اتّجاهان متعارضان

المحتويات	٤١٩
الاتّجاه العاطفي	٢٤٣
الاتّجاه التحليلي	٢٤٦
أهل السنة والنظريات الثلاث المعروفة	٢٤٦
تأمل في هذا التصنيف	٢٤٨
النظرة السائدة لدى أهل السنة	٢٤٨
موافقون من أمراء بني أميّة	٢٤٩
فقهاء أهل السنة المتقدّمين	٢٥٢
نقاط للتأمل حول هذه النظرة	٢٦٤
علماء السنة المعاصرون وثورة كربلاء	٢٦٥
الفئة المخالفة من أهل السنة	٢٧٥
المعاصرون والوهابية	٢٨٠
خلاصة آراء المخالفين	٢٨١
مناقشة وتحليل	٢٨٢
أ- تقديم الخبر المجعول على المتواتر	٢٨٣
ب- التهافت	٢٨٤
ج- إطلاق التّهم بدل الاستدلال والمنطق	٢٨٤
د- تضخيم دور المؤرّخين المتعصّبين	٢٨٥
مناقشة وتحليل	٢٨٦
١- حبّ التسلّط والاستيلاء	٢٨٧
٢- التعصّب المذهبي والطائفي	٢٩٠

٤٢٠ نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني

٣- الاصطفاف الثقافي والتاريخي في مقابل العدو المشترك ٢٩١

٤- الانتفاء المحلّي وخلفياته التاريخية ٢٩١

الفصل السابع

سيرة مخالفي لعن يزيد

سيرة مخالفي لعن يزيد ٢٩٥

الإمام محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) ٢٩٥

ولادته ونشأته ٢٩٥

تدريسه في نظامية بغداد ٢٩٧

مدح الخليفة العباسي ٢٩٧

أبو بكر بن العربي (٤٦٨-٥٤٣هـ) ٢٩٨

ولادته ونشأته ٢٩٨

مناصبه ومكانته ٢٩٨

نشاطاته الأخرى ٢٩٩

عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٠-٨٠٨هـ) ٣٠٠

ولادته ونشأته ٣٠٠

خدماته الحكومية والسياسية ٣٠٠

نشاطاته وآثاره العلمية ٣٠١

وإليك بعض آثاره الأخرى ٣٠٢

نقد بعض آثار ابن خلدون ٣٠٣

المحتويات	٤٢١
تقي الدين أحمد بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)	٣٠٣
رحلته الدراسية وآراؤه المبتدعة	٣٠٤
آراء علماء السنة حول ابن تيمية	٣٠٦
أبو الفداء ابن كثير الدمشقي	٣٠٩
اعتماده على مصادر غير موثوقة	٣٠٩
كتبان الحقائق التاريخية	٣١٠
الحزبية والتحيز إلى يزيد	٣١١

الفصل الثامن

العزاء على الإمام الحسين عليه السلام

بين أهل السنة

العزاء على الإمام الحسين عليه السلام بين أهل السنة	٣١٥
العزاء على الحسين عليه السلام يعود إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم	٣١٥
أول المآتم على الحسين عليه السلام بعد واقعة عاشوراء	٣١٧
عزاء آل يزيد على الحسين عليه السلام	٣١٩
نماذج العزاء في القرون الأولى للإسلام	٣١٩
الشعراء ومراثي عاشوراء	٣١٩
انتشار مجالس العزاء على مظلومية الحسين عليه السلام	٣٢١
خراسان والعزاء على الحسين وأهل بيته عليهم السلام	٣٢١
مؤرخو السنة وواقعة عاشوراء	٣٢٤

٤٢٢	نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني
٣٢٥	إقامة العزاء في العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧ هـ)
٣٢٨	إقامة العزاء في العصر الغزنوي (٣٥١-٥٩٨ هـ)
٣٢٨	إقامة العزاء في نظامية بغداد
٣٣٢	- عمق البخارائي (المتوفى ٥٤٣ هـ)
٣٣٢	- الخاقاني الشيرواني (المتوفى ٥٩٥ هـ) والذي اشتهر بحسن العجم
٣٣٢	- ظهير الدين الفاريابي (المتوفى ٥٩٨ هـ)
٣٣٢	- شمس الدين الطبرسي (المتوفى ٦٤٢ هـ)
٣٣٣	- كمال الدين إسماعيل الذي عاش في القرن السابع في أصفهان
٣٣٣	- مصلح الدين سعدي الشيرازي الشافعي (المتوفى ٦٥٩ هـ)
٣٣٣	- جلال الدين محمد المولوي البلخي (المتوفى ٦٧٢ هـ)
٣٣٣	- سيف الدين الفرغاني (المتوفى ٧٠٥ هـ)
٣٣٣	- علاء الدولة السمناني (المتوفى ٧٣٦ هـ)
٣٣٤	- أوحدي مراغني أصفهاني (المتوفى ٧٣٨ هـ)
٣٣٤	- كمال الدين محمود المعروف بخواجوي كرمان (المتوفى ٧٥٣ هـ)
٣٣٤	- سلمان ساوجي (المتوفى ٧٧٨ هـ)
٣٣٤	مواصلة العزاء في خراسان وما وراء النهر
٣٣٩	بكاء أهل الشام على الحسين قُبيل حملة المغول
٣٤٠	انتشار العزاء في العهد التيموري (٧٧١-٩١١ هـ)
٣٤٢	كمال الدين ملا حسين الواعظ الكاشفي (المتوفى ٩١٠ هـ)
٣٤٤	فخر الدين الكاشفي (المتوفى ٩٣٩ هـ)

المحتويات	٤٢٣
ذكر مناقب أهل البيت عليه السلام ومدحهم	٣٤٥
طلب إيراد الخطبة باسم أهل البيت عليه السلام	٣٤٦
نور الدين عبدالرحمن الجامي (٨١٧-٨٨٩هـ)	٣٤٧
إقامة العزاء في البلاط التيموري	٣٤٨
إقامة العزاء عند أهل السنة مابعد العصر التيموري (٩١١هـ حتى الآن)	٣٥٠
العزاء في آسيا الوسطى	٣٥١
إقامة العزاء في شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا	٣٥٤
إقامة العزاء في أفغانستان	٣٦٠
إقامة العزاء في العصر العثماني (٧١٤هـ-١٣٤٢هـ)	٣٦٣
إقامة العزاء في شمال أفريقيا	٣٧٠
إقامة العزاء في القوقاز	٣٧٢

الفصل التاسع

تأثير نهضة الحسين عليه السلام

على النهضات والمصلحين غير الشيعة

تأثير نهضة الحسين عليه السلام على النهضات والمصلحين غير الشيعة	٣٧٧
أ- مبادئ حبّ المصلحين للثورة الحسينية	٣٧٧
١- نهضة الحسين صراع الحق مع الباطل	٣٧٧
- العلامة محمد إقبال اللاهوري (١٢٨٩-١٣٥٨هـ)	٣٧٧
- ملك الكلام مجدي سقزي (المتوفى ١٢٦٨هـ) الكاتب والشاعر الإيراني المشهور	٣٧٨

..... ٤٢٤	نهضة الحسين عليه السلام في المنظور السني
..... ٣٧٨	١- العلامة غلام محمد طرزي (١٢٤٥ - ١٣١٨ هـ)
..... ٣٧٨	٢- الالتزام بالشرع والذبّ عنه
..... ٣٨٠	٣- ثورة العدل في مواجهة الظلم
..... ٣٨١	٤- الإمام الحسين عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله
..... ٣٨٢	٥- طريق البطولة والحرية
..... ٣٨٣	ب- معطيات عاشوراء لدى الثورات والمصلحين
..... ٣٨٦	ضرورة الإصلاح ودعم الجهود الخيرة
..... ٣٨٩	حصيلة البحث
..... ٣٩١	المصادر والمراجع
..... ٤٠٩	المحتويات